"إنْ" الشرطية في القرآن الكريم

الدكتور زيان أحمد الحاج إبراهيم

جامعة البحرين-كلية الآداب

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية

تقديم:

أسلوب الشرط أحد الأساليب الأصيلة في اللغة العربية، يبرز في حلل متباينة ذات ألوان وتشكيلات متعددة، نكاد لانجدها بوفرة إلا عند أرباب الأقلام الثرة، المتمرسين في ضروب القول، وأصحاب البيان من الأدباء، شعراء وناثرين، بغرض التأثير في مريديهم من قراء ومستمعين، ودفع السأم والملل عنهم، بالخروج عن الرتابة التي قد تنفر منها النفس ويمجها الذوق، بالقدر الذي تتفاوت فيه قدراتهم في التعبير عن أفكارهم ونقلها إلى الآخرين.

وموضوع الشرط أمر شغل بال النحاة في الماضي والحاضر، فتوفروا على دراسته في مصادره الأصيلة من أقوال العرب شعراً و نثرا. وأبرز الدراسات التي نالت الحظوة في هذا المضمار. تلك الواردة في الكتاب المعجز، السهل الممتنع، الذي تحدى صنّاع الكلام ومهندسي البيان، ألا وهو القرآن.

لقد حظيت الأساليب العربية المختلفة بدراسات كثيرة، شأنها شأن غيرها من العلوم، ولكن أسلوب الشرط استأثر بالنصيب الأوفى منها، لا لشيء، إلا لتعدد أدواته من جهة، وتنوع الصور التي يجيء عليها ويتشكل فيها، من جهة ثانية.

كان الخليل وسيبويه - رحمهما الله - رائدين في هذا المضمار، تواترت بعدهما الجهود في دراسة علم النحو، بأساليبه المختلفة، ومنها أسلوب الشرط.

كما تناول قدامى النحاة- بعدهما - أسلوب الشرط في دراسة مستوعبة، ولكنها متفرقة هنا وهناك في كثير من الأحيان، فجاءت معلوماتهم عنه أشتاتا، كما اختلفت مواقفهم أحيانا من مفهومهم لأسلوب الشرط، حيث نظر إليه بعضهم على أنه جملة مركبة، واعتبره فريق منهم جملتين، واعتمد طرف آخر في دراسته على العامل، الذي هو الأداة. كما اختلفوا في استخدام المصطلح الشرطي فتعددت مدلولاته، فانسحب هذا الاختلاف على الدراسات اللغوية الحديثة(1).

إن جل هذه الدراسات، في عصورها المتعاقبة، انصبت على دراسة الجملة الشرطية من حيث المعنى، عن طريق تحليلها إلى ركنيها: " الشرط والجواب " (2).

ثم جاءت بعض الدراسات الحديثة المتخصصة فعرضت لدراسة أسلوب الشرط في القرآن الكريم وكلام العرب، كما نجد ذلك عند الدكتور أحمد اللهيب (3)، وعبد العزيز علي الصالح المعيد (4)، وإبراهيم بركات (5)، وأبي أوس إبراهيم سليمان الرشيد الشمسان الذي درس الجملة الشرطية منذ سيبويه،أي منذ مرحلة التكوين(6)،حتى مرحلة الاستواء والنضج(7)،ثم مرحلة التفسير والتقليد(8).

ومن هذه الدراسات ، دراسة متميزة بعنوان " الشرط في القرآن الكريم على نهج اللسانيات الوصفية " قام بها الدكتور عبد السلام المسدي، وزميله الدكتور محمد الهادي الطرابلسي. وقد جاءت هذه الدراسة في قسمين:

أحدهما : عرضٌ لدراسة مظاهر بنية التركيب الشرطي اعتماداً على نظريات النحاة، كما استقرت وتبلورت عندهم متمثلة في شرح ابن يعيش للمفصل، ونظرة ابن هشام في المغني له، مستقرئيْن النص القرآني قاعدة له(9).

وثانيهما: اعتمدَ الدراسة الوظائفية للنصوص الشرطية الواردة في القرآن الكريم (10). وقد حظيت " إنْ " الشرطية في هذه الدراسة بنصيب وافر عند الأخوين الباحثين. لتمحضها لمعنى الشرط وملازمتها إياه، من جهة؛ ولاطراد التركيب الشرطي بها، من جهة ثانية، بدليل أن نسبة تواترها في النص القرآني بلغت - عندهما - 41,47% (11) من مجموع أدوات الشرط الأخرى، فضلا عن أن بعض أدوات الشرط إنما اكتسب هذه الخاصية لتضمنها معنى " إنْ " الشرطية؛ يضاف إلى ذلك مرونة التركيب الشرطي بها، إذ تتشكل في صور متنوعة، كونت هذه الصور غالبية موضوع هذا البحث (11).

ومن هنا حاولتُ أن أُلمّ شعث أسلوب الشرط الخاص بالأداة "إنْ "، وأجمعَ أشتاته في بحث متكامل، معتمدا في ذلك على أفصح الأساليب العربية، وهو القرآن الكريم.

ورأيتُ من الجدوى بمكان، ألا تنصب هذه الدراسة على النظرة النحوية البحتة، كما اقتصرت الدراسات الأخرى، بل حاولت جاهدا ربطها بالظواهر الأسلوبية، وتسليط الضوء على اللمحات البلاغية باستخدام " إنْ " في صورها الشرطية المختلفة، والكشف عن أكثر هذه الأساليب توظيفا لأغراضها البلاغية، وأوسعها انتشارا في كلام العرب والعصر الحديث.

وسأُحاول الإشارة، من وجهة نظري الخاصة، إلى سبب الخلط بين "إنْ" و"إذا" في الاستعمال، وطغيان " إذا " على أم الباب: الأمر الذي يوحي بأنّ "إنْ" قد تراجعت عن رتبتها ومنزلتها "كأم" ، وكأنها قد أصبحت في منأى عن الاستعمال إلى حدّ ما.

وكم كان بوُدّي معرفة مدى ارتباط القوالب الشرطية "لإنْ" بتطور اللغة العربية، ومدى احتفاظ هذه القوالب القرآنية الشرطية الأصيلة (لأم حروف الجزاء) بنفس درجة الفاعلية عند أصحاب الأقلام العربية في مختلف العصور، وأثر هذا الاستعمال في تطويع المعيار حسب الزمن والتاريخ ، ولكن تبدّى لي أن هذه المهمة تحتاج إلى دراسة مستقصية مستفيضة، لا يتسع لها هذا المقام.

نبذة عن "إنْ"، بكسر الهمزة وسكون النون

الشرط أحد الأساليب الشائعة في اللغة العربية، يأتي على صور متعددة، أغلبها فصيح، وأرقاها وأفصحها تلك الأساليب التي جاءت في القرآن الكريم، كما أن استعماله لايخلو من دلالات جمالية تكشف عنها القرائن.

وأسلوب الشرط لابد له من جملتين (12): تسمى الأولى الجملة الشرطية، والثانية جملة الجزاء، أو الجواب. وتجب الفعلية في الأولى؛ أما الثانية فحقها أن تكون فعلية ، وقد تكون اسمية (13). وسمي الفعل الأول شرطا، والثاني جزاءً، لإتيان الأول في صورة المسبب، والثاني في صورة المسبَّب (14).

ومهما كانت صيغة فعل الشرط وجوابه، فإن زمنهما لابد أن يتخلص للمستقبل المحض؛ ولابد أيضا، أن يكون

تحقق الجواب ووقوعه متوقفا على تحقق الشرط ووقوعه، ومعلّقا عليه، فإذا وقع الشرط، وقع ما تعلق عليه، وهو الجواب.

والذي يُدخل هاتين الجملتين في عداد أسلوب الشرط، هو الأداة التي تسبقهما.

وأدوات الشرط منها ما هو جازم، ومنها ما هو غير جازم، ومنها ما هو حرف، ومنها ما هو اسم.

وأولى أدوات الجزم " إن " بكسر الهمزة وسكون النون، وهي حرف باتفاق.

و "إنْ" بهذه الصيغة تأتي لبعض الأغراض غير الجزم، نوجزها فيما يلي:

1 – أن تكون نافية، عاملة أو مهملة (15)، وتدخل على الجملة الاسمية، كقوله تعالى: ﴿إِنِ الكافِرُونَ إلاّ في غُرورٍ﴾(16)، وقوله ﴿إِنْ هذا إلاّ سِحْرٌ مُبينٌ﴾(17). وقد تدخل على الأفعال فلا تؤثر فيها، كقوله تعالى :﴿ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظّالِمونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً إلاّ غُرُوراً﴾ (18).وقد وردت في القرآن الكريم حوالي[115] مائة وخمس عشرة مرة(19).

2 – أن تكون مخففة من الثقيلة: فيجوز إهمالها، وهو كثير في لسان العرب، وحينئذ تلزمها اللام الفارقة بينها وبين " إن " النافية (20)، فنقول : إنْ زيدٌ لذاهبٌ، وإنْ عمرو لخيرٌ منك. وقد جاءت في القرآن الكريم حوالي [25]خمسا وعشرين مرة.

أما إعمالها فقليل (21)، وإذا أعملت لم تلزمها اللام، لأنها لا تلتبس، حينئذ؛ بالنافية، فنقول :إنْ زيداً منطلقٌ.

ودخولها، مخففة، على غير نواسخ الابتداء من الأفعال، قليل جدا، كقول عاتكة بنت زيد ترثي زوجها الزبير بن العوام، رضي الله عنه، وتدعو على قاتله:

شَلّتْ يَمِينُك إنْ قَتَلْتَ لَمُسْلِماً
حَلّتْ عَلَيْكَ عُقُوبَةُ المُتعَمّد(22)

3 – أن تكون زائدة: وتسمى الوصلية، لأنها تصل الكلام بعضه ببعض لتقوية معناه وتوكيده (23). ومن أبرز خصائصها أن تبطل عمل « ما » الحجازية، فتدخل على الجملة الاسمية، كقول فروة بن مسيك:

فَما إنْ طِبُّنا جُبْنٌ، ولكنْ
مَنَايَانا وَدَوْلَةُ آخَرِينَا

وقد تدخل على الجملة الفعلية،كقول الشاعر:

مَا إِنْ أَتيْتُ بِشيْءٍ أَنْتَ تكرَهُهُ
إِذَنْ فلا رَفَعَتْ سَوْطِي إِليَّ يَدي

وقد تزاد بعد "ما" الموصولة الاسمية، كقول جابر بن رألان الطائي الجاهلي:

يُرَجّي المرءُ مَا إِنْ لايَرَاهُ
وَتَعْرِضُ دُونَ أَدْناهُ الخُطوبُ

أي : الذي لايراه؛ أو "ما" المصدرية، كقول المعلوط القريعي:

وَرَجَّ الفَتى للخير ما إِنْ رَأَيْتَهُ
على السن خَيْراً لايزال يَزِيدُ (24)

أو "ألا" الاستفتاحية؛ كقول الشاعر:

ألا إِنْ سَرَى لَيْلي فَبتُّ كَئِيباً
أُحَاذِرُ أَنْ تَنْأَى النّوَى بغَضُوبَا

وقد تزاد في مواضع نادرة الدوران.

4 – أن تكون فعل أمر من آنَ يئينُ، فنقول: إِنْ يا وقتُ. ويقال : آنَ يَئِينُ، بمنزلة سار يسير، و"إِنْ" بمنزلة سِر (25).

5 – قد تكون شرطية غير جازمة، وهي قليلة في فصيح الكلام، وتسمى "إنْ" التفصيلية (26)، ومثالها: من يزرعْ.

إنْ خيراً وإنْ شراً، يحصدْ ما زرع، فليس لها من الشرط إلا الاسم، لأنها غير جازمة ولا عاملة، وتفيد التفصيل ليس غير.

إنْ الشرطية

كان الخليل يرى أنها أم حروف الجزاء، وعندما سأله سيبويه عن سر ذلك، أجابه بأن باقي حروف الجزاء قد يتصرفن فيكن استفهاما أحيانا (27)، ومنها ما تفارقه "ما" فلا يكون فيه الجزاء (28)، على حين تلازم " إن " حالا واحدة أبدا، لاتفارق الجزاء (29).

وقد أشار علماء النحو إلى بعض الأمور التي وافقت فيها "إن" ، أو فارقت أخواتها من أدوات الشرط، نلخصها فيما يلي:

أمور توافق فيها "إنْ " باقي أدوات الشرط

1 – لا تدخل على الاسم، وتحتاج إما إلى فعلين مضارعين تجزمهما لفظا، إن كانا معربين، أو محلاً، إن كانا مبنيين.

– وإما إلى فعلين ماضيين يجزمان محلاً.

– وإما إلى فعلين مختلفين، يجزم المضارع منهما لفظا، والماضي محلاً.

– وإما إلى جملة اسمية تحل محل المضارع الثاني، وتكون في محل جزم.

2 – إذا وقع بعدها اسم، وهو الغالب في "إن" و "إذا" وجب تقدير فعل مناسب يفصل بينهما، كقوله تعالى: ﴿ إنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ (30) و ﴿ إذا السَّماءُ انْشَقَّتْ﴾ (31). والتقدير: إن هلك امرؤ هلك، وإذا انشقت السماء انشقت، كما سنرى.

3 – لها الصدارة، فلا يصح أن يتقدم عليها شيء من جملتي الشرط أو الجواب، ولا متعلقاتهما، إلا إذا كان جواب الشرط مضارعا مرفوعا، كما يجيء أحيانا، كقولك: خيراً إنْ تزرع تحصدُ، برفع (تحصد).

4 – لا يصح حذفها.

5 – لاتدخل على "لا" الناهية، فإذا دخلت عليها صارت حرف نفي، بعد أن كانت حرف نهي، وصارت مهملة بعد أن كانت جازمة(32).

أمور فارقت فيها "إنْ" أخواتها

1 – هي و"إذما" حرفان، وأخواتهما أسماء.

2 – يجوز فيها الجزم وعدمه إذا اتصلت "بما" الزائدة، على حين أن بعض أخواتها لا يجزم إلا إذا اتصل "بما" الزائدة، مثل: حيث، وإذ، وبعضها يمتنع اتصالها بها، وهو شرط جازم.

3 – من هذه الأدوات ما وضع للعاقل، فإذا تضمن معنى الشرط، صار أداة شرط، للعاقل، جازمة، وهو "مَنْ"، كقوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ ولاَ يَجِدْ لَـهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيّاً ولاَ نَصِيراً﴾(33).

4 – منها ما وضع أصلا للدلالة على شيء لايعقل، فإذا تضمن معنى الشرط، صار أداة شرط، للعاقل، جازمة، وهو "ما" و "مهما". قال تعالى:﴿ومَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ هو خَيْراً وأَعْظَمَ أَجْراً﴾(34)، وقول زهير:

وَمهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ
وَإنْ خَالَها تَخْفَى على النّاس تُعْلَمِ

5 – منها ما هو للزمان المجرد في أصل وضعه، فإذا تضمن معنى الشرط جزم، وهو: متى، وأيان.

6 –منها ما وضع أصلا للمكان،وصار أداة شرط جازمة

إذا تضمن معنى الشرط، وهو: أين، وحيثما، وأنى.

7 – منها ما يصلح لكل ما ذكر، وهو "أيّ".

8 – منها ما يختص إما بالأمر المتيقّن، أو المظنون، وهو "إذا"، وإما بالمشكوك فيه، أو المستحيل، وهو باقي أدوات الشرط، والقرائن هي التي تعين ذلك.

9 – منها ما وضع لتعليق الجواب على الشرط بقصد الدلالة على وقوع الجواب وتحققه، بوقوع الشرط وتحققه، من غير دلالة على زمان، أو مكان، أو عاقل، أو غير عاقل، وهو "إن" و "إذما"، كقوله تعالى: ﴿وإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أو تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللّهُ﴾ (35)، وقول الشاعر:

وإنّك إذْ ما تَأْتِ ما أنْتَ آمِرٌ
بهِ، تُلْفِ مَنْ إيّاهُ تَأْمُرُ آتيَا

* * *

وسنشرع في الحديث عن "إنْ" الشرطية بالتفصيل من حيث خصائصها الأسلوبية التي تحمل دلالات بلاغية رائعة.

لقد وردت " إنْ " الشرطية في القرآن الكريم حوالي [571] إحدى وسبعين وخمسمائة مرة، مدغمة في " لا " خمس مرات، وفي " ما " ست عشرة مرة، ولها أحكام نحوية لم تسلم من خلاف في بعضها بين النحاة.

اختصت " إنْ " الشرطية بجواز أن يقع بعدها الاسم المرفوع الذي بعده فعل يفسر ذلك المحذوف في الاختيار. أما غير " إن " فلا يقع ذلك فيه إلا في الشعر (36). أي من بين الأدوات الجازمة، وذلك لوقوعه بعد " إذا " و "لو".

وقد ورد ذلك في القرآن خمس مرات في قوله تعالى:

– ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلاَجُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً﴾ (37).

– ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ (38).

– ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ (39).

– ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ﴾ (40).

– ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ (41).

فالرفع في الآيات بعد "إنْ" بإضمار فعل يفسره ما بعده.

وقال الكوفيون : هو مبتدأ، وما بعده الخبر.

وقد خطّأه العكبري، لأن حرف الشرط لامعنى له في الاسم، فهو مناقض للفعل، ولذلك جاء الفعل بعد الاسم مجزوما في قول عدي:

ومتى واغل يَنُبْهُمْ يُحَيُّو
هُ ، وتُعْطَفْ عليه كأسُ الساقي (42)

وقد جاء هذا الاستعمال – أعني وقوع الاسم بعدها – مع " إذا " و " لو " الشرطيتين.

فقد وردت "إذا" في القرآن الكريم 423 مرة، كانت في 43 منها فجائية، وفي الباقي شرطية. ومن هذه الشرطية، وقع الاسم المرفوع بعدها 23 مرة، منها 12 مرة في سورة التكوير وحدها؛ وتلاها الفعل في باقي المرات، أي 380، كان فيها مضارعا نادراً، وماضيا مطرداً.

أما " لو " فقد جاءت في القرآن الكريم 201 مرة، وقع الاسم الصريح المرفوع بعدها في موضع واحد، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إذاً

لأمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإنْفَاقِ، وَكَانَ الإنْسَانُ قَتُوراً﴾(43)؛ ووقع غير صريح 30 مرة، وتلاها الفعل إما ماضيا أو مضارعا في الباقي، أي 170 مرة(44).

وتستعمل "إن" للشك ولعدم القطع في الأشياء الجائز وقوعها وعدم وقوعها، فمخرجها الظن والتوقع فيما يخبر به المخبر، بخلاف " إذا " التي تجيء وقتا معلوما. فلو قلت : آتيك إذا احمرّ البُسْر، كان حسنا، ولو قلت : آتيك إن احمرّ البسر، كان قبيحا، لأنه واقع لا محالة، "فإنْ" أبدا مبهمة (45).

الأصل في "إنْ" أن تجزم فعلين مضارعين: أحدهما الشرط، والثاني الجزاء، وهو الكثير؛ مثل : ﴿ وَإنْ يَأْتوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ﴾(46)،و ﴿ قُلْ إنْ تُخْفُوا ما في صُدورِكُمْ أوتُبْدوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ﴾(47)،و ﴿ وإنْ تعُودُوا نعُدْ﴾ (48).

وقد تدخل على ماضيين لفظا، مستقبلين معنى، فلا تؤثر فيهما لبنائهما، كقوله تعالى: ﴿ فإنْ أصابَتْكُمْ مُصيبةٌ قَالَ قَدْ أنعمَ اللهُ عَلَيَّ إذْ لَمْ أكُنْ مَعَهُمْ شَهيداً﴾(49)، وقوله:﴿ إنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأنفسِكُمْ﴾ (50)،وقوله: ﴿وإنْ عُدْتُمْ عُدْنا﴾(51). فالماضي في هذه الآيات في موضع الجزم، وعلى معنى الاستقبال.

ودخولها على الماضي والمضارع في الكلام قليل، ولم يرد في القرآن منه شيء، فيبقى الماضي مبنيا، أما المضارع فقد قال أكثر النحويين إنه يكون مرفوعا، فلا تؤثر فيه، إذ لم تؤثر في الذي يليها، واستشهدوا على ذلك بقول زهير:

وإنْ أتاهُ خليلٌ يومَ مَسْألةٍ

يقول : لاغائبٌ مالي ولاحَرِمُ

برفع (يقول). والمقام لايقتضي الخوض في الخلافات والآراء الواردة في الموضوع.

وأقل منه دخولها على المضارع والماضي في الكلام، فتعمل في الأول لأنه مضارع، ولاتعمل في الثاني لبنائه، مستشهدين على ذلك بقول أبي زبيد الطائي:

مَنْ يَكِدْني بسَيِّءٍ كنتُ منهُ

كالشَّجا بين حَلْقِهِ والوريد

و لم يرد منه شيء في القرآن الكريم، وجعلوا منه قوله تعالى (52): ﴿ إنْ نَشَأْ نُنَزلْ عليهِمْ مِنَ السّماء آيةً فَظَلّتْ أعْناقُهُمْ لَها خاضِعِينَ﴾ (53) ، إذ جاء الماضي معطوفا على جواب الشرط المضارع المجزوم.

وقد يكون الشرط ماضيا، والجواب فعل أمر، وهو كثير، ولقوله تعالى : ﴿ فإنْ قَاتَلوكُمْ فَاقْتُلوهُمْ﴾ (54)،و﴿فإنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعةٍ﴾ (55)، ولا بد من اقترانه بالفاء، كما سيأتي.

كما تدخل على الفعل المضارع المسبوق بلم، والجواب فعل أمر، كقوله تعالى: ﴿ فإنْ لمْ تَفْعلوا، وَلَنْ تَفْعَلُوا، فاتّقوا النّارَ الّتي وَقُودُها النّاسُ والحِجارةُ﴾ (56)،و ﴿ فإنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بحَرْبٍ مِنَ اللهِ ورَسولِهِ﴾ (57).

ولاتدخل على فعل ماض في المعنى إلا على (كان) لكثرة استعمالها، وأنها لا تدل على حدث (58)، وقد تنوع الشرط والجواب مع الفعل الناسخ (كان):

الشرط والجواب ماضيان:

- ﴿ فإنْ كانَ لكُمْ فتحٌ من اللهِ قالُوا ألَمْ نَكُنْ معكُمْ وإنْ كان لِلْكافِرينَ نَصيبٌ قالوا ألَمْ نسْتَحْوِذْ عليكُمْ ونَمْنَعْكُمْ منَ المؤمِنينَ﴾ (59).

الشرط ماض والجواب أمر:

- ﴿ وإنْ كُنتُمْ في رَيْبٍ مِمّا نَزَّلْنا على عَبْدِنا فَأْتُوا بسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾(60).

الشرط ماض والجواب جملة اسمية:

- ﴿وإنْ كانوا إخوةً رجالاً ونساءً فللذّكرِ مثلُ حظِّ الأُنثيَيْن﴾ (61).

الشرط مضارع والجزاء مثله:

- ﴿ وإنْ تكُ حسنةً يُضاعفْها﴾ (62).

الشرط مضارع والجواب جملة اسمية:

- ﴿ إنْ تكونوا تألمون فإنّهمْ يألمونَ كما تألمون﴾ (63).

الشرط مضارع مجزوم، والجواب جملة اسمية:

- ﴿ فإنْ لمْ يكونا رَجُلَيْنِ فرجُلٌ وامرْأتانِ﴾ (64)، أي: فالشاهد.

وقد جاء اقتران جوابها بالفاء كثيراً مستكملا جميع الحالات التي عرفها النحاة. فمثال ماكان فيه الجواب جملة اسمية مقترنة بالفاء، قوله تعالى: ﴿ وإنْ تولّوْا فإنّما هُمْ في شِقاقٍ﴾ (65)، و﴿ وإنْ تخالِطوهُمْ فإخوانُكُمْ﴾ (66)، أي فهم إخوانكم، ومنه: ﴿ قُلْ إنْ كان للرّحْمَنِ ولدٌ فأنا أوّلُ العابدينَ﴾ (67).

ومما كان فيه الجواب جملة طلبية مقترنة بالفاء، قوله تعالى: ﴿وإنْ خِفتُمْ شِقاقَ بيْنِهما فابْعثُوا حَكَماً مِنْ أهْلِهِ وحَكَماً مِنْ أهْلِها﴾ (68)، و﴿ فإنْ أمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فلْيُؤدِ الّذي اؤْتُمِنَ أمانَتَهُ﴾ (69)، و﴿ وإنْ يخذُلْكُمْ فمَنْ ذا الّذي ينْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾(70)،و﴿ وإنْ جاهَداكَ على أنْ تُشْرِكَ بي ما لَيْسَ لكَ بِهِ عِلْمٌ فلا تُطِعْهُما﴾(71).

وهكذا مع باقي الحالات والمواضع التي يقترن الجواب فيها بالفاء وجوباً، وهي:

- ﴿ إنْ تُبْدوا الصّدَقاتِ فنِعِمّا هِيَ﴾(72) - الجواب فعل جامد.

- ﴿ فإنْ اعْتزَلوكُمْ فلَمْ يُقاتِلوكُمْ وألْقَوْا إليْكُمُ السّلَمَ فما جَعَلَ اللهُ لكُمْ عليْهِمْ سبيلاً﴾(73) -مقترن "بما".

- ﴿ وإنْ تُعْرِضْ عنْهُمْ فلَمْ يَضُرّوكَ شيْئاً﴾ (74)- الجواب مقترن "بلن".

- ﴿ فإنْ آمَنوا بمِثْلِ ما آمَنْتُمْ بِهِ فقَدِ اهْتَدَوْا﴾ (75)- مقترن "بقد".

- ﴿ ولكِنِ انْظُرْ إلى الجَبَلِ فإنِ اسْتَقرَّ مَكانَهُ فسَوْفَ تَراني﴾ (76) - مقترن "بسوف".

- ﴿ وإنْ تعاسَرْتُمْ فسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرى﴾ (77). الجواب مقترن "بالسين".

هذه هي بعض خصائص أو حالات "إنْ" التي لاخلاف فيها، يذكر ، عند أهل العلم، وذلك إذا كان الشرط والجواب مذكورين، فهم يكادون يتفقون على معظم ما أوردنا.

أما الخلاف الذي دار بينهم حول "إنْ" ففي الحالات التي حذف فيها الجواب، أو قام مقامه كلام آخر، أو دخلت "إن" على استفهام، أو توسط الشرط بين "إن" وما عملت فيه، أو غير ذلك، وسنعرض لأحكامها دون أن نتعرض لهذا الخلاف إلا بما يقتضيه المقام.

(1) حذف جواب الشرط مع "فإنْ"

كل ما جاء في القرآن من "فإن" فقد ذكر معه جواب الشرط، أو دليل الجواب قائما مقام الجواب، إلا في قوله تعالى: ﴿فإنِ اسْتَطَعْتَ أنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً في الأرْضِ أوْ سُلّماً في السّماءِ فتَأْتِيَهُمْ بآيَةٍ﴾(78)، فقد حذف الجواب ههنا، وتقديره:(فافعلْ).

(2) ذكر الجواب مع "أفإنْ"

ذكر الجواب مع "أفإنْ" في القرآن في آيتين هما:

أ – ﴿وَمَا مُحمدٌ إلاّ رَسُولٌ قدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرّسُلُ أَفَإنْ ماتَ أوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ على أعْقابكُمْ﴾(80).

يرى يونس أن همزة الاستفهام دخلت في التقدير على (انقلبتم)، وهو ماضٍ، معناه الاستقبال، لأنه مقيد بالموت أو القتل، وجواب الشرط عنده محذوف، فتكون همزة الاستفهام دخلت في غير موضعها، لأن الغرض إنما هو: أتنقلبون على أعقابكم إنْ مات محمد؟ ودخلت إنْ هنا على المحقق، وليس من مظانها، لأنه أُورد مورد المشكوك فيه للتردد بين الموت والقتل (81).

إلا أن سيبويه يرى الهمزة في موضعها، والفاء تدل على تعلق الشرط بما قبله؛ وقد رجّح العكبري رأي سيبويه (82).

ب – ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشرٍ مِنْ قَبْلِكَ الخُلْدَ، أَفَإنْ مِتّ فهُمُ الخَالِدُونَ﴾؟ (83)، حيث دخلت الفاء العاطفة على " إنْ " الشرطية، والجملة بعدها جواب الشرط، وقدمت الهمزة عليها، لأن الاستفهام له صدر الكلام، واعترض الشرط بينهما، فحذف جوابه. هذا مذهب سيبويه.

وزعم يونس أن تلك الجملة هي مصب الاستفهام، والشرط معترض بينهما، وجوابه محذوف.

وقال ابن عطية: وألف الاستفهام داخلة في المعنى على جواب الشرط. انتهى كلامه.

وفي هذه الآية دليل لمذهب سيبويه، إذ لو كان على ما زعم يونس لكان التركيب: أفإن مت فهم الخالدون؟ بغير فاء (84).

(3) ما قام فيه دليل الجواب معها مقام الجواب

وردت "إنْ" في بعض الآيات محذوفة الجواب، وقد قام دليل الجواب مقامه، في مثل:

1 – ﴿إنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾(85)، فجواب الشرط محذوف، والتقدير: (فتأسوا)، فقد مسّ القوم قرح مثله، لأن الماضي معنى يمتنع أن يكون جوابا للشرط، ومن زعم أن جواب الشرط هو (فقد مسّ)، فهو ذاهل(86).

2 – ﴿فإنْ كذّبُوكَ فَقَدْ كُذّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾(87).

جواب الشرط، هنا، محذوف؛ لدلالة الكلام عليه. والتقدير: (فَتَسَلَّ به)، ولايمكن أن يكون (فقد كذب رسل) الجواب، لمضيه، إذ جواب الشرط مستقبل، لا محالة، لترتبه على المستقبل. وما قيل في مثل هذا إنه جواب الشرط،فهو على سبيل التسامح،لا الحقيقة (88).

3 – ﴿إنْ يَكُنْ غَنِيّاً أوْ فَقيراً فَاللهُ أوْلَى بِهِمَا﴾(89).

الجواب هنا محذوف:وتقديره: (فليشهد عليه)؛ لأن الضمير يفرد إذا عطف "بأو"، فلا يثنى. أما إذا كانت " أو " بمعنى " الواو "؛ كان الجواب:فالله أولى بهما(90).

4 – ﴿وإنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بضُرٍّ فَلاَ كاشِفَ لَهُ إلاّ هُوَ؛ وإنْ يَمْسَسْكَ بخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِ شَيْءٍ قَديرٌ﴾ (91).

جاء جواب الشرط الأول بالحصر في قوله : (فلا كاشف له إلا هو) مبالغة في الاستقلال بكشفه. وجاء جواب الثاني بقوله:(فهو على كل شيء قدير) دلالة على قدرته على كل شيء. ولو قيل: إن الجواب محذوف لدلالة الأول عليه، لكان وجهاً حسنا. وتقديره: فلا موصل له إليك إلا هو، أو فلا رادّ له. وفي قوله:(فلا كاشف له إلا هو) تقديره : فلا كاشف له عنك إلا هو(92).

5 – ﴿وإنْ يَعُودُوا فقدْ مَضَتْ سُنّةُ الأوّلِينَ﴾ (93).

قيل:جواب الشرط:(فقد مضت سنة الأولين).

قال أبو حيان: ولا يصح ذلك على ظاهره؛ بل ذلك

دليل على الجواب، والتقدير: وإن يعودوا انتقمنا منهم وأهلكناهم، فقد مضت سنة الأولين في أنا انتقمنا منهم وأهلكناهم(94).

6 – ﴿إلاّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ﴾ (95).

في الآية انتفاء النصر بأي طريق كان من نفر أو غيره. وجواب الشرط محذوف، تقديره: (فسينصره)، ويدل عليه (فقد نصره الله)، أي: ينصره في المستقبل، كما نصره في الماضي.

7 – ﴿يا قَوْمِ إنْ كانَ كَبُرَ عليكُمْ مَقامِي وتَذْكِيرِي بآياتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وشُرَكَاءَكُمْ﴾(96).

الجواب محذوف؛ وتقديره: (فافعلوا ما شئتم). وقيل: هو (فعلى الله توكلت)، و (فأَجْمِعُوا) معطوف على الجواب، وهو لايظهر لأنه متوكل على الله دائما. وقال الأكثرون: الجواب (فأجْمِعُوا)، و (فعلى الله توكلت) جملة اعتراضية بين الشرط وجزائه (97).

8 – ﴿وقَالَ مُوسَى إنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ ومَنْ في الأَرْضِ جميعاً فإنّ الله لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (98).

جواب (إن تكفروا) محذوف لدلالة المعنى عليه. والتقدير: فإنما ضرر كفركم لاحق بكم، لأن الله غني حميد سواء آمنتم ومن في الأرض أو كفرتم جميعا، فهو متصف بالغنى المطلق والحمد في حالتي كفرهم وشكرهم (99).

9 – ﴿فإنْ تَوَلَّوْا فإنّما عَلَيْكَ البَلاغُ المُبِينُ﴾ (100).

الفاء ومابعدها جواب الشرط صورة، والجواب حقيقة محذوف، أي:فأنت معذور،إذ أديت واجبك، فأقيم سبب العذر،وهو البلاغ،مقام المسبب لدلالته عليه (101).

ومثل هذا في القرآن كثير، وعلى مثل هذا التقدير، كقوله تعالى: ﴿فإنِ انْتَهَوْا فإنّ الله غَفورٌ رحيمٌ﴾ (102)، إذ ليس اتصافه: سبحانه، بالمغفرة والرحمة، بسبب انتهائهم؛ وقوله: ﴿فإنْ تَوَلَّوْا فإنّ الله عَليمٌ بالمُفْسِدينَ﴾ (103)، فليس علمه بالمفسدين، أو غيرهم، مرتبطا بقولهم. ومنه قوله تعالى: ﴿وإنْ يُكَذِّبوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَومُ نُوحٍ وعادٌ وثَمودُ﴾ (104)، والتقدير: وإن يكذّبوك فاصبر، أو فلا تجزع، أو فتسلّ، أو ما أشبه هذا المعنى، فقد كذبت قبلهم أقوام أخرى.

(4) دخول اللام الموطئة للقسم عليها وسد جواب القسم مسد جواب الشرط

1 – قد تدخل على "إنْ" اللام الموطئة والمؤذنة بالقسم، فتشعر بقسم مقدّر قبلها، لذلك يبنى ما بعد الشرط من الجواب على القسم، لا على الشرط، كما في قوله تعالى: ﴿ولَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الّذي جاءكَ مِنَ الْعِلْمِ ما لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ ولاَ نَصِيرٍ﴾ (105)، والذي يؤيد ذلك عدم دخول الفاء على "ما" التي تقتضيها، في قوله تعالى (ما لك)، وكان فعل الشرط ماضيا في اللفظ، لأن جوابه محذوف يدل عليه جواب القسم، والاستغناء بجواب القسم أولى، لأن له صدر الكلام(106).

2 – ﴿ولَئِنْ أَتَيْتَ الّذينَ أُوتُوا الكِتابَ بكُلِّ آيةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَكَ، وما أَنْتَ بتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ، وما بعضُهُمْ بتابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ، ولَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ إنَّكَ إذاً لَمِنَ الظّالِمينَ﴾ (107).

وهذه اللام ليست لازمة، بدليل قوله تعالى: ﴿وإنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الذين كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ (108). (ليمسن) جواب قسم محذوف، سد مسد

جواب الشرط الذي هو (وإن لم ينتهوا) (109).

وما تبعوا بمعنى (لا يتبعوا)، فهو ماض في معنى المستقبل، ودخلت "ما" حملا على لفظ الماضي، لأنه إذا كان الجواب محذوفا، وجب مضي فعل الشرط لفظا إلاّ في ضرورة الشعر، فقد يأتي مضارعاً.

وذهب الفراء إلى أنّ "إنْ" هنا بمعنى "لو"، ولذلك كانت "ما" في الجواب، فجعل (ما تبعوا) جوابا، لأن "إنْ" بمعنى "لو"، فكما أنّ "لو" تُجاب "بما"، كذلك أُجيبت "إنْ" التي بمعنى "لو".

وقدْ رده العكبري لأن "إنْ" للمستقبل و "لو" للماضي، كما رده أبو حيان، لأن الفراء بنى ذلك على مذهبه الذي يجيز فيه أن يكون الجواب للشرط مع تقدم القسم، وأنّ استعمال "إنْ" بمعنى "لو" قليل، فلا ينبغي أن يحمل على ذلك إذا ساغ إقرارها على أصل وضعها.

وخلاصة ذلك أنّ في (ما تبعوا) قولين: إنها جواب قسم محذوف، وهو قول سيبويه. والثاني: إنّ ذلك جواب "إنْ" لإجرائها مجرى "لو"، وهو قول الأخفش، والفراء، والزجاج(110).

ودخول اللام الموطئة هذه على "إنْ" في القرآن كثير.

أما حذف اللام فهو قليل. ومما حذفت منه اللام قوله تعالى: ﴿وإنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ (111)، فجواب "إنْ" محذوف، لأنّ (لننصرنكم) جواب القسم المحذوف.

ومما لم تدخل فيه الفاء على "ما" التي تقتضيها، قوله تعالى: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي ما أنا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ﴾ (112)، فإنّ (ما أنا بباسط) جواب القسم لتقدم القسم، بدليل عدم اقترانه بالفاء بعد "ما" التي تقتضيها (113).

3 - ﴿وإنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (114).

حذفت اللام الموطئة، وحذف القسم، وسد جوابه مسد جواب الشرط الذي هو (وإن أطعتموهم)، لأن الجواب للسابق منهما، والتقدير: والله إن أطعتموهم إنكم لمشركون.

4 - ﴿ قَالاَ رَبَّنا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وإنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ (115). (لنكونن) جواب قسم محذوف قبل "إنْ"، كما حذفت اللام. والتقدير: والله إن لم تغفر لنا لنكونن من الخاسرين(116).

(5) حذف جواب الشرط لدلالة ما قبله عليه

ورد، كثيرا، حذف جواب الشرط، لدلالة كلام قبله عليه، فمن ذلك:

1 - ﴿ قالوا سَمِعْنَا وعَصَيْنَا وأُشْرِبوا في قُلوبِهِمُ العِجْلَ بِكُفْرِهِمْ، قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (117).

التقدير: إن كنتم مؤمنين، فبئسما يأمركم به إيمانكم. وقيل: التقدير: إن كنتم مؤمنين فلا تقتلوا الأنبياء، ولا تكذبوا الرسل، ولا تكتموا الحق، وتقدير الحذف الأول أولى وأقوى.

2 - ﴿ قُلْ إنْ كانتْ لَكُمُ الدّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ الله خالِصَةً مِنْ دونِ النّاس فَتَمَنَّوُا الموتَ إنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ (118).

أي: إن كنتم صادقين فتمنوا الموت، فعلق التمني على شرط مفقود، وهو كونهم صادقين، إذ ليسوا صادقين في أن الجنة خالصة لهم من دون الناس، فلا يقع منهم تمني الموت (119).

3 - ﴿ ولاَيَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إنِ اسْتَطاعُوا﴾ (120).

(فاستطاعوا) شرط محذوف الجواب يدل عليه ما قبله. والتقدير: إن استطاعوا فلا يزالون يقاتلونكم. ومن جوز تقديم جواب الشرط قال:(ولا يزالون)هو الجواب(121).

4 – ﴿ولا يحلُّ لهُنَّ أنْ يكْتُمْنَ ما خلقَ اللهُ في أرْحامهنَّ إنْ كُنَّ يُؤمِنَّ باللهِ واليوْمِ الآخِرِ﴾ (122).

فجواب الشرط محذوف يدلّ عليه ما قبله، ويقدر من لفظه، أي: إنْ كنَّ يؤمنَّ بالله واليوم الآخر فلا يحل لهن ذلك.والمعنى: إن من اتصف بالإيمان لا يقدم على ارتكاب ما لا يحل له، وعلق ذلك على هذا الشرط، وإن كان الإيمان حاصلاً لهن، إبعاداً وتعظيماً للكتم(123).

5 – ﴿قدِ افْترَيْنا على اللهِ كذِباً إنْ عُدْنَا في مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إذْ نجّانَا اللهُ مِنْها﴾ (124).

فهذا إخبار مقيّد من حيث المعنى بالشرط، وجواب الشرط محذوف من حيث الصناعة؛ وتقديره: إن عدنا في ملّتكم فقد افترينا على الله كذبا، وليس قوله (قد افترينا على الله كذبا) هو جواب الشرط إلا على مذهب من يجيز تقديم جواب الشرط على الشرط.

وجوزوا في هذه الآية وجهين: **أحدهما**: أن يكون إخباراً مستأنفا فيه معنى التعجب، كأنهم قالوا: ما أكذبنا على الله إن عدنا في الكفر بعد الإسلام. **والثاني** أن يكون قسما على تقدير حذف اللام، أي: والله لقد افترينا(125).

6 – ﴿إنْ كُنْتُمْ خرَجْتُمْ جِهادًا في سَبِيلِي وابْتِغاءَ مَرْضاتِي﴾ (126).

فجواب الشرط محذوف لدلالة ما تقدم عليه، وهو قوله:﴿ لاتتّخِذُوا عَدُوّي وعَدُوّكُمْ أوْلِياءَ تلْقونَ إليْهِمْ بالْموَدَّةِ﴾ (127).

(6) دخول "إنْ" على "لمْ"

كثيرا ما يقع الفعل المضارع المجزوم "بلم" شرطاً "لإنْ" في مثل قوله تعالى:

1 – ﴿ فإنْ لم تَفْعَلُوا، ولَنْ تَفعَلُوا، فاتّقُوا النّارَ الّتي وَقُودُها النّاسُ والحجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافرِينَ﴾ (128).

الجمهور على أنّ الجزم "بلمْ" لا "بإنْ"، لأنّ "لمْ" عامل شديد الاتصال بمعموله، و لم يقع إلا مع الفعل المستقبل في اللفظ، أي أنه مختص، و"إنْ" قد دخلت على الماضي في اللفظ، وقد وليها الاسم، كقوله تعالى: ﴿وإنْ أحَدٌ منَ المشركِينَ اسْتَجارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ (129)، وجواب الشرط هو (فاتقوا).

فإن قيل: كيف دخلت "إنْ" على "لمْ"، ولا يدخل عامل على عامل؟ فالجواب أنّ "إنْ" ههنا غير عاملة في اللفظ، فدخلت على " لمْ " كما تدخل على الماضي، كما أشرنا، لأنها لاتعمل في " لمْ " كما لاتعمل في الماضي؛ فمعنى (إن لم تفعلوا) هو: إن تركتم الفعل(130).

2 – ﴿ فإنْ لَمْ تفْعَلُوا فَأْذَنُوا بحَرْبٍ منَ اللهِ ورَسولِهِ﴾ (131).

3 – ﴿ فإنْ لَمْ يَكُونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وامْرَأتانِ﴾ (132).

4 – ﴿فإنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلاَ جُناحَ عَلَيْكُمْ﴾ (133).

(7) وقوع « إنْ » جواباً « لإنْ »

اجتماع شرطين

كان ورود ذلك قليلا. فمن ذلك:

1 – ﴿وإنْ كان كَبُرَ عَلَيْكَ إعْراضُهُمْ فإنِ اسْتَطَعْتَ أنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً في الأرضِ أوْ سُلَّماً في السَّماءِ فَتَأْتِيَهُمْ بآيَةٍ﴾ (134).

جواب "إنْ" الأولى (فإن استطعت)، فالشرط الثاني جواب الأول، وجواب الشرط الثاني محذوف، كما ذكرنا، تقديره: فافعلْ، وحُذف لظهور معناه وطول الكلام.

2 – ﴿وقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ (136).

علق توكلهم على شرطين: متقدم ومتأخر، ومتى كان الشرطان لا يترتبان في الوجود، فالشرط الثاني شرط في الأول؛ فمن حيث هو شرط فيه، يجب أن يكون متقدماً عليه، وإذا حصل هذان الشرطان، وهما الإيمان والإسلام، فوّض المرء جميع أمره إلى الله. وأدخل "إنْ" على فعلي الشرط، وإن كانت في الأغلب إنما تدخل على غير المحقق مع علمه بإيمانهم، على وجه إقامة الحجة والإثارة، كما سيأتي(137).

3 – ﴿وَلاَ يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ (138).

حكم الشرط إذا دخل على الشرط أن يكون الثاني والجواب جوابا للشرط الأول، كما مرّ، كقولك: إنْ أتيتني ، إن كلّمتني أكرمتك؛ فقولك: إنْ كلمتني أكرمتك، جواب إن أتيتني، وإذا كان كذلك صار الشرط الأول في الذكر مؤخراً في المعنى، حتى لو أتاه ثم كلّمه، لم يجب الإكرام، ولكن إن كلّمه ثم أتاه، وجب إكرامه، وعلة ذلك أن الجواب صار معوقا بالشرط الثاني (139).

4 – ﴿ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إنْ أَرادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ (140).

ههنا شرطان: فشرط الإحلال هبتها نفسها، وشرط الهبة إرادة استنكاح النبي. والمعنى: أحللناها لك إن وهبت لك نفسها، وأنت تريد أن تستنكحها، لأن إرادته هي قبول الهبة، وما به تتم. وهو شبيه ما ورد في الآية السابقة. فإذا اجتمع شرطان، فالثاني شرط في الأول، متأخر في اللفظ، متقدم في الوقوع ما لم تدل قرينة على الترتيب، نحو: إن تزوجتك، أو طلقتك فعبدي حر. واجتماع الشرطين مسألة فيها خلاف(141).

(8) وقوع "إذَا" في جواب "إنْ"

1 – ﴿ فإنْ أُعْطُوا مِنْها رضُوا وإنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إذا هُمْ يسْخَطُونَ﴾ (142).

فجواب الشرط الأول لا يلزم أن يقارنه ولا أن يعتقبه، بل يجوز أن يتأخر، نحو : إنْ اسلمت دخلت الجنة، وإنما يقتضي مطلق الترتب.

وأما جواب الشرط الثاني فجاء "بإذا" الفجائية، وأنه إذا لم يُعْطوا فاجأ سخطهم، و لم يمكن تأخره لما جُلبوا عليه من محبة الدنيا والشره في تحصيلها(143).

2 – ﴿وإنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إذا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ (144).

– "إذا هم" جواب "وإن لم يُعْطَوْا" و"وإنْ تُصِبْهُمْ" يقوم مقام الفاء في الجملة الاسمية الواقعة جوابا بالشرط(145).

(9) سبق "إنْ" "بأمّا" الشرطية

إذا اجتمع شرطان كان الجواب للسابق منهما، وجواب الثاني محذوف، ولذلك كان فعل الشرط ماضي اللفظ أو مصحوبا "بلم" وأغنى عنه جواب "أما" (146)، في مثل قوله تعالى:﴿ فأمّا إنْ كانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ وجَنَّةُ نعِيمٍ﴾ (147).

(10) توسط الشرط بين كلام
وتوسط كلام بين الشرط والجزاء

1 – قد يتوسط الشرط بين "إنّ" وما عملت فيه، ويكون خبر "إنّ" هو جواب الشرط في المعنى؛ ويقع بعده في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا مَا هِيَ إِنَّ البَقَرَ تَشابَهَ عَلَينا وَإِنّا إِنْ شاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ (148).

فالشرط هنا هو (شاء) في موضع جزم، وجوابه، عند سيبويه، "إنّ" وما عملت فيه، والذي جوز ذلك توسط الشرط. وتقدير الكلام: إن شاء الله هدايتنا اهتدينا، والمفعول محذوف،وهو (هدايتنا)، أو: إنا لمهتدون إن شاء الله؛ وقدم الشرط على ذكر الاهتداء اهتماماً به، وليحصل توافق رءوس الآي.

وقال المبرد: الجواب محذوف دلت عليه الجملة، لأن الشرط معترض، فالنية به التأخير، فيصير كقولك: أنت ظالم إن فعلت. وهو محذوف أيضا عند أبي حيان(149).

2 – ومن توسط الشرط قوله تعالى:﴿ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتالُ أَلاّ تُقاتِلُوا﴾(150).

فجواب الشرط الذي هو (إن كتب عليكم القتال) محذوف للدلالة عليه، وتوسط الشرط بين أجزاء الدليل على حذفه(151)، كما توسط في قوله تعالى: ﴿ وإِنّا إِنْ شاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ﴾.

3 – ومما توسط فيه كلام بين الشرط وجزائه قوله تعالى: ﴿ فَإِمّا تَرَيِنَّ مِنَ البَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً﴾(152).

فبين الشرط وجزائه جملة محذوفة يدل عليها المعنى، والتقدير: فإما ترين من البشر أحداً وسألك، أو حاورك الكلام، فقولي.

4 – ومن توسط الكلام المذكور بين الشرط والجزاء قوله تعالى: ﴿ يا أَيُّها النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَياةَ الدُّنيا وَزِينَتَها فَتَعالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وأُسَرِّحْكُنَّ سَراحاً جَمِيلاً﴾ (153).

(فتعالين) جملة معترضة بين الشرط وجزائه، ولا يضير دخول الفاء على جملة الاعتراض، كما في قول الشاعر:

واعلم– فعلم المرء ينفعه–
أن سوف يأتي كل ما قدرا(154)

5 – ومثله قوله تعالى: ﴿ فإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا، وَلَنْ تَفْعَلُوا، فاتَّقُوا النّارَ الّتي وَقُودُها النّاسُ والحِجارَةُ﴾ (155).

(11) نيابة الاستفهام عن جواب الشرط

قد يحذف جواب الشرط مع الاستفهام، وينوب هذا عنه ويدل عليه في مثل:

1 – ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعونَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ (156).

فجواب الشرط ما دلّ عليه الاستفهام في قوله (أغير الله)، وتقديره: إن أَتَتْكُمْ الساعة دعوتم الله(157).

2 – (قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أتاكُمْ عَذابُ اللهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلاّ القَوْمُ الظّالِمونَ﴾ (158).

الاستفهام هنا بمعنى التقرير، فلذلك ناب عن جواب الشرط، والتقدير: إنْ أتاكم هلكتم(159).

3 – ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُهُ بَياتاً أَوْ نَهاراً ماذا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ المُجْرِمُونَ﴾ (160).

فجواب الشرط محذوف، وليس هو (ماذا يستعجل منه المجرمون) ، لأن جواب الشرط إذا كان استفهاما فلا بد فيه من الفاء، تقول: إنْ زارني فلان فأيّ رجل هو؟ ولا يجوز حذفها إلاّ في ضرورة(161).

4 – ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ (162).

فالجواب في هذا الاستخبار محذوف، والتقدير: فإنهم سيقولون لا تقدر على شيء من ذلك(163).

5 – ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (164).

الجواب محذوف. تقديره: فقد ضللتم، ولذلك جاء فعل الشرط ماضياً(165).

وقد جاءت (أرأيت) في هذه الآيات بمعنى (أخبرني).

وقد اختار أبو حيان في الآيات (1–3) وأمثالها أن يكون الفعل (أرأيت) قد تنازع العمل مع فعل الشرط، وأعمل فعل الشرط، وجملة الاستفهام هي المفعول الثاني (لأرأيت)، وجواب الشرط محذوف، كما بيّنا(166).

كما يرى أنه قد حذف جواب الشرط وذُكر المفعولان في [4]، وحذف جواب الشرط والمفعول الأول (لأرأيت) في [5] (167).

(12) "إنْ" المدغمة في "لا" و"ما"

وردت "إنْ" مدغمة في "لا" في خمسة مواضع من القرآن الكريم، لم تخرج فيها عن عمل الجزم، ولم تستقل بحكم ما عن أحكامها العامة، وهذه الآيات هي:

1 – ﴿ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ (168).

2 – ﴿ إِلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ (169).

3 – ﴿ إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ﴾ (170).

4 – ﴿ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (171).

5 – ﴿ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (172).

أما مع "ما" فقد جاءت مدغمة [16] ست عشرة مرة، موزعة بين [13] ثلاث عشرة سورة، بغرض زيادة توكيد الكلام، وقع الخلاف بين النحاة في النون التي تدخل على الفعل بعدها، والميم التي تليها، أما أحكام الشرط معها فلم يطرأ عليها تغيير يذكر.

1 – ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (173).

لقد وليها هنا شرط، فالشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الأول. وهو مثل قولهم: إن جئتني فإن قدرت أحسنت إليك(174).

2 – ذكرنا أنه قد يحذف كلام بين الشرط والجزاء لدلالة المعنى عليه، في مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي﴾ (175)، تحت عنوان (توسط كلام بين الشرط والجزاء)، فيمكن الرجوع إليه.

3 – قد يحذف جواب "إمّا" لدلالة المعنى عليه، في مثل قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ، فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ (176).

والتقدير: فيقر عينك، ولايصح أن يكون (فإلينا يرجعون) جوابا، للمعطوف عليه والمعطوف(177).

4 – ذهب ابن عطية إلى أنه يلزمها النون الثقيلة في الأغلب: وقد لاتلزم، كقول الشاعر:

إِمَّا يُصِبْكَ عَدُوٌّ فِي مُنَاوَأَةٍ

إلاّ أنّ أبا حيان قال: هذه مسألة فيها خلاف: ذهب بعض النحويين أنها إذا زيدت بعد "إنْ" "ما" لزمت نون التوكيد، ولايجوز حذفها إلا في ضرورة، في مثل قوله

تعالى: ﴿وَإِمّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ القَوْمِ الظّالِمينَ﴾(178).

وذهب بعضهم أنها لا تلزم، وأنه يجوز في الكلام، وتقييده الثقيلة ليس بجيد، بل الصواب النون المؤكدة، سواء كانت ثقيلة أم خفيفة، وكأنه نظر إلى مواردها في القرآن، وكونها لم تجئ فيها بعد "إما" إلا الثقيلة(179).

وقال الزمخشري: إذا أفردت " إنْ " لايصح دخول النون المؤكدة في الفعل، فلا تقول: إن تكرمنَّ زيدا يكرمك، ولكن إمّا تكرمنّه(180).

5 – إذا جاءت "مَنْ" بعدها في مثل قوله تعالى: ﴿يا بَنِي آدمَ إمّا يأتِيَنّكُمْ رسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتي فَمَنِ اتَّقى وَأصْلَحَ فَلاَ خَوفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (181)، فتحتمل وجهين:

(ا) أن تكون شرطية، وجوابها (فلا خوف عليهم)، وتكون هذه الجملة الشرطية مستقلة بجواب الشرط الأول من جهة اللفظ.

(ب) أن تكون موصولة، فتكون هذه الجمة والتي بعدها من قوله تعالى :﴿والّذينَ كَذّبُوا بآياتِنَا واسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولئِكَ أصْحابُ النّارِ هُمْ فيها خَالِدُونَ﴾(182) بمجموعهما هو جواب الشرط.

فعلى هذا، الغرض منها التقسيم، وجُعل القسمان جوابا للشرط ، أي: إما يأتينكم، فالمتقون لاخوف عليهم، والمكذبون أصحاب النار، إذ هذا كله ثمرة إتيان الرسل وفائدته(183).

إلا أن ابن خروف قال: أجاز سيبويه الإتيان "بما" وأن لا يؤتى بها، والإتيان بالنون مع "ما" وأن لا يؤتى بها (184)، فقال: إن شئت لم تقحم النون، كما أنك إن شئت لم تجيء "بما"، يعني مع النون وعدمها(185).

(13) بعض آيات اخْتُلِف في معنى « إنْ » فيها

اختلف النحاة حول بعض آيات بين الشرطية وغيرها، وإن كان جانب الشرطية يترجح فيها أو في بعضها، ومن هذه الآيات:

1 – ﴿وَإنْ كُنْتُمْ في رَيْبٍ مِّمّا نَزَّلْنا على عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾(186).

قيل: إنها شرطية، وقيل : هي بمعنى "إذ"، وقيل: بمعنى "إذا"، والراجح أنها شرطية(187)، و(كان) معها ليست ماضية المعنى واللفظ، كما مر، لأن " إنْ " لاتدخل على فعل ماض في المعنى، إلا على كان لكثرة استعمالها، وأنها لاتدل على حدث، ولم تخلصه " إن " للاستقبال، وإن كان الريب وقعوا فيه حقيقة، كما زعموا، بل أخرج هذا الشرط في صورة المستقبل، أي هو مما يعرض وقوعه، وإن كان لا يمكن وجوده(188).

2 – ﴿وادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (189).

قيل: إنها جاءت في موضع "إذا"، وذلك كما يقول القائل: إن غَلبتُك لم أبق عليك، وهو يعلم أنه غالب، وذلك على سبيل التهكم، أوأنه أتى "بأن" على حسب ظنهم (190).

3 – ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِياءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (191).

قيل: إنها نافية، أي: ماكنتم مؤمنين، لأن الإيمان لا يجامع قتل الأنبياء. والأظهر أنها شرطية، والجواب محذوف ، تقديره: فلم فعلتم ذلك؟(192).

4 – ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا في قُلُوبِهِمُ العِجْلَ

بكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسمَا يأمُرُكُمْ به إيمانُكمْ إنْ كُنْتمْ مُؤْمنِينَ﴾ (193).

قيل: إنها نافية. وقيل: شرطية، وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله.

5 – ﴿ولَئِنْ أتيْتَ الذّين أُوتُوا الكِتابَ بكُلِ آيةٍ ما تَبعُوا قِبْلتكَ وَما أنْتَ بتابعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بتابعٍ قِبْلَةَ بعْضٍ ولَئِن اتّبعْتَ أهْواءَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ العِلْمِ إنّكَ إذاً لَمِنَ الظّالمينَ﴾(194).

قال الفراء والأخفش: " إنْ " هنا بمعنى " لو "، فلذلك كانت "ما" في الجواب ، فخالفه سيبويه، كما استبعده العكبري، لأن " إنْ " للمستقبل، و "لو " للماضي(195).

6 – ﴿يا أيُّها الّذينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طيباتِ ما رزقْناكُمْ واشْكُرُوا الله إنْ كُنْتمْ إيّاهُ تعْبُدُونَ﴾ (196).

قيل: إنها بمعنى " إذْ " ، وهو قول كوفي، وضعّفه أبو حيان، وقال: إنه شرط، الغرض منه التثبت و هزّ النفوس(197).

7 – ﴿ولايحِلُّ لهُنَّ أنْ يَكْتُمْنَ مَا خلَقَ اللهُ في أرْحامِهِنَّ إنْ كُنّ يُؤْمِنّ بالله وَاليوْم الآخرِ﴾ (198).

قيل: إنها بمعنى " إذ "، وهو ضعيف(199)، كما لايخفى.

8 – ﴿إنَّ في ذلك لآيةً لكُمْ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ﴾ (200).

قيل: إنها بمعنى "إذْ"(201).

9 – ﴿وذَرُوا ما بقي من الربا إنْ كُنْتمْ مُؤْمِنينَ﴾(202).

قيل: إنها بمعنى "إذْ". قال ابن عطية: وهذا مردود، لايعرف في اللغة(203).

10 – ﴿ولا تهِنُوا وَلا تحْزنُوا وأنْتُمُ الأعْلَوْنَ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(204).

قيل: هي بمعنى "إذْ". وقيل: هي باقية على شرطيتها(205).

11 – ﴿ قدْ بَيّنّا لَكُمُ الآياتِ إنْ كُنْتمْ تعْقلُونَ﴾ (206).

قيل: هي بمعنى "إذ"، أي: إذ كنتم عقلاء(207).

12 – ﴿وإنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فسوْفَ يُغْنيكُمُ الله مِنْ فضْله إنْ شاءَ﴾ (208).

قيل: هي بمعنى "إذ"، وهو قول مرغوب عنه(209).

13 – ﴿فإنْ كُنْتَ في شكٍّ ممّا أنزلْنا إلَيْكَ فاسْأل الّذين يقْرَءُون الكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾(210).

قيل: إنها نافية.

14 – ﴿قالتْ إنّي أعُوذُ بالرّحْمنِ منْكَ إنْ كُنْتَ تقيّاً﴾ (211).

قيل: هي نافية؛ أي:ماكنت تقيا بدخولك عليّ ونظرك إليّ (212).

15 – ﴿لَوْ أرَدْنا أنْ نَتّخِذَ لهْواً لاتّخذْناهُ مِنْ لدُنّا إنْ كُنّا فاعلينَ﴾ (213).

قيل: هي بمعنى "لو"، وقيل: بمعنى "ما". أي ما كنا فاعلين، مثل:(إن أنت إلا نذير)،أي: ما أنت إلاّ نذير. و"إنْ" بمعنى الجحد، وتم الكلام عند قوله:(لاتخذناه من لدنا). وقيل: إنه على معنى الشرط، أي: إن كنا فاعلين ذلك، ولكنا لسنا بفاعلين ذلك، لاستحالة أن يكون لنا ولد(214).

16 – ﴿ قُلْ إنْ كانَ للرّحْمنِ ولَدٌ فأنا أوّلُ العابدينَ﴾ (215).

قيل: هي "إنْ" النافية، أي: ماكان للرحمن ولد، فأنا أول من قال بذلك وعبد ووحد(216).

17 – ﴿ ولَقدْ مَكّنّاهُمْ فيما إنْ مَكّنّاكُمْ فِيهِ﴾ (217).

قيل: إنها زائدة، أي : في الذي مكّناكم(218).

18 – ﴿ فذكِّرْ إنْ نفعت الذِّكْرى﴾ (219).

قيل: "إنْ" بمعنى "إذْ"، كقوله : ﴿ وأنْتم الأعْلَوْن إنْ كنْتمْ مُؤْمنين﴾، أي: إذْ كنتم. لأنه لم يخبر بكونهم الأعلون إلاّ بعد إيمانهم(220). وقيل: هي بمعنى "قد" في هذه الآية والتي قبلها، أي: (فذكر قد نفعت، وقد مكناكم) (221).

أغراض "إنْ" الشرطية البلاغية

لقد استعرضنا بعض نماذج "إنْ" الشرطية النحوية القرآنية، ووقفنا على الحالات والأوضاع المختلفة التي جاءت فيها، و لم تكن هذه الصيغ إلا لتقدم غرضا بلاغيا رائعا، تتناسب عظمته وروعته وعظمة القائل.

إن المتتبع لهذه الأغراض البلاغية "لإنْ" الشرطية، واستقصاء حالات جواب الشرط المختلفة، يجد نفسه أمام دوحة عظيمة، ذات كمّ ضخم من هذه الأغراض، إذ إن الغاية تؤخذ من جواب الشرط، لا من الشرط.

وإذا قلنا: الغرض من الشرط كذا، فإننا نقصد بذلك أسلوب الشرط بصورة عامة.

لقد انقسمت المحاور التي دار حولها جواب الشرط إلى خمسة أقسام ، وسنعرض للغرض البلاغي الواحد مرتبطا بهذه المحاور، لنرى أكثرها توظيفا وأوسعها انتشاراً. وهذه المحاور هي:

أ – إذا كان الجواب بلفظ الأمر الصريح، أو في حيز الأمر، أو أمرا محذوفا على رأي من لا يرى تقدمه، ويدل عليه الكلام، أو كان متقدما على الرأي الآخر.

ب – إذا كان الجواب في حيز الاستفهام.

ج – إذا كان الجواب في حيز القسم.

د – إذا كان الجواب في حيز النهي.

هـ – إذا كان الجواب عاديا خارجا عن الحالات السابقة، سواء أكان إيجابا أم نفيا. وفيما يلي بعض النماذج لبعض الأغراض، على سبيل المثال، لا الحصر.

1 – التهكم والتعجيز

جاء جواب الشرط مع "إن" في حيز الأمر كثيرا، وأقل منه مع الاستفهام والقسم، لأداء الغرض المذكور. وفيما يلي أمثلة لذلك:

*** الأمر :**

– ﴿ وإنْ كُنْتُمْ في رَيْبٍ مّما نزّلْنا على عبْدِنا فأْتوا بسُورةٍ منْ مثْله وادْعُوا شُهداءَكُمْ منْ دون الله إنْ كُنْتُمْ صادقين﴾ (222).

فقد أخرج الشرط في صورة المستقبل، أي مما يعرض وقوعه، وإن كان لا يمكن وجوده، على سبيل التهكم والتعجيز ممن هم في ريب من المنزّل. فالتعجيز في قوله (فأتوا)، والتهكم في (وادعوا شهداءكم). وقد جاء "بإنْ" في موضع "إذا" تهكما، كقول القائل: إن غلبتك لم أبق عليك، وهو يعلم أنه غالب (223).

– ﴿ قال إنْ كُنْتَ جئْتَ بآيةٍ فأْتِ بها إنْ كُنْتَ منَ الصّادقين﴾ (224).

فالغرض من الأمر التعجيز والاختبار في طلب فرعون، بإبراز الآية، من موسى عليه السلام.

– ﴿ قلْ فأْتوا بكتابٍ منْ عنْد الله هو أهْدى منْهُما أتّبعْهُ إنْ كُنْتمْ صادقينَ﴾ (225).

فالتعجيز في (فأتوا بكتاب).

﴿ فإنْ كانَ لكُمْ كَيْدٌ فكِيدُون﴾ (226).

*** الاستفهام:**

–﴿ قُلْ فلِمَ تَقْتُلون أنْبياءَ الله منْ قَبْلُ إنْ كُنْتمْ

مُؤْمِنِينَ﴾(227).

والمعنى: ماكنتم مؤمنين، لأن من قتل أنبياء الله لايكون مؤمنا، لأن الإيمان لا يجامع قتل الأنبياء؛ أي: إن كنتم مؤمنين فلم فعلتم ذلك؟ وهو كقولك لمن بدا منه ما لا يناسبه: فعلت كذا وأنت عاقل بزعمك؟ (228) على سبيل التهكم والاستهزاء.

*** القسم:**

القسم هو الحَلِف. وسمي قسما لأنه يكون عند انقسام الناس مابين مصدق ومكذب، فكأن الحالف أو المُقْسِم يقوّي القِسْمَ الذي يختاره، ويؤكد الأمر المقسم عليه. فالغرض العام من القسم هو التوكيد الذي يحمل، أحيانا، أغراضا بلاغية منها التهكم والتعجيز والتحدي.

– ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والجِنُّ على أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذا القُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ولَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (229).

فقد اختلفت الأساليب الفصيحة ههنا مع "إنْ" إلا أنها اتحدت في الغرض، وهو التهكم والتعجيز من تلك الفئة التي تشاقق الله ورسوله في كل مكان وزمان، وتبتغي إخماد صوت الحق وإطفاء نور الله.

2 – المبالغة في التهديد والوعيد

لقد كثرت أساليب الوعيد للمعاندين السادرين في غيّهم الذين أخذتهم العزة بالإثم، تناشدهم أن يتوبوا إلى رشدهم. فما جاء مع « إنْ » في هذا الغرض قوله تعالى:

*** الأمر:**

– ﴿ فإنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ ورَسُولِهِ﴾ (230).

فالغرض من الأمر الوعيد والتهديد، لأن الحرب داعية للقتل(231). إذ لا تهديد أو وعيد أعظم من التهديد بالقتل.

– ﴿ وإنْ كانَ طائفةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بالّذي أُرْسِلْتُ بِهِ وطائفةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حتّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنا وهو خَيْرُ الحَاكِمِينَ﴾ (232).

فالأمر بالصبر هنا، للطائفة التي لم تؤمن، تهديد، لأن حكم الله بين الطائفتين لن يكون إلا بنجاة المؤمنة وهلاك الكافرة.

– ﴿وإنْ كَذَّبوكَ فقُلْ لي عَمَلِي ولَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بريئُونَ مِمّا أَعْمَلُ وأَنا بَرِيءٌ مِمّا تَعْمَلُونَ﴾ (233).

فالأمر هنا يفيد المنابذة والموادعة المتضمنة للوعيد والتهديد.

– ﴿ قُلْ إنْ كَانَ آباؤُكُمْ وأبْناؤُكُمْ وإخْوانُكُمْ وأزْواجُكُمْ وعَشِيرَتُكُمْ وأمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَها ومَساكِنُ تَرْضَوْنَها أحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ ورَسُولِهِ وجِهادٍ في سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حتّى يأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ واللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ﴾ (234).

فالأمر في قوله تعالى (فتربصوا) تهديد ووعيد ليس أشد منه، لأن الآية تنعي على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين(235). وهو مثل قوله تعالى: ﴿ اِعْمَلُوا ما شِئْتُمْ إنَّهُ بِما تعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(236). فليس الأمر هنا يقصد به مطلق حرية العمل دون محاسبة، وإنما هو تهديد، كقولك لمن يعصيك: افعل ما تريد.

*** القسم:**

– ﴿وقالَ اللهُ إنّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وآتيتُمُ الزَّكَاةَ وآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وعَزَّرْتُموهُمْ وأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً لأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ ولأُدْخِلَنَّكُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ

تحتِها الأنْهارُ فمَنْ كفرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فقدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبيلِ﴾ (237).

-﴿وإذْ تأذّنَ ربُّكُمْ لئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزيدَنَّكُمْ ولئِنْ كَفَرْتُمْ إنَّ عذابي لشَديدٌ﴾ (238).

فالوعد بزيادة نعمة إلى نعمة، والوعيد بمضاعفة العذاب.

- ﴿ ولئِنْ لمْ يفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَاً مِنَ الصَّاغِرينَ﴾ (239).

ففي قول امرأة العزيز تهديد وإصرار.

* **خروج الشرط عن الأمر، والاستفهام**، والقسم، والنهي، أي عادي ، نفيا أو إيجابا:

- ﴿وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أنْ يكْتُمْنَ ما خَلَقَ اللهُ في أرْحامِهِنَّ إنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ باللهِ واليومِ الآخرِ﴾ (240).

إنّ من اتصف بالإيمان لا يقدم على ارتكاب ما لا يحل له، وفيه إيعاد وتعظيم للكتم، وتهديد لمن فعل ذلك، وهو شبيه بقولك: إن كنت مؤمنا فلا تظلم، وأنت مؤمن فلا تظلم(241) .

- ﴿ فَإنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ وإنْ يَتوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذاباً أليماً﴾ (242).

ففي الشرط الأول إحسان ولطف منه تعالى بهم ووعد بالخير، وفي الثاني تهديد بتعذيبهم في حالة الديمومة على التولّي(243).

- ﴿ وإنْ يُكَذِّبوكَ فقدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وعادٌ وثَمُودُ﴾ (244).

فيه وعيد لقريش وتسلية للرسول صلى الله عليه وسلم.

- ﴿ وَإنْ جادَلُوكَ فَقُلِ اللهُ أعْلَمُ بما تَعْمَلُونَ﴾(245).

فيه إنذار ووعيد، ولكن برفق ولين.

- ﴿ إنْ يَشأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَديدٍ﴾ (246).

فيه وعيد بالإهلاك.

3 – هز النفس وحفز الهمة وحضها

من الأغراض التي حَرَصَ القرآن الكريم على إبرازها، حفز الهمة، وتحريك النفس المؤمنة، وحثها على المسارعة في فعل الخيرات، بالوسائل التعبيرية المختلفة، ومن ذلك أسلوب:

***الأمر:**

- ﴿ يا أيُّها الذينَ آمنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ واشْكُرُوا لِلّهِ إنْ كُنْتُمْ إيّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (247).

ففي الأمر تثبت من صدق العبادة وهز للنفوس، كما نقول لمن هو متحقق العبودية، إنْ كنت عبدي فأطعني، وهو عبدك حقا، ليكون أدعى للطاعة وأهز لها.

- ﴿ يا أيُّها الذينَ آمَنُوا أطِيعُوا اللهَ وأطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللهِ والرَّسولِ إنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ﴾ (248).

فالدليل على قصد الدعوة والحضّ على اتباع الحق أنه ناداهم في أول الآية بقوله: (يا أيُّها الّذِينَ آمَنُوا)، كما أنّ في الآية إشعاراً بوعيد من لم يرد الأمور إلى الله والرسول(249).

- ﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ إنْ كُنْتُمْ بِآياتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ (250).

فيه حثّ على أكل ما أُحلّ، وترك ماحُرّم، وعدم مخالفة أمر الله (251).

- ﴿ وَأَطِيعُوا اللهَ ورَسُولَهُ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (252).

أي: إن كنتم كاملي الإيمان فأطيعوه، ففيه حث وحفز الهمة.

* **القَسَم:**

-﴿ وكَذلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكماً عَرَبِيّا ولئِـن اتّبعْـتَ أَهْوَاءَهُـمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِـنَ الْعِلْـمِ مـا لَـكَ مِـنَ اللهِ مِـنْ وَلِـيٍّ ولا وَاقٍ﴾ (253).

فهو من باب الإلهاب والتهييج، والبعـث للسـامعين علـى الثبات في الدين والتصلب فيه(254).

* **النهي:**

- ﴿ولا تَأْخُذْكُمْ بهما رَأْفَةٌ في دينِ اللهِ إنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ﴾ (255).

* **أسلوب الشرط عادي:**

- ﴿ إِنَّ في ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (256).

ففي المعجـزات الـتي جـاء بهـا عيسـى- عليـه السـلام - قومه، تثبيت لنفوسهم وتطمين لها، وهو من باب قولـك لابنك: أطعني إن كنت ابني، ومعلـوم أنـه ابنـك، ولكـن تريد أن تهزه بذكر ما هو محقـق، وهـو البنـوة، فجعلتهـا معلقـة علـى مـا قبلهـا، وهـي الطاعـة ، علـى سـبيل أن تحصل. وهذا المعنى لمن آمن من قومه، وهـم الحواريـون. أمـا إذا كـان الكـلام لمـن لم يؤمـن منهـم، ففيــه توبيـخ وتقريع(257).

- ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآياتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (258).

فقد علم تعالى أنهم عقلاء ، لكن علقه على هذا الشـرط على سبيل الهز للنفوس ، كقولك: إن كنت رجلاً فافعل كذا (259).

- ﴿ وَلاَ تَهِنُـوا وَلاَ تَحْزَنُـوا وَأَنْتُـمُ الأَعْلَـوْنَ إِنْ كُنْتُـمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (260).

علق قوله تعالى: (إن كنتم مؤمنين) بالنهي، فيكون ذلـك هزّاً للنفوس يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله(261).

يمكن أن يدخل هذا تحت النهي السابق. أو تحت أسلوب الشـرط العـادي علـى تقديـر : إن كنتـم مؤمنـين فـأنتم الأعلون، وعلى النهي يكون : إن كنتم مؤمنين فلا تهنوا ولاتحزنوا.

- ﴿ يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودوا لمثلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُمْ مُؤمنـينَ﴾ (262).

4 – التحدي

جاء التحدي بين معسكري الحق والبـاطل مسـافراً بـين معسكري الحق والبـاطل في كثـير مـن الآيـات بأسـلوب الشرط وغيره، مع "إنْ" وغيرها، فممـا جـاء مـع " إنْ" في:

* **الأمر:**

- ﴿ قُلْ إِنْ كانتْ لَكُمُ الـدّارُ الآخِـرةُ عِنْدَ اللهِ خالصـةً مِنْ دُونِ الناسِ فَتَمَنَّوُا المَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (263).

الخطاب للذين هادوا الذين زعمـوا أنهـم أوليـاء لله مـن دون الناس، فتحداهم بتمني الموت، لأن من أيقن أنه مـن أهل الجنة اختار أن ينتقل إليها، وفي الآية إظهار لكذبهـم (264).

- ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتراهُ قُلْ فَأْتُوا بسُورَةٍ مِثْلِـهِ وادْعُـوا مَـنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(265).

أي: إن كنتم صادقين ، فادعوا من استطعتم. وقد يدخل هـذا المعنـى تحـت بـاب التعجيـز والتهكـم، كمـا مـر، فتتناوب بعض الآيات بعض الأغراض أو تتقارب.

* **القَسَم:**

- ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والجِنُّ عَلَـى أَنْ يَـأْتُوا بمثْـلِ هـذا القُـرْآنِ لاَ يـأْتُونَ بِمِثْلِهِ ولَـوْ كـانَ بَعْضُهُـمْ لِبَعْـضٍ ظَهِيراً﴾ (266).

فأي تحد وتعجيز أعظم من هذا؟؟

5 – النصح والإرشاد

لم يألُ القرآن جهداً في توجيه النصح لكل منكر بأنواع التعبير المختلفة، من مثل:

*** الأمر:**

– ﴿فإنْ لم تفْعَلُوا ، ولَنْ تفْعَلُوا ، فاتّقُوا النّارَ الّتي وَقُودُها النّاسُ والحِجارَةُ﴾ (267).

لما علم أنهم عاجزون عن معارضة القرآن، وثبت عجزهم عن ذلك، نصحهم وأرشدهم، وأمرهم باتقاء النار،ولا يكون ذلك إلا بالإيمان بالله ورسوله وكتابه.

*** النهي:**

– ﴿يا نساء النّبيّ لسْتُنّ كأحدٍ من النّساء إن اتّقيْتُنّ فلا تخْضَعْنَ بالقوْلِ فيطْمَعَ الذي في قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ (268).

6 – التنبيه والتحذير

دأب القرآن في دعوته على التنبيه من الوقوع في المخالفات والتحذير من مغبة ذلك، بأساليبه المتجددة عن طريق:

*** الاستفهام:**

– ﴿قلْ أرأيْتُمْ إنْ أتاكُمْ عذابُهُ بياتاً أوْنهاراً ماذا يَسْتَعْجِلُ مِنه المُجْرِمون﴾؟ (269)

ففيه تلطف في خطاب الرسل وتنبيه للمنكرين وتحذير، وتعجب من مواقفهم.

*** القسم:**

– ﴿ولَئِنْ أصابكُمْ فضْلٌ مِنَ اللهِ ليَقُولَنّ كأنْ لم تكنْ بينكُمْ وبَيْنَهُ مَوَدّةٌ يا لَيْتَني كنتُ مَعَهُمْ فأفُوزَ فَوْزاً عَظيماً﴾ (270).

ففيه تنبيه وتحذير المؤمنين من المنافقين الذين لايعدون من المنح إلا أغراض الدنيا، ولا من المحن إلاّ مصائبها(271).

– ﴿فلمّا رأى القَمرَ بازِغاً قالَ هذا ربّي فلمّا أفلَ قالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِني رَبّي لأكونَنّ مِنَ القَوْمِ الضّالّين) (272).

فيه تنبيه لقوم إبراهيم عليه السلام على أن من اتخذ القمر إلهاً فهو ضال،وأن الهداية إلى الحق بتوفيق الله ولطفه (273).

*** النهي:**

– ﴿فإنْ أطعْنَكُمْ فلا تبْغُوا عَلَيْهِنّ سَبيلاً إنّ الله كانَ عَلِيّاً كَبيراً﴾ (274).

الذي يدل على التحذير في الآية، قوله تعالى: (إنّ الله كان عليّا كبيراً)، فيوحي بأنّ قدرته عليكم أعظم من قدرتكم على من تحت أيديكم(275).

– ﴿فإنْ شَهِدُوا فلاَ تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ (276).

– ﴿وإنْ جاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا﴾ (277).

– ﴿وَإنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فلا تُطِعْهُما﴾ (278).

*** الشرط عادي:**

– ﴿إنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أيُها النّاسُ ويَأْتِ بِآخَرِينَ﴾(279).

– ﴿إنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ (280).

– ﴿إنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ويَأْتِ بخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾(281).

ففيه إظهار القدرة التامة والغنى المطلق وعمومية الخطاب، والتحذير من بطشه تعالى(282).

7 – الاستبعاد

تمادى أهل الكفر بالعناد ظناً منهم أنهم بمنأى عن العذاب، فعبروا عن ذلك بطرق، منها :

* **الاستفهام:**

- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذا الوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(283).

أي: لستم صادقين، على سبيل استبعاد العذاب أو البعث، والاستخفاف بأقوال الرسل.

* **أسلوب الشرط عادي:**

- ﴿وَلاَ يزالُونَ يُقَاتِلُونكُمْ حَتّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطاعُوا﴾(284).

فيه استبعاد لاستطاعتهم، كقول الرجل لعدوه: إن ظفرتَ بي فلا تُبْقِ عليَّ،وهو واثق أنه لايظفر به(285).

- ﴿ فإِنْ يَخرُجُوا مِنْها فإنّا داخِلُونَ﴾(286).

فيه استبعاد وقوع الشرط ، وهو خروج الجبارين، وبالتالي استبعاد وقوع الجواب، لأنه معلق عليه، وهو الدخول، ففيه تعليق الدخول على شرط ممكن وقوعه (287).

- ﴿ أَمْ يَقُولونَ افْتَرَى علَى اللهِ كَذِباً فإِنْ يَشَإِ اللهُ يَخْتِمْ على قَلْبِكَ﴾ (288).

فاستبعاد الجواب، وهو الختم، محقق، لاستبعاد الشرط، وهو الافتراء منه صلى الله عليه وسلم.

8 – خروج الشرط مخرج الممكن، وإبراز اليقين في صورة الاحتمال، والفرض والتقدير

هناك أمور لا يمكن تحققها، لم يسكت القرآن عنها، بل أبرزها في صورة الممكن على سبيل الافتراض، بضروب من القول، لأغراض متباينة، بطرق ، منها:

* **الأمر:**

- ﴿قُلْ فَأْتُوا بالتَّوْراةِ فَاتْلُوها إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(289).

لقد خرج قوله تعالى: (إن كنتم صادقين)، مخرج الممكن، وهو معلوم كذبهم، وذلك على سبيل الهزء بهم، كقولك: إن كنت شجاعا فالقني، ومعلوم عندك أنه ليس بشجاع، ولكن هزئت به، إذ جعلت هذا الوصف مما يمكن أن يتصف به(290).

- ﴿ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ المَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (291).

أي: إن كنتم رجالاً دفاعين لأسباب الموت، فادفعوا جميع أسبابه حتى لاتموتوا، فالأمر يحمل معنى السخرية والاستهزاء، إذ لا يمكن لأحد أن يدفع الموت.

- ومما برز فيه الشرط في صفة إمكان وقوعه، وإن كان واقعا، ولكن ليس للهزء والسخرية:

﴿ وإنّما ذَلِكُمُ الشَّيْطانُ يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ فَلاَ تَخافُوهُمْ وخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (292).

فوصف الإيمان يناسب ألاّ يخاف المؤمن إلاّ الله، فأبرز هذا الشرط في صفة الإمكان، وإن كان واقعا، إذ هم متصفون بالإيمان، كما تقول: إن كنت رجلاً فافعل كذا، ومعلوم أنه رجل(293). ومثل هذا في القرآن كثير. كما يمكن إدراج هذه الآية تحت أسلوب النهي، على تقدير: (إن كنتم مؤمنين فلا تخافوهم).

- ﴿ فَأْتِنَا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (294).

ففيه سخرية من هود، عليه السلام، ودعوته.

* **الاستفهام:**

- ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هو في شِقاقٍ بَعِيدٍ﴾ (295).

فقد أبرز الشرطُ اليقينَ الذي لاشك فيه، وهو كون القرآن من عند الله، في صورة الاحتمال، وهو من عند الله بلا شك (296).

* **القسَم:**

– ﴿ وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً﴾ (297).

أي: لو فرض وقدر له البعث والرجعة، أو على معنى الاستحقاق والاستئهال(298).

– ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وإلى الذين مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرِينَ﴾ (299).

المحالات يصح فرضها لأغراض فكيف بما ليس بمحال؟ وهو مثل قوله تعالى: ﴿ ولَوْ شاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ في الأَرْضِ كُلُّهُمْ جميعاً﴾(300). ولن يكون ذلك لامتناع الداعي إليه ووجود الصارف عنه(301).

* **عادية أسلوب الشرط:**

– ﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لا يُؤْخَذْ مِنْها﴾(302).

أي: لو قدر أنها تملك الفدية يوم القيامة لن تقبل منها.

– ﴿ قُلْ إن افْتَرَيْتُهُ فَلاَ تَمْلِكُونَ لي مِنَ اللهِ شَيْئاً﴾ (303).

ففي الآية فرض لا يمكن وقوعه، وهو افتراء القرآن أو الوحي على الله، بل هو مستحيل.

9 – التوبيخ، والذم، والتحقير

كثيراً ما ينعي القرآن على الذين يلجّون في طغيانهم ويمعنون في باطلهم، ينعي عليهم مواقفهم، مجادلاً أن يردهم بالحكمة والموعظة الحسنة، بأساليب فصيحة، طالما عرفوها، فإن لم يُجْدِ ذلك معهم، خاطبهم بما يتفق والمقام، ولكن بلطف وأدب، أيضا، ومن هذه الأساليب:

* **الأمر:**

–﴿ فإنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (304).

أي: سترون أيها المتولون عاقبة توليكم، فالغرض من الأمر التوبيخ والتهديد(305).

– ﴿ فذكِّرْ إنْ نَفعَتِ الذِّكْرَى﴾ (306).

فالمعنى على استبعاد انتفاع طغاة قريش بالذكرى، كقول الشاعر:

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نادَيْتَ حَيّاً

وَلَكِنْ لاحياةَ لِمَنْ تُنادِي

وهو كقولك أيضا: قل لفلان وأعد له إنْ سمعك، فقوله: (إن سمعك) إنما هو توبيخ وإعلام أنه لن يسمع(307). وقد يكون من باب الاستبعاد كما مر.

* **القسم:**

– ﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ (308).

ذمهم لأنهم لم يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وكفروا (309).

* **الشرط عادي:**

– ﴿ وَقَالَ مُوسَى إنْ تَكْفُرُوا أَنتُمْ ومَنْ في الأَرْضِ جَميعاً فإنّ اللهَ لَغَنِيٌّ حَميدٌ﴾ (310).

ففي الخطاب تحقير لشأن المخاطبين وتعظيم لشأن الله تعالى.

10 – الإنكار، والاستعجال، والسخرية

من طبيعة النفس البشرية التي لم يلامس الإيمان شغاف قلبها، أن تجنح، أحيانا، إلى إنكار الحق ومعارضته، والتمادي فيه، فلا بد، والحالة هذه، من مواجهتها بأسلوب يهزها لتثوب إلى رشدها، وقد يجيء الإنكار على صورة:

* **الأمر:**

- ﴿ وإذْ قالُوا اللّهُمَّ إنْ كانَ هذا هُو الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجارَةً مِن السّماءِ أوِ ائْتِنَا بِعَذابٍ أليمٍ﴾ (311).

ففي أسلوب الشرط مبالغة في إنكار الحق عظيمة.

- ﴿ فأْتِنا بما تَعِدُنا إنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾ (312).

إنهم ينكرون على نبيهم هود - عليه السلام- دعوته، فهم إما يسخرون، وإما يستعجلون العذاب، لاعتقادهم أنه غير صادق.

* **القَسَم:**

- ﴿ ولَئِنْ قُلْتَ إنّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ المَوْتِ لَيَقُولَنَّ الّذين كفَرُوا إنْ هذا إلاّ سِحْرٌ مُبينٌ﴾ (313).

- ﴿ ولَئِنْ أخّرْنا عَنْهُمُ العَذابَ إلى أُمَّةٍ مَعْدُودةٍ لَيَقُولُنَّ ما يَحْبِسُهُ﴾ (314).

ففى الآية الأولى إنكار، وفي الثانية إنكار مع استعجال على وجه التكذيب والاستهزاء(315).

11 - التخيير، والإباحة، والتلطف في الاستدعاء

لم يحجر الشارع على العباد ويحصرهم في دائرة ضيقة، بل ترك لهم حرية الاختيار في المباحات، ودعاهم إلى وجود البر، بتلطف وعطف، بألفاظ منها:

* **الأمر:**

-﴿ وَإنْ خِفْتُمْ ألاّ تُقْسِطُوا في اليَتامى فانْكِحُوا ما طابَ لكُمْ مِنَ النّساءِ مَثْنى وثُلاثَ وَرُباعَ، فإنْ خِفْتُمْ ألاّ تَعْدِلُوا فَواحِدَةً أوْ ما مَلَكَتْ أيْمانُكُمْ ذلكَ أدْنى ألاّ تَعُولُوا﴾ (316).

جاء الشرط، هنا، للتخيير بين شيئين للإشعار بالمساواة بينهما، والتلطف والعطف على المخاطبين وذوي الشأن من المكلفين، والتعطف على النساء والنظر لهن، وجاء التخيير مشعراً بالمساواة بينهما في الحكمة المطلوبة من سكون النفس بالازدواج وتحصين الدين، وكل ذلك حاصل بالطريقين(317).

- ﴿ فإنْ طِبْنَ لكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً﴾ (318).

فجواب الشرط (فكلوه) مؤذن بالإباحة بالانتفاع بهذا الشيء، وإن كان بلفظ الأمر.

- ﴿ إنْ تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضاعِفْهُ لَكُمْ﴾ (319).

ففي لفظ القرض تلطف في الاستدعاء، وفي لفظ المضاعفة تأكيد للبذل لوجه الله تعالى(320).

12 - الحرص على طلب الاستدامة والكمال، أو على أمر ما، أو سلوك معين

يحرص الإسلام على تربية أتباعه بحثهم على نشدان الكمال، والتمسك بما يقودهم إلى شاطئ النجاة، متوسلا إليهم بشتى الطرق، مثل:

* **الأمر:**

- ﴿ يا أيُّها الّذِينَ آمَنُوا اتّقُوا اللهَ وَذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الربا إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (321).

فالغرض من الأمر بترك الربا الاستدامة والكمال، وكأن الإيمان لا يتكامل إذا أصر الإنسان على كبيرة، وإنما يصير مؤمنا بالإطلاق إذا اجْتُنِبَت الكبائر(322).

* **القسم:**

- ﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ في سَبِيلِ اللهِ أوْ مُتُّم لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعُونَ﴾ (323).

- ﴿ وَلَئِنْ مُتُّمْ أوْ قُتِلْتُمْ لإلَى اللهِ تُحْشَرُونَ﴾ (324).

فالغرض من الآيتين الحرص على القتل في سبيل الله، ونيل الشهادة، وتحقير أمر الدنيا، وأن مصير العالم كلهم إلى الله.

*** النهي:**

– ﴿ فإنْ لَمْ تَجِدُوا فيها أَحَداً فَلاَ تَدْخُلُوها حَتّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ (325).

ففي النهي حثّ وتعليم لسلوك آداب الاستئذان على الآخرين.

13 – الإقرار والاعتراف والاعتذار

سجل القرآن بعض المواقف التي أقر فيها أصحابها بخطئهم، واعترفوا بذنوبهم، واعتذروا عما بدر منهم، في أكثر من صورة، منها:

*** القسم:**

– ﴿ قالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنا ويَغْفِرْ لنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرِينَ﴾ (326).

فيه انقطاع إلى الله تعالى واعتراف بعظم ما أقدموا عليه باتخاذهم العجل.

– ﴿ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يا وَيْلَنا إنّا كُنّا ظَالِمِينَ﴾ (327).

فيه إقرار بظلمهم أنفسهم بإعراضهم في الدنيا مع إذعان وتذلل(328).

– ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ (329).

في الآية إما إقرار بما هو حجة عليهم، وإما نفي الأنداد والشركاء عن الله(330).

*** النهي:**

– ﴿ قالَ إنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِي﴾ (331).

في النهي اعتذار عن تكرار الاعتراض وإقرار بخطأ، وطلب التجاوز عنه.

14 – المبالغة:

لقد ورد الشرط عادياً للمبالغة في الأمر في مواضع كثيرة، منها:

– ﴿ فإنِ انْتَهَوْا فَلاَ عُدْوَانَ إلاّ عَلَى الظّالِمِينَ﴾ (332).

فهذا النفي العام يراد به النهي، أي: فلا تعتدوا ، وذلك على سبيل المبالغة، لأنهم إذا أرادوا المبالغة في ترك الشيء عدلوا فيه عن النهي إلى النفي المحض العام، فسار ألزم في المنع، إذ صار من الأشياء التي لا تقع أصلاً(333).

– ﴿ فإنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ (334).

حيث عبر بصيغة الماضي المصحوب "بقد" الدالة على التحقيق، مبالغة في الإخبار بوقوع الهدي بها (335).

– ﴿ إنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ (336).

حيث بالغ عيسى – عليه السلام – في إظهار الأدب مع ربه، وفي إظهار الذلة والمسكنة وتفويض الأمر إليه سبحانه بالكلية(337).

– ﴿ إنْ تُعَذِّبْهُمْ فإنَّهُمْ عِبادُكَ وإنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإنَّكَ أَنْتَ العزيزُ الحَكِيمُ﴾ (338).

القول في هذه الآية كالقول في سابقتها.

– ﴿ وَإنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلا كاشِفَ لَهُ إلاّ هُوَ﴾ (339).

جاء الجواب بالحصر دالا على المبالغة في الاستقلال بالكشف.

– ﴿ وَإنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَ يُؤْمِنُوا بِها﴾ (340).

فالغرض الإخبار عن المبالغة التامة والعناد المفرط في عدم

الإيمان، ولو برؤية الدلائل على صدق الرسول(341).

15 – الأمر والنهي حقيقة

كما أن الشرط يأتي في سياق الأمر والنهي لأغراض بينا بعضها، فهو يأتي ، أيضا، للأمر والنهي حقيقة، فالأمر في مثل قوله تعالى:

– ﴿ فإنْ لَمْ يَعْتَزِلوكُمْ ويُلْقُوا إليْكُمُ السَّلَمَ ويَكُفُّوا أيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ واقْتُلوهُمْ حَيْثُ ثَقِفتُموهُمْ﴾ (342).

فالقصد من جواب الشرط التأكيد في حقهم والتشديد في قتلهم وأخذهم بلفظ الآمر الصريح.

والنهي في مثل قوله تعالى:

– ﴿ قالَ فإنِ اتَّبعْتَني فلاَ تَسْألْني عنْ شيْءٍ حَتّى أُحْدِثَ لكَ مِنْهُ ذِكْراً﴾ (343).

وقد جاء النهي هنا بلطف.

وهذا وأمثاله في القرآن كثير.

16 – قد يأتي الشرط بغرض **تنويع الكلام في الفصاحة**، كما نجده في قوله تعالى:

– ﴿ إنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فلاَ غَالِبَ لَكُمْ وإنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذا الّذي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾؟ (344).

فقد تنوع الغرض في الآية مع تماثل الشرطين، إذ جاء جواب (إن ينصرْكم) بصريح النفي العام، وجواب (إن يخذلْكم) يتضمن النفي، وهو الاستفهام، على سبيل التلطف بالمؤمنين، حتى لا يصرح لهم بأنه لا ناصر لهم، بل أبرز ذلك في صورة الاستفهام الذي يقتضي السؤال عن الناصر، لكن فرق بين الصريح والمتضمَّن، فلم يُجْرِ المؤمنين في ذلك مجرى الكفار الذي نص عليهم بالصريح أنه لا ناصر لهم، في قوله تعالى: ﴿ وكأينْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلاَ نَاصِرَ لَهُمْ﴾ (345).

* * *

وبعد، فهذه باقة من الأساليب القرآنية الشرطية المتنوعة مع "إنْ" بأغراضها البلاغية، وهي غيض من فيض، استعرضنا فيها الأوضاع المختلفة لهذه الأداة، مع اتحاد الغرض الواحد، في كلام لا تكلف فيه ولا صنعة، فهل نجد مثل هذه الأساليب بهذه الأغراض في كلام العرب؟

لانستطيع القول بأن لغة العرب خلو من مثل هذه الأساليب على كر العصور، فهي لغتهم، وجاء القرآن بها متحديا لهم، إذ تحدى فصحاءهم وبلغاءهم بنفس لغتهم وآلة تخاطبهم، والتحدي لايكون إلا بين مثلين.

لهذا يمكننا القول بأن مثل هذه الأساليب موجودة عندهم، لأن القرآن قد جاء بالأساليب الكثيرة المتداولة لديهم التي كان يملك ناحيتها الخاصة منهم.

ولعله من المستحسن أن نسوق بعض الأمثلة هنا، وقد مر بعضها، تيسيراً على القارئ، فمن ذلك:

– جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ قُلْ إنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وأَبْنَاؤُكُمْ.....أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ (346)، إذ ليس المقصود بالأمر في الآية حرية التصرف، بل هو تهديد ووعيد.

ونظير هذا عند العرب قولك لمن يعصيك: افعل ما تريد إن شئت.

– وفي القرآن:﴿ يَا أَيُّها الّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيباتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلّهِ إنْ كُنْتُمْ إِيّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (347).

ونظيره عندهم قولك لابنك: أطعني إنْ كنت ابني، وأنت تعلم أنه ابنك ليكون ذلك أدعى لحفز النفس وحثها على الطاعة.

وقولهم: إن كنت رجلاً فافعل كذا، وأنت تعلم أنه رجل، لتهيجه على الطاعة.

– وفي القرآن: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (348).

نظيره عندهم قولك: إنْ كنت شجاعا فالقني في مكان كذا، ومعلوم عندك أنه ليس بشجاع، ولكن هزئت به.

ومثله سماعي لبعضهم يقول لآخر: ارفع هذا الثقل، أو افعل كذا إن كان في وجهك شارب، أي: إن كنت بلغت مبلغ الرجال، على سبيل التحدي والسخرية.

– وفي القرآن: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ؟(349).

نظيره عندهم قولك لمن تصرف تصرفا لا يلين: لِمَ فعلتَ هذا إنْ كنتَ عاقلا؟

– وفي القرآن: ﴿ولاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ (350).

ومثله عندهم: لا تظلم إن كنت مؤمنا؛ ولاتكذب إن كنت شجاعاً. فالغرض هو التهديد والوعيد لمن يكتم أو يظلم.

– وفي القرآن: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (351).

ونظيره: إن ظفرت بي فلا تبق عليّ، وهو واثق أنه لن يظفربه، ومثله: إن صرعتني فخذ سلاحي، أو إن قدرت عليّ فخذ ثوبي، وما أشبه ذلك.

وهكذا نجد عندهم مثل هذه الأساليب ، أمرا، واستفهاما، ونهيا، وغير ذلك، وإن كان الأمر أكثرها حظا وورودا.

ولن نعدم وجود مثل هذه الأساليب في سعة الكلام في الأساليب الأدبية الحديثة الفصحى، في العصور السابقة والعصر الحديث.

وهكذا نجد أن أدوات الشرط الأساسية، وهي: "إنْ" و"إذا" و "لو" تظهر الفروق الدقيقة في معانيها في الاستعمال العربي القديم، لكننا نجد كثيرا من الكتّاب والأدباء في العصر الحاضر لايدركون تلك الفروق الدقيقة التي يحتاج التمييز بينها إلى حسّ لغوي مرهف، فجاءت تعبيراتهم متداخلة ، فالتبس الأمر، فاستعملوا " إنْ" في موضع " إذا "، ووظفوا " لو " في موضع " إنْ"، ويظهر هذا جليا في الكتب المترجمة التي قد يكون معظم المترجمين لها غير حاذقين أو ملمين بهذه الفروق الخفية، وبالتالي غير قادرين على فهم اللغتين المترجم منها، والمترجم إليها.

• • •

وفي الختام، أرجو أن أكون قد قدمت شيئا جديداً لأخي القارئ، وإلا فأرجو أن أكون قد نبهت فيه مركز الحس. وأثرت فيه رغبة التطلع إلى جوانب الموضوع، و الله أسأل أن ينفع به.

ملخص البحث

لقد وردت "إنْ" في اللغة العربية لأغراض نحوية كثيرة، فقد جاءت: نافية، عاملة ومهملة، كما استعملت مخففة من الثقيلة، عاملة على قلة، واستخدمت زائدة وصلية، وندر استعمالها شرطية غير جازمة، وأندر من ذلك كله توظيفها فعل أمر، على أن أكثر مجيئها شرطية.

وقد سماها الخليل أم حروف الجزاء، لأنها تلازم حالاً واحدة أبدا، وهي عدم مفارقة الجزاء، إلا أنها وافقت وخالفت باقي أدوات الجزاء في أمور كثيرة.

هذا هو مجمل استخدامها في الشعر وفي سعة الكلام.

أما في القرآن الكريم، فقد وردت: [711] سبعمائة وإحدى عشرة مرة، منها [571] إحدى وسبعون وخمسمائة شرطية، مدغمة في "لا" [5] خمس مرات، وفي "ما" [16] ست عشرة مرة، ومنها [115] خمس عشرة ومائة مرة نافية، كما وقعت مخففة من الثقيلة في [25] خمسة وعشرين موضعا.

تستخدم "إنْ" الشرطية هذه، بصورة عامة، للشك وعدم القطع، فمخرجها الظن والتوقع، بخلاف "إذا" التي تجيء وقتا معلوماً.

ومن خصائصها أنها تدخل على فعلين مضارعين فتجزمهما، أو على ماضيين، يكونان على معنى الاستقبال، فلا تؤثر فيهما لبنائهما.

و لم أسجل دخولها، في القرآن، على الماضي والمضارع، أو على المضارع والماضي، اللذين جاءت منهما بعض الشواهد في كلام العرب، اللهم إلا ما جاء فيه الماضي معطوفا على جواب الشرط المضارع في آية واحدة، في قوله تعالى: ﴿ إِنْ نَشَأْ نُنَزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خاضِعِينَ﴾ (352)، وبهذا تكون قد خالفت « إنْ » الشرطية الشائعة في لسان العرب، كما أنها لم تأت فعل أمر، أو شرطية غير جازمة، ولا زائدة إلا في آية واحدة على خلاف فيها، هي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكّناكُمْ فِيهِ﴾ (353).

والأصل أن تدخل على الفعل، ولكن وليها الاسم المرفوع في خمس آيات فقط، على خلاف في تخريجه بين أهل العلم بالنحو.

وقد حذف الجواب معها كثيرا، مع بقاء دليل يدل عليه، سواء أكان قبلها أم بعدها، كما كثر دخول اللام الموطئة للقسم عليها، وسد جواب القسم مسد جواب الشرط، كما تلاها الجازم " لم" فكان الجزم به، لا بها.

وقد قل وقوع « إن » في جواب « إن »، أي: اجتماع شرطين، ووقوع « إذا » في جوابها ، مما أغنى عن مجيء الفاء فيه.

كما توسط كلام بين الشرط والجواب معها، أو توسط الشرط بين أجزاء الكلام، وقد ناب الاستفهام، في بعض الآيات، مناب جواب الشرط، وخاصة بعد "أرأيت" وأخواتها.

وقد اختلف في معنى « إنْ » في بعض الآيات: إذ قيل فيها إنها على معنى « إذ »، أو « نافية »، أو « إذا »، أو « لو »، « أو زائدة » ، أو « قد ».

ومما يسترعي الانتباه فيها أنها جاءت لأغراض بلاغية جمّة ، ذات دلالات جمالية ومعنوية فذة، أَثْبَتُّ كثيرا منها، تبعا للوضع الذي جاء عليه الجواب، وأَدْرَجْتُ هذه الأغراض المتباينة تحت الأسلوب الشرطي الواحد، لبيان أن الغرض الواحد قد يتعدد بتعدد الأساليب، وأثبتّ بعض الأمثلة المشابهة الواردة في أساليب العرب لنفس الغرض.

وفي الختام ألمحت إلى اللبس الواقع بين "إنْ" و "إذا" في الاستعمال ، وأسبابه.

المراجع

- القرآن الكريم.
- الأشموني: أبو الحسن، علي نور الدين بن محمد بن عيسى، (ت 929هـ)، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار الكتاب العربي: الطبعة الأولى 1375هـ - 1955م).
- الأنباري: أبو البركات، عبد الرحمن كمال الدين بن محمد، (ت 577هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
- ابن الأنباري: محمد بن القاسم الأنباري، (271-327هـ)،كتاب الأضداد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (الكويت: سلسلة التراث العربي 1960م).
- أبو حيان: أبو عبد الله ، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الجياني الأندلسي الغرناطي (654-754هـ)، تفسير البحر المحيط ومعه النهر الماد من البحر المحيط، (دار الفكر، الطبعة الثانية، 1403هـ-1983م).
- حسن : عباس، النحو الوافي، دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة.
- رضي الدين: محمد بن الحسن الأستراباذي، (ت 686هـ)، شرح كتاب الكافية في النحو لابن الحاجب، (بيروت: دار الكتب العلمية).
- الرماني : أبو الحسن، علي بن عيسى، (296 - 384هـ)، كتاب معاني الحروف، تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، (جدة: دار الشروق، الطبعة الثانية، 1401هـ- 1981م).
- الزمخشري: أبو القاسم ، جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (467-538هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ودار الفكر 1397هـ - 1977م).
- سيبويه: أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر، (ت 180هـ)، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، (القاهرة: دار مصر للطباعة، الطبعة العشرون، (1400هـ-1980م).
- الشمسان: أبو أوس، إبراهيم، الجملة الشرطية عند النحاة العرب، (القاهرة: مطابع دجوى، عابدين، الطبعة الأولى، 1401هـ-1981م).

- السيوطي: أبو بكر عبد الرحمن بن الكمال، جلال الدين، (ت 911هـ)،همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق وشرح الدكتور عبد العال سالم مكرم ، (الكويت: دار البحوث العلمية، 1395هـ- 1975م).

- عضيمة: محمد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، القاهرة، دار الحديث.

- ابن عقيل: بهاء الدين، عبد الله بن عقيل العقيلي، (698-769هـ)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، (القاهرة: دار مصر للطباعة، الطبعة العشرون، 1400هـ - 1980م).

- العكبري: أبو البقاء، عبد الله بن الحسين بن عبد الله، (538-616هـ)، إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، (بيروت: دار الكتب العلمية).

- عمايرة والسيد: د.إسماعيل أحمد عمايرة، د.عبد الحميد مصطفى السيد: معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم، تكملة المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم،(بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1408-1988م).

- ابن فارس: أبو الحسين، أحمد بن فارس، (ت 395هـ)، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق مصطفى الشويمي، (بيروت: مؤسسة بدران، 1383هـ- 1964م).

- القرطبي: أبو عبد الله ، محمد بن محمد الأنصاري، (ت 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1372هـ - 1952م).

- ابن كمال باشا:شمس الدين أحمد بن سليمان: (ت 940هـ)، أسرار النحو، تحقيق الدكتور أحمد حسن حامد، (عمان: دار الفكر).

- المالقي: أحمد بن عبد النور المالقي، (ت 702هـ)، وصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، (دمشق: دار القلم، الطبعة الثانية، 1405هـ - 1985م).

- المجاشعي: أبو الحسن، علي بن فضّال، (ت 479هـ)، شرح عيون الإعراب، تحقيق الدكتور حنا جميل حداد، (الزرقاء: مكتبة المنار، الطبعة الأولى، 1406هـ - 1985م).

- المرادي: ابن أم قاسم، (ت 749هـ)، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، شرح وتحقيق الدكتور عبد الرحمن علي سليمان، القاهرة، الطبعة الأولى، 1396هـ 1976م).

- المسدي والطرابلسي: د. عبد السلام، د. محمد الهادي، الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية، (ليبيا - تونس: الدار العربية للكتاب ، 1985م).

- ابن هشام: أبو محمد، عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله،(ت 761هـ)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الخامسة، 1966م).

- ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (القاهرة: مطبعة المدني).

- ابن يعيش: موفق الدين، يعيش بن علي بن يعيش، ت (643هـ)، شرح المفصل، (بيروت : عالم الكتب، القاهرة: مكتبة المتنبي).

الهوامش

1) المسدي والطرابلسي: د.عبد السلام، د.محمد الهادي، الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية، (ليبيا - تونس: الدار العربية للكتاب، 1985م)ص 15-23.

2) الشمسان: أبو أوس ابراهيم، الجملة الشرطية عند النحاة العرب، (القاهرة: مطابع رجوي، عابدين، الطبعة الأولى، 1401-1981م) ص 129.

3) اللهيب: د.أحمد، أساليب الشرط والاستفهام في القرآن الكريم، (رسالة دكتوراه - جامعة الأزهر- 1976م).

4) المعيد: عبد العزيز علي الصالح، الشرط في القرآن الكريم، (رسالة ماجستير، دار العلوم بجامعة القاهرة، 1976م).

5) بركات: ابراهيم، الجملة الشرطية عند الهذليين، (رسالة ماجستير، آداب القاهرة، 1977م). و لم أطلع على المراجع الثلاثة الأخيرة، لذلك لم أثبتها في فهرس المراجع.

6) الجملة الشرطية عند النحاة العرب، ص 52.

7) المرجع السابق، ص 75. 8) المرجع نفسه، ص 97.

9) المسدي والطرابلسي: الشرط في القرآن، ص 27-122.

10) المرجع السابق، ص 125-181.

11) المرجع السابق، ص 28. أرى أنه لابد من إنعام النظر في هذه النسبة، لأن إحصائية الكتاب ضمت "إنْ" المخففة من الثقيلة، كما سقط، سهوا، بعض الآيات من الاحصائية، مثل: (4-176)، (7-90)، (33-24)، وحدث لبس في الآيتين (17-72)، (17-74)، إذ لم ترد فيهما « إنْ »، واحتسبت « إن » النافية في (46-26)، وقد وردت بعض الأخطاء الاحصائية في بعض أدوات الشرط الأخرى، وبعض الجداول ، فضلاً عن وجود بعض المخالفات لدقائق نحوية أجمع عليها جمهور النحاة، مما أستحسن معه إعادة النظر في الكتاب من جديد، إذ الكمال لله وحده.

12) المجاشعي: أبو الحسن علي بن فضّال، (ت 479هـ)، شرح عيون الإعراب، تحقيق الدكتور حنا جميل حداد،(الزرقاء: مكتبة المنار، الطبعة الأولى 1406هـ-1985م) ص 282.

13) المرادي: ابن أم قاسم، (ت 749هـ)، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، شرح وتحقيق الدكتور عبد الرحمن علي سليمان، القاهرة، الطبعة الأولى (1396هـ-1976م)، 4/243.

14) ابن كمال باشا: شمس الدين أحمد بن سليمان، (ت 940هـ)، أسرار النحو، تحقيق الدكتور أحمد حسن حامد، (عمان: دار الفكر، بدون تاريخ) ص 236.

15) السيوطي: جلال الدين ، (ت 911هـ)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق وشرح الدكتور عبد العال سالم مكرم، (الكويت: دار البحوث العلمية، 1395هـ- 1975)، 2/116.

16) الملك /20 17) المائدة /110 وغيرها. 18) فاطر /40.

19) جعلت العدد تقريبيا فيها وفي غيرها، خشية أن يكون قد فاتني شيء منها، أو زدت عليه، من جهة، ولأن هناك خلافا في بعضها، من حيث شرطيتها وغير ذلك، من جهة أخرى.

20) ابن هشام: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله، (ت 761هـ)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الخامسة، 1966م) 1/263.

21) سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (ت 180هـ)، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1395هـ-1975م) 140/2.

ابن عقيل: بهاء الدين، عبد الله بن عقيل العقيلي، (698-769هـ)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، (القاهرة: دار مصر للطباعة، الطبعة العشرون، 1400هـ - 1980م) 378/1.

22) الأشموني: أبو الحسن، علي نور الدين بن محمد بن عيسى(ت 929هـ)، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى 1375هـ-1955م) 145/1.

23) سيبويه: الكتاب، 421/2.

24) في "إنْ" الواقعة بعد "ما" خلاف، أهي نافية مؤكدة أم زائدة؟

الأنباري: أبو البركات عبد الرحمن كمال الدين بن محمد، (ت 577هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، 636/2.

25) الرمّاني: أبو الحسن علي بن عيسى، (296 - 384هـ)، كتاب معاني الحروف، تحقيق الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي، (جدة: دار الشروق، الطبعة الثانية، 1401هـ-1981م)، ص 77.

26) عباس حسن: النحو الوافي، دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة 434/4، 436.

27) مثل: متى، وأين، وكيفما، وغيرها.

28) وهو "إذ".

29) سيبويه: الكتاب، 134/1، 63/3.

30) النساء / 176.

31) الانشقاق /1.

32) عباس حسن:النحو الوافي،421/4.

33) النساء/ 123.

34) المزمّل / 20.

35) البقرة / 284.

36) ابن يعيش: موفق الدين، يعيش بن علي بن يعيش (ت 643هـ)، شرح المفصل، (بيروت: عالم الكتب. القاهرة: مكتبة المتنبي) ، 10/9.

عضيمة: محمد عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، القاهرة، دار الحديث، 613/1.

37) النساء / 128.

38) النساء / 176.

39) المائدة / 106.

40) التوبة / 6.

41) الحجرات / 9.

42) العكبري: أبو البقاء، عبد الله بن الحسين بن عبد الله، (538-616هـ)، إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، (بيروت: دار الكتب العلمية)، 196/1.

43) الإسراء / 100.

44) عمايرة والسيد: د.اسماعيل أحمد عمايرة، د.عبد الحميد مصطفى السيد: معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم، تكملة المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية 1408هـ-1988م)- 519.

45) سيبويه: الكتاب، 60/3.

رضي الدين: محمد بن الحسن الأستراباذي، (ت 686هـ)، شرح كتاب الكافية في النحو لابن الحاجب، (بيروت: دار الكتب العلمية)، 253/2.

عضيمة: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، 618/1.

46) البقرة / 85.

47) آل عمران / 29

48) الأنفال / 19.

49) النساء / 72.

50) الإسراء / 7.

51) الإسراء / 8.

52) الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (467-538هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، 104/3.

53) الشعراء / 4. 54) البقرة / 191. 55) الأنعام / 147. 56) البقرة / 24.

57) البقرة / 279. 58) العكبري: الإملاء 24/1. 59) النساء / 141. 60) البقرة / 23.

61) النساء / 176. 62) النساء / 40. 63) النساء / 104. 64) البقرة / 282.

65) البقرة / 137. 66) البقرة / 220. 67) الزخرف / 81. 68) النساء / 35.

69) البقرة / 283. 70) آل عمران / 160. 71) لقمان / 15. 72) البقرة / 271.

73) النساء / 90. 74) المائدة / 42. 75) البقرة / 137. 76) الأعراف / 143.

77) الطلاق / 6. 78) الأنعام / 35. 79) العكبري: الإملاء 240/1. 80) آل عمران / 144.

81) أبو حيان: أبو عبد الله، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الجياني الأندلسي الغرناطي (654-754هـ)، تفسير البحر المحيط، (دار الفكر، الطبعة الثانية، 1403هـ/1983م)، 69/3.

82) العكبري : الإملاء 151/1. 83) الأنبياء / 34. 84) أبو حيان: البحر 376/6. 85) آل عمران / 140.

86) أبو حيان: البحر 62/3. 87) آل عمران / 184. 88) أبو حيان: البحر 133/3. 89) النساء / 135.

90) أبو حيان: البحر 370/3. 91) الأنعام / 17. 92) أبو حيان: البحر 88/4. 93) الأنفال / 38.

94) أبو حيان: البحر 494/4. 95) التوبة / 40. 96) يونس / 71. 97) أبو حيان: البحر 178/5.

98) ابراهيم / 8. 99) أبو حيان: البحر 407/5. 100) النحل / 82. 101) أبو حيان: البحر 524/5.

102) البقرة / 192. 103) آل عمران / 63. 104) الحج / 42. 105) البقرة / 120.

106) أبو حيان: البحر 369/1.

القرطبي: أبو عبد الله ، محمد بن محمد الأنصاري، (ت 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1372هـ 1952م) 247/4.

107) البقرة / 145. 108) المائدة / 73. 109) العكبري: الإملاء 223/1.

110) العكبري: الإملاء 68/1.- القرطبي: الجامع 161/2،162 - أبو حيان: البحر 430/1،431.

111) الحشر / 11. 112) المائدة / 28. 113) أبو حيان: البحر 462/3. 114) الأنعام / 121.

115) الأعراف / 23. 116) أبو حيان: البحر 281/3. 117) البقرة / 93. 118) البقرة / 94.

119) أبو حيان: البحر 310/1،311. 120) البقرة / 217. 121) أبو حيان: البحر 150/2. 122) البقرة /227.

123) أبو حيان: البحر 187/2. 124) الأعراف /89. 125) أبو حيان: البحر 343/4. 126) الممتحنة / 1.

127) أبو حيان: البحر 253/8. 128) البقرة / 24. 129) التوبة / 6.

130) العكبري: الإملاء 25/1 - القرطبي: الجامع 234/1. 131) البقرة / 279. 132) البقرة / 282.

133) النساء / 23. 134) الأنعام / 35. 135) العكبري: الإملاء 240/1. 136) يونس / 84.

137) أبو حيان: البحر 185/5. 138) هود / 34. 139) العكبري: الإملاء 38/2. 140) الأحزاب /50.

141) أبو حيان: البحر 242/7. 142) التوبة /58. 143) أبو حيان: البحر 56/5. 144) الروم /36.

145) أبو حيان: البحر 174/7. 146) المرجع السابق 216/8. 147) الواقعة /88و89. 148) البقرة /70.

149) العكبري: الإملاء 43/1 – القرطبي: الجامع 452/1 – أبو حيان: البحر 254/1.

150) البقرة /246. 151)أبو حيان:البحر256/2. 152) مريم / 26. 153) الأحزاب / 28.

154)أبو حيان:البحر227/7. 155) البقرة / 24. 156) الأنعام / 40. 157) العكبري: الإملاء 242/1.

158) الأنعام / 47 . 159)العكبري:الإملاء243/1. 160) يونس /50. 161)أبو حيان:البحر167/5.

162) الزمر /38. 163)أبو حيان:البحر430/7. 164) فصلت /52. 165)أبو حيان:البحر505/7.

166)أبو حيان:البحر125/4–128، 166/5. 167) المرجع السابق 429/7 ، 505/7.

168) الأنفال/73. 169) التوبة/39. 170) التوبة /40. 171) هود/47.

172) يوسف/33. 173) البقرة/38. 174)الزمخشري:الكشاف274/1. 175) مريم / 26.

176) غافر / 77. 177)أبو حيان:البحر477/7. 178) الأنعام / 68. 179) أبو حيان: البحر153/4.

180) الزمخشري : الكشاف 444/2. 181) الأعراف/35. 182) الأعراف /36.

183)أبو حيان:البحر293/4. 184)المرجع السابق163/5،164. 185) المرجع نفسه 26/6. 186) البقرة /23.

187) للوقوف على مزيد من التفصيل ينظر: ابن هشام: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد الأنصاري، (ت 761هـ) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (القاهرة: مطبعة المدني) 22/1–27.

188) العكبري: الإملاء 24/1 – أبو حيان: البحر 101/1 – النهر الماد من البحر 101/1.

189) البقرة / 23. 190) أبوحيان: البحر106/1. 191) البقرة /91. 192)أبوحيان:البحر307/1،308.

193) البقرة/93. 194) البقرة /145.

195) العكبري: الإملاء 68/1 – أبو حيان: البحر 430/1–433 – القرطبي: الجامع 161/2–162.

196) البقرة / 172. 197) أبو حيان: البحر 485/1. 198) البقرة / 228. 199) أبو حيان: البحر187/2.

200) البقرة / 248. 201) أبوحيان: البحر 263/2. 202) البقرة / 278. 203) القرطبي 363/3.

204) آل عمران / 139. 205) أبو حيان:البحر62/3. 206) آل عمران/119. 207) أبو حيان: البحر39/3.

208) التوبة/28. 209) أبوحيان: البحر28/5. 210) يونس/94. 211) مريم/18).

212)أبوحيان:البحر180/6. 213) الأنبياء /17. 214) القرطبي:الجامع 276/11. 215) الزخرف /81.

216)أبوحيان:البحر28/8. 217) الأحقاف/26. 218)العكبري:الإملاء 235/2. 219) الأعلى /9.

220) أبوحيان: البحر 459/8.

المالقي: أحمد بن عبد النور المالقي (ت702هـ)، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط،(دمشق: دار القلم، الطبعة الثانية 1405هـ–1985م) ص 192.

ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس، (ت 395هـ)، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق مصطفى الشويمي، (بيروت: مؤسسة بدران، 1964م – 1383هـ) ص 131.

221) ابن الأنباري: محمد بن القاسم الأنباري، (271–327هـ)، كتاب الأضداد، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، (الكويت: سلسلة التراث العربي 1960م) ص 189.

222) البقرة/23. 223) أبو حيان: البحر 106/1. 224) الأعراف/106. 225) القصص / 49.

226) المرسلات/39. 227) البقرة / 91. 228)أبوحيان:البحر307/1،308. 229) الإسراء / 88.

230) البقرة / 279. 231) أبو حيان: البحر 283/2. 232) الأعراف / 87. 233) يونس / 41.

234) التوبة / 24. 235)الزمخشري:الكشاف181/2. 236) فصلت / 40. 237) المائدة / 12.

238) ابراهيم / 7. 239) يوسف / 32. 240) البقرة / 228. 241) أبو حيان:البحر187/2.

242) التوبة / 74. 243) أبو حيان: البحر74/5. 244) الحج / 42. 245) الحج / 68.

246) فاطر / 16. 247) البقرة / 172. 248) النساء / 59. 249) أبو حيان: البحر279/3.

250) الأنعام/118. 251) أبو حيان: البحر 211/4. 252) الأنفال / 1. 253) الرعد / 37.

254) الزمخشري : الكشاف 263/2. 255) النور / 2. 256) آل عمران / 49.

257)أبو حيان:البحر468/2. 258) آل عمران / 118. 259) أبو حيان:البحر39/3. 260) آل عمران / 139.

261)أبو حيان:البحر62/3. 262) النور / 17. 263) البقرة / 94. 264)أبو حيان:البحر310/1،311.

265) يونس / 38. 266)الإسراء / 88. 267) البقرة / 24. 268) الأحزاب / 32.

269) يونس / 50. 270) النساء / 73. 271) أبو حيان: البحر294/3. 272) الأنعام / 77.

273) الزمخشري: الكشاف31/2. 274) النساء / 34. 275)الزمخشري:الكشاف525/1.

276) الأنعام / 150. 277) العنكبوت / 8. 278) لقمان / 15. 279) النساء / 133.

280) الأنعام / 133. 281) ابراهيم / 19. 282) أبو حيان:البحر/225. 283) يونس / 48.

284) البقرة / 217. 285)الزمخشري:الكشاف357/1. 286) المائدة / 22. 287) أبو حيان: البحر 455/3.

288) الشورى / 24. 289) آل عمران / 93. 290) أبو حيان: البحر 4/3. 291) آل عمران / 168.

292) آل عمران / 175. 293) أبو حيان:البحر121/3. 294) الأعراف / 70. 295) فصلت / 52.

296)أبو حيان:البحر505/7. 297) الكهف / 36. 298)الزمخشري:الكشاف484/2. 299) الزمر / 65.

300) يونس / 99. 301)الزمخشري:الكشاف407/3. 302) الأنعام / 70. 303) الأحقاف / 8.

304) آل عمران / 64. 305) أبو حيان: 484/2. 306) الأعلى / 9. 307) أبو حيان : 459/8.

308) الروم / 51. 309)الزمخشري:الكشاف226/3. 310) ابراهيم / 8. 311) الأنفال / 32.

312) الأحقاف / 22. 313) هود / 7. 314) هود / 8. 315)الزمخشري:الكشاف260/2.

316) النساء / 3. 317) أبو حيان:البحر164/3. 318) النساء / 4. 319) التغابن/17.

320)أبو حيان:البحر280/8. 321) البقرة / 278. 322) أبو حيان:البحر 338/2. 323) آل عمران / 157.

324) آل عمران / 158. 325) النور / 28. 326) الأعراف / 149. 327) الأنبياء / 46.

328) الزمخشري : الكشاف 574/2. 329) العنكبوت / 63. 330)الزمخشري:الكشاف211/3.

331) الكهف / 76. 332) البقرة / 193. 333) أبو حيان: البحر68/2. 334) آل عمران / 20.

335)أبو حيان:البحر413/2. 336) المائدة / 116. 337) أبو حيان: البحر 59/4 338) المائدة / 118.

339) الأنعام / 17. 340) الأنعام 25. 341) أبو حيان: البحر 98/4. 342) النساء / 91.

343) الكهف / 70. 344) آل عمران /160. 345)محمد/13-أبو حيان:البحر100/3 346) التوبة / 24.

347) البقرة / 172. 348) آل عمران/93. 349) البقرة / 91. 350) البقرة / 228.

351) البقرة / 217. 352) الشعراء / 4. 353) الأحقاف / 26.

أثر العربية في الألفاظ المعربة

د. حسن محمد تقي سعيد

ينجم عن التجاور المكاني والتوافق الزماني بين لغتين أو أكثر حدوث احتكاك لغوي بينهما يتمخض عنه صراع بين اللغتين أو اللغات ويسفر عنه عادة نتيجتان أساسيتان هما تغلب إحدى اللغتين على الأخرى واضمحلال الثانية وذوبانها بالتدريج في اللغة الأقوى، أوبقاء اللغتين في صراع مستمر من دون أن تتغلب إحداهما على الأخرى . وفي كلا الحالتين لابد من انتقال المفردات بين اللغتين بغض النظر عن نسبة ذلك في كل منها.

ولا تختلف اللغة العربية عن غيرها من اللغات في ذلك فقد تصارعت لغويا مع عدد كبير من اللغات سواء أكان ذلك بحكم التجاور الجغرافي أمثال ما حدث بينها وبين اللغات الفارسية والتركية والآكادية والسريانية والحبشية وغيرها، أم بحكم تغلغل نفوذ العربية وبسط سيطرتها على مساحة كبيرة من العالم. وهذا ما أدى بها إلى الاحتكاك اللغوي مع لغات عدة أخرى، أمثال لغات شمال إفريقيا واللغة الفرنسية والإسبانية والإيطالية والبرتغالية وغيرها.

ونتج عن كل هذه الصراعات اقتراض مفردات من العربية وانتقال مفردات عديدة إليها. ويسمي اللغويون هذا الانتقال في المفردات إلى العربية بالتعريب.

وسيحاول هذا البحث دراسة المفردات المعربة لمعرفة الأثر الذي أحدثته العربية في هذه المفردات سواء أكان في الأصوات أم البناء أم الدلالة.

أولاً: أثر العربية في الأصوات:

لاحظ اللغويون العرب القدماء ماتحدثه اللغة العربية في أصوات الألفاظ المعربة. ودرسوا هذا الموضوع بعناية بالغة، وتوصلوا فيه إلى أن الإبدال يحدث غالبا في الحروف التي لايوجد.نظير لها في العربية. وقد يشمل أيضاً الحروف التي يوجد ما يماثلها فيها.

فقد قال سيبويه في باب ما أعرب من الأعجمية "إن العرب مما يغيرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم ألبتة "(1).وتحدث عن طريقة تعريب الأصوات الأعجمية فذكر أنهم "يلحقون الحروف بالحروف العربية"(2). وأضاف أيضا "وربما غيروا الحرف الذي ليس من حروفهم"(3).و"أن الإبدال عند العرب مطرد في كل حرف ليس من حروفهم يبدل منه ما قرب منه من الحروف الأعجمية "(4).

واللغويون الذين جاءوا بعد سيبويه لايكادون يختلفون عنه في هذه الناحية. ولعل ماقالوه يعد صدى لآرائه، من ذلك ما ذكره الجواليقي بقوله "إن العرب كثيراً ما يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية إذا استعملوها فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجا، وربما أبدلوا مابعد مخرجه أيضاً والإبدال لازم لئلا يدخلوا في كلامهم ما ليس من حروفهم"(5).

ولعل الإضافة الوحيدة التي جاء بها الجواليقي هي

النص على أن الإبدال في أصوات الحروف الأعجمية التي لا يماثلها أصوات عربية لازم. ولو أن هذا المعنى يفهم من خلال كلام سيبويه السابق أيضاً وإن لم ينص عليه صراحة.

أما الخفاجي فلا يختلف بشيء عن سابقيه في هذا الموضوع فقد ذكر "أن العرب يبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجا وربما أبعدوا الإبدال في مثل هذه الحروف وهو لازم لئلا يدخل في كلامهم ما ليس منه"(6).

ونستنتج من أقوال اللغويين في إبدال الأصوات الأعجمية ما يأتي:

1 - إن إبدال الحروف التي لايوجد لها نظير في العربية واجب في الألفاظ المعربة.

2 - يبدل الحرف الأعجمي بآخر عربي أقرب من غيره إليه من حيث المخرج غالبا.

3 - لم يكن مراعاة القرب المخرجي مطرداً في كل الحروف، لأن العرب أجازوا الإبدال بين الأصوات المتباعدة المخارج.

4 - لم يلحظ اللغويون العرب في الإبدال التقارب في صفات الحروف ولعلهم قد غفلوا عن هذه الناحية وهذا ماسنناقشه فيما بعد.

وبناء على ما تقدم غيّر العرب الحروف التي بين "الجيم والكاف وربما جعلوه جيماً وربما جعلوه كافاً وربما جعلوه قافاً لقرب القاف من الكاف... وأبدلوا الحرف الذي بين الباء والفاء فاءً وربما أبدلوه باءً"(7) وهذا الشيء نفسه فعلوه في حروف (V، الڤاء) وغيرها.

أما التغيير الذي حدث في أصوات الحروف التي يوجد نظير لها في العربية فهو أمثال التغيير الذي حدث في حرف الشين في الكلمة الفارسية (دشت) التي تعني الصحراء إلى سين فعربوها إلى (دست)(8). أو في قلبهم الظاء طاء كما صرح بذلك الأصمعي في قوله إن "العرب تجعل الظاء طاء ألا تراهم سموا الناظر ناطوراً أي ينظر"(9). إلى غير ذلك من الحروف الكثيرة التي غيرها العرب في أثناء التعريب.

وقد قسم بعض اللغويين الإبدال في الحروف عند التعريب إلى قسمين بعد ملاحظة إطراده أو عدمه. وهما:

1 - إبدال مطرد وهو الحاصل في الحروف التي لايوجد لها ما يماثلها في العربية فقد ذكر السيوطي أن "البدل المطرد هو في كل حرف ليس من حروفهم كقولهم كربج، الكاف فيه بدل من حرف بين الكاف والجيم فأبدلوا فيه الكاف، أو القاف نحو قربق، أو الجيم نحو جورب، وكذلك فرند هو بين الباء والفاء فمرة تبدل منها الباء ومرة تبدل منها الفاء"(10).

وإذا كان العرب القدماء قد جعلوا إبدال الحروف الأعجمية مطرداً عند التعريب فإنهم لم يعيّنوا حرفاً واحداً لكل صوت معرب وإنما جعلوا له أكثر من صوت ومن دون أن يضعوا لنا قاعدة واضحة نسترشد بها في عملنا الحاضر في التعريب.

وإن عدم تحديد الصوت المقابل للأعجمي بدقة لم يقتصر على تعريب المفردات الفارسية وإنما يشمل كل اللغات التي عربت فيها مفردات تحوي حروفا غريبة عن اللسان العربي. ولعل من الأمثلة المناسبة في ذلك ما حدث في الألفاظ اليونانية، فالحرف "(chi) اليوناني الذي يلفظه المعاصرون كالخاء أو بما يشبه الشين على حسب موقعه

يتحول في لغتنا إلى شين (ابرشية، برطشيل، شدياق)، أو خاء (أخيون، خلقين، ملوخية)، أو هاء (درهم)، أو كاف (إسكيم، كندر)... أو قاف (انقليس، قلمون). أما حرف (kapp) الملفوظ كالكاف فكثيراً ما يصير قافاً كما نرى في فندق، قانون، قرميد، قلقاس...قنديل، أسقف"(11).

2 - إبدال غير مطرد وهو الحاصل في الحروف التي لها نظير في العربية فقد يبدل الحرف في كلمة ولايغير في أخرى، وقد تحدث عنه السيوطي بقوله "وأما ما لا يطرد فيه الإبدال فكل حرف وافق الحروف العربية كقولهم إسماعيل أبدلوا السين من الشين والعين من الهمزة وأصله اشمائيل... وذكر أبوحاتم أن الحاء في الحُب بدل من الخاء وأصله في الفارسية خب "(12).

وكذلك الإبدال الحاصل في حرفي الراء واللام وغيرهما بين العربية والأكدية مثل بصل العربية وبصرو الأكدية (13) إلى غير ذلك من الإبدال.

ومن الأدلة التي تؤكد عدم إطراد نقل الأصوات بين اللغات الأعجمية والعربية تلك الدراسة التي قام بها إبراهيم مراد المتضمنة معرفة التغيير الصوتي الحادث في الألفاظ الأعجمية ومقارنته في جهود ثلاثة علماء مغاربة. ولو أخذنا مثالا واحدا منها لعرفنا مدى الاختلاف الحاصل في نقل أصوات الحروف بينهم، فقد جمع المؤلف 45 كلمة ورد فيه حرف السين وأن مجموع ما ذكر فيها 51 مرة "وقد ورد بالتوالي 17 مرة عند ابن الجزار و 16 مرة عند الإدريسي و 18 مرة عند ابن البيطار. وقد نقله الثلاثة بالطرق التالية:

ا - ابن الجزار فقد نقله ثماني مرات كافاً أي بنسبة 47.06 % وست مرات قافاً أي بنسبة 35.29 % وثلاث مرات جيما أي بنسبة 17.65 %.

ب - الإدريسي فقد نقله أربع مرات سيناً أي بنسبة 25 % وأربع مرات قافاً أي بنسبة 25 % ومرتين جيماً أي بنسبة 12.50 % ومرتين خاءً أي بنسبة 12.50 % ومرتين شيناً أي بنسبة 12.50 % ومرتين كافاً أي بنسبة 12.50 %.

ج - ابن البيطار فقد نقله ثماني مرات قافاً أي بنسبة 44.44 % وثلاث مرات خاءً أي بنسبة 16.67 % وثلاث مرات فاءً أي بنسبة 16.17 % وثلاث مرات كافاً أي بنسبة 16.67%ومرة واحدة جيماً أي بنسبة 5.55 %"(14).

وتكفي قراءة سريعة لهذا المثال - على فرض دقته العلمية - لمعرفة مدى عدم إطراد نقل صوت السين من اللغات الأعجمية إلى العربية وعدم تحديد صوت واحد له. كما يلاحظ الاختلاف في نقل الصوت عند أحد العلماء فضلا عنه عند الآخرين. وهذا ما يثير سؤالاً ملحا وهو لماذا هذا الاختلاف في نقل الأصوات في المفردات الأعجمية عند تعريبها؟ ويضاف إليه سؤال آخر مؤداه ما سرّ عدم وضع صوت عربي واحد عند نقل الصوت الأعجمي الذي لايوجد له نظير في العربية؟.

وسوف نحاول أن نجيب عن هذين السؤالين فيما يأتي:

أسباب اختلاف إبدال الحروف في الألفاظ المعربة:

هناك أسباب عديدة وراء ما يلاحظ من اختلاف في نقل أصوات الكلمات الأعجمية عند تعريبها ويمكن إجمالها في نقاط رئيسية هي طبيعة الصوت المعرب وصفاته ومكان خروجه ودلالة الألفاظ المعربة وزمن استخدامها، وطريقة النقل من اللغات مباشرة أو بالواسطة وأخيراً

كيفية نقل الأصوات سواء أكانت ملفوظة أم مكتوبة.

ونحاول فيما يأتي إضاءة هذه النقاط بشيء من التفصيل والتدليل :

1 - إن طبيعة الصوت الأعجمي قد تساعد على تعريبه بأكثر من حرف وبخاصة في الأصوات التي لايوجد لها نظير في العربية؛ لأنها تخرج من منطقة لايخرج منها صوت عربي؛ فاضطر المعرِّب له إلى أن يفتش عن أقرب الأصوات إليه من حيث المخرج والصفات.

وقد فطن اللغويون العرب إلى أهمية القرب المخرجي في التعريب وجعلوه العامل الوحيد عند اختيار الصوت العربي الذي يبدل من الصوت الأعجمي (15). لكنهم لم يفطنوا إلى دور صفات الحروف عند الإبدال. ولو حاولنا مقارنة صفات الحروف التي حدث الإبدال فيها لعرفنا مدى دورها في هذه العملية الصوتية. فالصوت الذي بين " الجيم والكاف ربما جعلوه جيما وربما جعلوه كافاً وربما جعلوه قافاً لقرب الكاف من القاف"(16).

فصوت (الگاف) يخرج من أقصى الحنك وبذلك يكون بين مخرجي (الكاف) و(القاف) فأدنى منه قليلاً مخرج الكاف وأبعد منه قليلاً مخرج القاف فالعربي الذي عرب كلمة (كَربج) مثلاً، إن اختار بدل (الگاف) حرفا أبعد منه مخرجا كان حرف القاف فعربها (قربج) وإن كان أدنى منه مخرجا كان الكاف فعربها (كَربج).

أما إذا نظر المعرِّب إلى صفات الحرف الأعجمي واختار مايقاربه في ذلك - مع ملاحظة عدم البعد المخرجي - أبدله بصوت الجيم. لأنه يتفق مع (الگاف) في صفتي الشدة (الإنفجار) والجهر في حين أن صوتي القاف والكاف يختلفان عن (الگاف) في صفة الهمس.

وقد ذهب بعض المحدثين إلى أن العرب أبدلوا من هذا الصوت صوت الجيم (التي ينطق بها سكان القاهرة وبعض المدن العربية) أي (G)(17) ولاأراهم على حق في ذلك وذلك لأن صوت (G) يماثل تماماً صوت (الگاف) والإبدال يقتضي اختيار صوت مخالف. ولما كان العرب القدماء قد ذكروا أنهم أبدلوه إلى صوت الجيم فهذا يعني أنهم أبدلوه إلى صوت مغاير له فلا يكون إلا الجيم القرشية التي ينطق بها سكان العراق وبعض الدول العربية الأخرى لا الجيم القاهرية.

ولو لاحظنا عملية الإبدال في أصوات أخرى كالإبدال الذي أحدثه العرب في صوت (الپاء P) الأعجمي إلى (الباء) مرة و(الفاء) أخرى فالأصوات الثلاثة تخرج من منطقة الشفة وأنها تتفق في صفة وتختلف في أخرى (فالپاء) تتفق مع (الباء) في صفة الشدة (الانفجار) وتختلف عنها في الجهر والهمس لأن (الپاء) مهموس و(الباء) مجهور ويتفق حرف الباء مع الفاء في صفة الهمس ويختلف عنه في صفة أخرى (فالپاء) شديد (انفجاري) والفاء رخو (احتكاكي).

2 - إن الأصوات الأعجمية التي عربها العرب لم تكن مأخوذة من لغة واحدة فهناك أصوات متشابهة في أكثر من لغة أعجمية عُرِّبت بعض أصواتها من ذلك "أن العرب أبدلت الخاء من الكاف في الألفاظ الفارسية برزخ كامخ فرسخ ولكنها أبدلت القاف من الكاف في الألفاظ اليونانية بطريق قلم إقليم وهذا يعني أن الأذن العربية لحظت فرقاً واضحاً بين الكاف الفارسية والكاف اليونانية"(18) بل لعل الحرف لم يكن كافاً وإنما كان شبيهاً به في كل من اللغتين بدليل أن العرب لم تبدله إلى

الكاف وإنما أبدلته إلى حرف آخر فوجد المعرّب للألفاظ الفارسية أن هذا الصوت أقرب إلى الخاء فأبدله إليه، ووجد المعرّب للكلمات اليونانية أنه أقرب إلى القاف فأبدله إليه.

3 – الخطأ في السمع أو النطق: عندما يسمع العربي كلمة أعجمية أخطأ المتكلم في نطقها فإنه سوف يعربها بالصورة التي سمعها به وإن نطقت بشكل صحيح في لغتها لكن السامع قد أخطأ في سمعه أو في نطقه لها فإنها سوف تُعرّب بشكل مختلف عما هي عليه في لغتها الأصلية – إن شاع النطق غير الصائب لها – . ولعل هذا العامل كان وراء تغيير العرب القدماء لأصوات حروف كلمة (كفجليز) الفارسية إلى (قفشليل)(19).

ومما يرجح ما قلناه أن الاختلاف بين الكلمتين قد حدث في ثلاثة حروف منها ولم يكن في أحدها حتى يمكن أن نجد له عاملاً آخر، كما أن طول الكلمة يساعد على وقوع الخطأ في النطق فيها أو في السمع. وقد فطن اللغويون إلى دور الخطأ في السمع أو النطق فقد قال أبو عمر الجرمي "ربما خلطت العرب في الأعجمي إذ نقلته إلى لغتها "(20).

4 – التطور اللغوي الذي حدث في إحدى اللغتين دون الأخرى قد يؤدي إلى عدم إطراد إبدال الأصوات فإذا أدت عوامل معينة إلى حدوث تغيير صوتي في الكلمة المعربة بعد دخولها العربية وبقيت في لغتها الأصلية من دون تغيير فيحدث من جراء ذلك اختلاف بين أصوات الكلمتين الأعجمية والمعربة. ويحدث الشيء نفسه لو حافظت اللغة العربية على صوت الكلمة المعربة وحدث التغيير في صوتها في لغتها الأصلية.

5 – اتساع زمن التعريب يؤدي أحيانا إلى حدوث تطور في الأصوات سواء أكان داخل اللغة العربية أم في اللغة الأعجمية، فقد عربت مفردات قبل تكوّن اللغة العربية المشتركة كما عربت أخرى في صدر الإسلام وعربت ثالثة في الوقت الحاضر، وإذا كانت هذه الكلمات حاوية على صوت أعجمي واحد أو أكثر فإن تعريبه في الأزمنة المختلفة قد يؤدي به إلى الاختلاف في النطق لأن هذه المدة الطويلة من الزمن كافية لحدوث التطور الصوتي في بعض الأصوات في كل لغات العالم وبخاصة إذا آزر ذلك عوامل خاصة باللغة أو بالأصوات.

6 – اختلاف المعرِّبين للألفاظ الأعجمية، فالعربي الذي عرّب مفردات فارسية هو غيره الذي عرّب مفردات يونانية مثلاً على أغلب الظن، وذلك لبعد المسافة بين مكان وجود اللغتين، كما أن احتكاك كل منها باللغات الأعجمية المجاورة له قد يؤدي إلى تطور نطق بعض الأصوات عنده. ولعل خير دليل على ذلك اختلاف نطق القبائل العربية القديمة لبعض الأصوات وما يشاهد من اختلافات في نطق الأصوات حاليا في الأقطار العربية المختلفة.

7 – عدم وجود أسس علمية محددة يراعيها المعرِّبون للألفاظ الأعجمية مما ترك المجال واسعا أمام الاجتهاد الشخصي (21) في ذلك وبخاصة إذا ما عرفنا أن التعريب قد حدث من زمن بعيد، وقبل بدايات الدرس اللغوي بكثير فضلاً عن وقت نضجه ورقيه.

يضاف إلى ذلك اختلاف المستوى الثقافي والعلمي للمعربين فقد عرّب العلماء قسماً من المفردات الأعجمية أمثال ألفاظ العلوم والحضارة ومصطلحاتها كما عرّب

الأميّون قسماً منها أيضا، فقد عرب بعض أرباب المهن المفردات الخاصة بعملهم وشتان بين منهج كل منها في عمله، فالعلماء يخضعون عملهم للأسس الصوتية الدقيقة في حين أن عمل الأمّي يخضع للانطباع ويحتمل الخطأ وعدم الدقة. كل ذلك يؤدي إلى اختلاف نطقهم للصوت الواحد عند تعريبه.

8 - إن المفردات الأعجمية التي عرّبت لم تكن كلها مأخوذة من اللغة الأعجمية مباشرة وإنما نقل قسم منها عن طريق لغة وسيطة كما حدث عند تعريب قسم من الألفاظ اليونانية فقد أخذت عن طريق اللغة السريانية، ولاأدل على ذلك من تشابهها معها أكثر من شبهها باللغة اليونانية(22).

واللغة السريانية لاتختلف عن غيرها من اللغات في ادخال بعض التغيير على أصوات المفردات التي تنقلها إليها، وهذا يعني أن المفردات التي تُعرب عن طريقها قد حدث فيها التغيير مرتين مرة في اللغة الوسيطة وأخرى عند التعريب. ولاشك أن ذلك سوف يؤدي إلى اختلاف نطق الأصوات بين العربية واليونانية.

9 - لعل من أسباب اختلاف الأصوات المعربة عن الأعجمية أن العربي المعرِّب لها قد غيّرها عن قصد منه ووعي - وبخاصة إذا كان المعرِّب عالما - من أجل عدم الوقوع في اللبس اللغوي ودفعا عن الاشتباه بكلمة أخرى عربية. فقد غُيّر صوت كلمة (بادية) الفارسية التي تعني نوعاً من الأوعية إلى كلمة (باطية) لتحاشي اشتباهها مع كلمة (بادية) العربية التي تعني الصحراء(23).

10 - لعل للتصحيف أو التحريف دور في ما يلاحظ من اختلاف بين المعرَّب والأعجمي لأن الخلف قد تسلم أكثر الكلمات المعربة مكتوبة عن السلف وطبيعة النسخ، وتكراره من عدد كبير من النُسّاخ يُولّد عادة التصحيف أو التحريف. ومن الأمثلة على ذلك ما ظنه إبراهيم بن مراد من أن ابن الجزار قد غير حرف الدال في آخر الكلمة إلى لام (24) ولا أظنه على صواب في رأيه بل إن ما وجد من تغيير يعود إلى تحريف النسّاخ لاغير ومما يرجح ما قلناه كثرة وقوع التحريف بين الدال واللام إذا كان الحرفان في آخر الكلمة.

ثانيا : أثر العربية في بناء المعرب:

لم يقتصر التغيير الذي أحدثته العربية في الكلمة الأعجمية على الأصوات وإنما شمل البناء أيضا من أجل أن تتواءم المفردات المعربة مع العربية وتكون مألوفة ومستساغة عند التداول نطقاً وسماعاً.

وقد فطن اللغويون العرب القدماء إلى ما أحدثته العربية من تغيير في بناء اللفظ المعرّب فقد قال سيبويه "إن العرب لما أرادوا أن يعربوه ألحقوه ببناء كلامهم"(25).

وإن إلحاق اللفظ الأعجمي بالبناء العربي يستلزم أحياناً الحذف من الكلمة أو الزيادة عليها. وهذا ما أشار إليه سيبويه أيضا بقوله "وربما حذفوا كما يحذفون في الإضافة ويزيدون كما يزيدون فيما يبلغون به البناء وما لايبلغون به بناءهم "(26).

فالزيادة أو الحذف الذي يجريه العرب على اللفظ الأعجمي لاتجعله مضارعاً للبناء العربي دائماً، فقد تتحقق هذه المضارعة أولاً. ثم إن العرب لم يلتزموا بضرورة تغيير بناء اللفظ المعرب ليكون مناظراً للبناء العربي دائماً بل إنهم "ربما ألحقوه ببناء كلامهم وربما لم يلحقوه "(27).

وقد بين الجواليقي التغييرات التي يجريها العربي على

بناء الألفاظ الأعجمية ويكون "بإبدال حرف من حرف أو زيادة حرف أونقصان حرف أو إبدال حركة بحركة أو إسكان متحرك أو تحريك ساكن وربما تركوا الحرف على حاله لم يغيروه "(28).

وعلى ما تقدم نصل إلى أن العرب لم يلتزموا بقاعدة ثابتة تنظم عملية تغيير البناء في الأعجمي عند تعريبه وإنما لهم مواقف مختلفة إزاء المعربات نجملها بما يأتي:

أولا : إذا كان بناء الألفاظ الأعجمية موافقاً لأحد الأبنية العربية فلا يحدثون فيه أي تغيير عند التعريب غالباً لأنه يوافق ما ألفوه من ألفاظ . وإنّ أكثر المعربات على هذا النحو.

ثانيا : إذا كان اللفظ الأعجمي لا يشابه أحد الأوزان العربية فإنهم اتخذوا منه أحد الموقفين الآتيين:

1 - إدخالهم عليه واحد من التغيرات الآتية أو أكثر وألحقوه ببنائهم:

ا - حذف بعض حروف الكلمة من الأعجمية كما في (فيروزج) فقد حذفوا الحرف الأخير منها عند التعريب وأصبحت فيروز (29).ومثل ذلك ماعملوه في(كرد) فأصله(كردن) (30).

ب - إضافة حرف أو أكثر على الكلمة الأعجمية من ذلك كلمة (هليلة) فقد عربت إلى إهليلج (31) بزيادة الهمزة في بدايتها مع تغيير في أحد حروفها.ومثل ذلك زيادتهم الهاء في (قرمان) فقالوا (قهرمان)(32).

وقد أنكر الصغاني أن يكون العرب قد زادوا في حروف الكلمة وعلى ذلك فإنه خطّأ من عرّب كلمة أنموذج (32) وأصر على حذف الهمزة منها لأنها غير موجودة في لغتها الأصلية والعرب لايزيدون في البناء عند التعريب.

وهذا الرأي يخالفه أغلب اللغويون كما تكفي مقارنة سريعة بين الكلمات المعربة والأصل الذي اقترضت منه لمعرفة عدم دقة هذا الرأي. ونأخذ مثالاً على ذلك من الكلمات اليونانية فإن قسماً من كلماتها المبدوءة بساكن تزاد همزة عند تعريبها كما في أسطول وإسفنج وإسكيم وإقليم (34).

ج - حذف حرف أو أكثر من الكلمة من ذلك أنهم عربوا لفظة (غالغا) السريانية التي تعني الفقير إلى (فلج) (35) بعد أن حذفوا منها الألف من وسطها.

د - دمج كمتين في كلمة واحدة من ذلك تعريبهم مركب (سدلي) إلى السدير "وأصله سدلى أو ثلاث قباب بعضها في بعض"(36).ومن ذلك أيضاً كلمة سجيل فإنها معرب سفك وكل (37).

هـ- تغيير في تشكيل حركات اللفظ عن طريق تسكين متحرك أو تحريك ساكن أو تغيير حركة بأخرى كما فعلوا عند تعريب زور وآشوب (38).

وقد يشمل التغيير في البناء أكثر من نقطة مما سبق من ذلك عند تعريبهم كلمة (أرزرز) إلى (الرصاص) فقد حذف منها حرف الألف في أولها وغيرت حركة الراء إلى الفتح بعد أن كانت ساكنة (39). هذا غيرما أبدلوه من أصوات الكلمة الأخرى.

ثالثاً: إدخالهم إحدى التغييرات السابقة الذكر عليه أو أكثر لكنهم لم يلحقوه ببناء العربية من ذلك تغير الفتحة في كلمة أبريشم - عند تعريبها - إلى كسرة

فصارت إبريسم(40). ومعلوم أن "مثل هذا الوزن مفقود في أبنية الأسماء العربية "(41).

رابعاً: استعمال الكلمة المعربة في أكثر من بناء ولعل خير مثال على ذلك استعمالهم الكلمة التي تدل على الطائر المعروف بالشاهين ببناءات مختلفة وهي "السوذانق والسوذنيق والشوذق بالشين المعجمة.قال ووجد بخط الأصمعي شوذانق وقيل شوذنوق - وكلمة الشاهين وهو فارسي معرب - وسوذق أيضاً "(42).

خامساً: إبقاء الكلمة على بنائها الأعجمي من غير تغيير فيه وقد ذكر سيبويه هذا النوع من التعريب بقوله "إن العرب ربما غيروا الحرف الذي ليس من حروفهم و لم يغيروه عند بنائه في الفارسية نحو...آجُرّ وجُريز "(43).

وقال عنه الجواليقي أيضا "ومما تركوه على حاله فلم يغيروه خراسان وخرم وكركم"(44).

ويلاحظ على جهود العرب في تعريب البناء أنه لم يكن وفق منهج علمي ثابت أو قاعدة محددة يراعيها المعربون فتباينت جهودهم واختلفت تعريباتهم من حيث الدقة وعدمها. ونحاول أن نجد تعليلا معقولا يفسر لنا ذلك فيما يأتي:

1 - إن تقعيد قواعد علم الصرف بما فيها قواعد البناء والميزان الصرفي قد تم في القرن الثاني الهجري في حين أن عملية تعريب الألفاظ قد بدأت قبل هذا التاريخ بقرنين أو أكثر واستمرت حتى يومنا هذا أي أن كثيراً من المفردات المعربة لم تخضع لقواعد علم الصرف؛ لأنها لم توجد بعد. وبعد ما وجدت واستقر علم الصرف عليها لم يلتزم بعض المعرّبين بها إما لجهلهم بهذه القواعد أو للغفلة عنها أو لأي سبب آخر. وهذا ما يؤدي حتماً إلى عدم اتفاق المعرّبين المختلفين في عملهم. ولعل هذا ما يفسر لنا تعريب بعض المفردات على أكثر من بناء وتعريب الكلمات الأعجمية التي على بناء واحد إلى أبنية مختلفة.

2 - إن الذين عربوا المفردات يختلفون في مستوياتهم العلمية والثقافية واللغوية فمنهم الخواص المتضلعون باللغة ومنهم العوام الذين قد تفشى اللحن على ألسنتهم. وشتان بين عمل كل منهما. فعمل العالم يتسم بالدقة العلمية ويحاول عن قصد أو بدونه جعل ما يعربه من مفردات مشابهاً لبناء الكلمات العربية، لأن طبع الإنسان يميل إلى ما ألف وينفر عما استغرب .ولاشك أن العالم باللغة قد ألف طريقة العرب في البناء فيجعل ما يعربه من ألفاظ أعجمية موائماً لما ألف فتكون الألفاظ المعربة عن طريقه تشابه الأبنية العربية. في حين أن عمل العامي المعرب للألفاظ لايكون كذلك لجهله بطريقة العرب في البناء فما يعربه يخالف قسم منه على الأقل البناء العربي.

3 - لم يقتصر التعريب على شخص أو أشخاص معينين أو لجان علمية كما أن المعرِّبين لم يكن بينهم اتفاق مسبق بأن يراعوا في عملهم البناء العربي حتى عند العلماء منهم فضلاً عن العوام. ولعل خير دليل على ما ذكرناه قول الفراء بأن الاسم الفارسي يبنى "أي بناء كان إذا لم يخرج عن أبنية العرب"(45).

4 - الخطأ في النطق أو السمع قد يؤدي إلى الاختلاف في بناء الكلمة وقد فطن أبوعمر الجرمي إلى ذلك فقال "وإذا حكي لك في الأعجمية خلاف ما العلامة عليه؟ فلا ترينه تخليطاً فإن العرب تخلط فيه وتتكلم به مخلطا لأنه ليس من كلامهم فما اعتنقوه وتكلموا به خلطوا"(46).

والتخليط لايقتصر على الغلط في نقل الأصوات

وإنما يعم الغلط في صوغ البناء أيضا.

ثالثا: أثر العربية في دلالة المعرب:

تتصف دلالات الألفاظ بخاصة قبولها للتطور اللغوي أي أنها لاتبقى دائماً ملازمة للمعنى الذي كانت عليه في بدايات نشأة اللغة إن تهيأت لها عوامل لغوية معينة. ومنها دخول المفردة إلى لغة أجنبية تجعلها منقطعة عن أسرتها اللغوية وهذا ما ييسر عملية حدوث التطور فيها.

والتطور الدلالي يتخذ مظاهر مختلفة فإما أن يكون من الشدة بحيث يؤدي إلى أن تترك المفردة معناها السابق وتنقطع الصلة بينها وبينه وتكتسب معنى جديداً لاتُعرف إلا به غالباً وإما ألا يصل التطور إلى هذه الدرجة فيكون المعنى الجديد له علاقة بالسابق لكنه أخص منه أو أعم.

واللغة العربية قد أثرت في دلالة المفردات المعربة عن طريق تخصيص دلالتها أو تعميمها أو تغيير مجال استعمالها، وكما يأتي:

1 – **تخصيص الدلالة:** يقصد بهذا النوع من التطور ما يلحق بالكلمة من تغيير يُقلص فيه المعنى ويقلل من اتساعه. وقد خصصت اللغة العربية بعض المفردات المعربة من ذلك كلمة (كنده) الفارسية التي تعني المحفور المخدود، والكهف في الصحراء (47) قد تخصص معناها بعد تعريبها إلى "الحفير حول أسوار المدن"(48) من أجل الدفاع عنها.

ومن ذلك أيضاً كلمة الفردوس فهي في اللغة اليونانية تدل على البستان سواء أكان محاطاً بالسور أو الكرم وقد تقلص معناها بعد التعريب إلى الجنة(49)، وبخاصة بعد استعمالها في هذا المعنى بالقرآن الكريم. قال تعالى: { الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون}(50).

2 – **تعميم الدلالة:** ويقصد به ما يلحق معنى الكلمة من تطور يوسعه ويزيد في شموله. وقد حدث ذلك في عدد من الألفاظ المعربة، ومنها كلمة الزخرف فقد كانت تدل في اللغة اليونانية على التزيين برسم الحيوانات، وهي مركب لغوي من كلمتين (زو) أي الحيوانات و(جرافيا) أي يكتب أو يرسم، وبعد أن دخلت إلى العربية صارت تدل على عدة معانٍ(51) منها التزيين بأي شيء أو شكل ولايقتصر على التزيين بالحيوان(52).

ومن الألفاظ التي تعمّم معناها بعد تعريبها (التاجر) فإن معناها في الآرامية بائع الخمر خاصة(53) وتوسع معناها بعد دخولها إلى العربية إلى كل بائع السلع والحاجات خمراً كان أم غيرها(54).

3 – **تغيير مجال الاستعمال**: ويقصد به تطور دلالة الكلمة إلى معنى يختلف تماماً عما كانت عليه. وقد فطن الخفاجي إلى التبدل الذي طرأ على دلالة بعض المفردات بعد التعريب بقوله "وقد يعرب لفظ ثم يستعمل في معنى آخر غير ما كان موضوعاً له كحرم اسم نبت يشبه به الشيب وهو سراج القطرب واستعماله بهذا المعنى مخصوص بالعربية "(55).

ومما تغيرت دلالته بعد تعريبه كلمة "برزخ التي تدل في الفارسية على البكاء والنحيب فتغيرت دلالتها بعد التعريب إلى كل حاجز بين الشيئين وما بين الدنيا والآخرة" (56).

الهوامش

1) الكتاب لسيبويه 303/4.

2) الكتاب لسيبويه 304/4.

3) الكتاب لسيبويه 304/4.

4) الكتاب لسيبويه 305/4.

5) المعرب للجواليقي ص 54.

6) شفاء الغليل للخفاجي ص 25.

7) المعرب للجواليقي ص 54-55 وانظر شفاء الغليل للخفاجي ص 25.

8) انظر المعرب للجواليقي ص 55.

9) المزهر للسيوطي 272/1.

10) المزهر للسيوطي 274/1.

11) غرائب اللغة لرفائيل نخلة ص 25-251.

12) المزهر للسيوطي 274/1.

13) معجم الدخيل في العربية لطه باقر ص 59.

14) المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة لإبراهيم بن مراد ص 118.

15) انظر الكتاب لسيبويه 305/4 والمعرب للجواليقي ص 54 وشفاء الغليل للخفاجي ص 25.

16) المعرب للجواليقي ص 54.

17) نظرات في اللغة للدكتور محمد مصطفى رضوان ص 222.

18) أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج للدكتور مسعود بوبو ص192.

19) انظر المعرب للجواليقي ص 56.

20) المعرب للجواليقي ص 56.

21) أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج للدكتور مسعود بوبو ص 196.

22) انظر غرائب اللغة العربية لرفائيل نخلة ص 250.

23) انظر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج ص 196.

24) انظر المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة ص 119.

25) الكتاب لسيبويه 304/4.

26) المصدر السابق 304/4.

27) المصدر السابق 304/4.

28) المعرب للجواليقي ص 54.

29) انظر المعرب للجواليقي ص 56.

30) انظر في التعريب والمعرب ص 23.

31) انظر شفاء الغليل للخفاجي ص 40.

32) انظر في التعريب والمعرب ص 23.

33) انظر شفاء الغليل للخفاجي ص 40.

34) انظر غرائب اللغة لرفائيل نخلة ص 250.

35) انظر المزهر للسيوطي 287/1.

36) المزهر للسيوطي 280/1.

37) انظر شفاء الغليل للخفاجي ص 31.

38) انظر المعرب للجواليقي ص 56.

39) انظر المزهر للسيوطي 282/1.

40) انظر المعرب للجواليقي ص 56 والمزهر للسيوطي 270/1.

41) المزهر للسيوطي 270/1.

42) المزهر للسيوطي 287/1.

43) الكتاب لسيبويه 304/4.

44) المعرب للجواليقي ص 56 وانظر شفاء الغليل ص 30.

45) المعرب للجواليقي ص 57.

46) المصدر السابق ص 57.

47) انظر تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية لطوبيا العنيسي ص 25 وأثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج ص 347.

48) القاموس المحيط لفيروز آبادي (خندق) 237/3 وانظر الألفاظ الفارسية المعربة لأدى شير ص 57.

49) انظر أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج ص 347.

50) سورة الكهف آية 107.

51) انظر معاني كلمة زخرف في القاموس المحيط (زخرف) 152/3.

52) انظر أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج ص 339.

53) غرائب اللغة العربية لرفائيل نخلة ص 175.

54) انظر أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج ص 243.

55) شفاء الغليل للخفاجي ص 23.

56) أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج ص 300.

مصادر البحث ومراجعه

1 – **أثر الدخيل على العربية في عصر الاحتجاج** للدكتور مسعود بوبو، دمشق سنة 1982م.

2 -**أحكام تجويد القرآن الكريم في ضوء علم الأصوات الحديث** للدكتور عبد الله عبد الحميد سويد،ط 2 ليبيا،بلا تاريخ.

3 – **الألفاظ الفارسية المعربة** لأدى شير، بيروت سنة 1908.

4 – **تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه** لطوبيا العنيسي، القاهرة سنة 1965م.

5 – **شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل** لشهاب الدين أحمد الخفاجي، نشره محمد عبد المنعم خفاجي، ط1 القاهرة سنة 1952م.

6 – **غرائب اللغة العربية** لرفائيل نخلة اليسوعي، ط 2 بيروت سنة 1959م.

7 – **في التعريب والمعرب** لابن بري،تحقيق د/إبراهيم السامرائي،ط1 بيروت سنة 1985م.

8 – **القاموس المحيط** لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ط 2 سنة 1952م.

9 – قرار مجمع اللغة العربية الأردني المنشور في **مجلة المجمع**، العدد 40 لسنة 1991م.

10 – **الكتاب لسيبويه**، تحقيق محمد عبد السلام هارون، القاهرة سنة 1963م.

11 – **المزهر في علوم اللغة وأنواعها** لجلال الدين السيوطي، تحقيق لجنة من الأساتذة، القاهرة سنة 1960.

12 – **المصطلحات الفنية** للدكتور صادق الهلال،ي بحث نشر في **مجلة اللسان العربي**، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، العدد 27 لسنة 1986.

13 – **المصطلح العلمي العربي قديما وحديثا** للدكتور مناف مهدي محمد، بحث نشر في **مجلة اللسان العربي** ، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، العدد 30 لسنة 1988.

14 – **المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة** لإبراهيم بن مراد، تونس سنة 1978.

15 – **معجم الدخيل في اللغة** لطه باقر، بيروت ، بلاتاريخ.

16 – **المعرب من الكلام الأعجمي** لأبي منصور الجواليقي،تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة سنة 1969م.

17 – **نظرات في اللغة** للدكتور محمد مصطفى رضوان، ط 1 ليبيا 1976.

الكتابة بين السريانية والعربية

الدكتور/ محمد علي الزركان

كلية الآداب والعلوم الانسانية

جامعة حلب / سوريا

تمهيد

بدأت محاولات الإنسان منذ أقدم العصور للتعبير عن أعماله وما يجرى في ذهنه بأسلوب يبقى للمستقبل القريب أو البعيد.

ولقد عثر الباحثون في أماكن عديدة من الدنيا، وفي موطن الساميين خاصة على رسوم ونقوش ولوحات،تظهر أطوار الكتابة، ويتبين من هذه الرسوم والإشارات المنحوتة في جدران الكهوف، أن الإنسان بدأ يعبر عما يدور في خلده منذ أزمان بعيدة (1).

وفي الألف الخامس قبل الميلاد تطور هذا الأسلوب في جنوب وادي الرافدين ومصر القديمة، حتى اتخذ أشكالا وصورا ورموزا متتابعة تدل كل منها على كلمة، ويشير مجموعها إلى سلسلة من الحوادث، وسميت هذه الكتابة (الصورية) وفي الألف الثالث قبل الميلاد،راح شعب جنوبي الرافدين في تطوير الكتابة التي أخذت الإشارات والرموز فيها الشكل المثلث الاسفيني المسمى بالخط المسماري والذي تدل كل إشارة فيه على مقطع (2).

وقد ظهر بعد ذلك أسلوب الكتابة المقطعية في نواح عديدة من العالم، فظهر في مصر في مستهل الألف الثالث قبل الميلاد، وفي جزيرة كريت وفي الهند وفي الصين في مستهل الألف الثاني قبل الميلاد (3).

ولما كان الخط المقطعي صعبا ومعقدا لا حتوائه على نيف وخمسمائة رمز أو مقطع، إضافة إلى الحركات التي تعطي الرمز المقطعي الواحد معاني عدة، كا ن لابد للإنسان أن يتوصل إلى أسلوب كتابي أكثر بساطة وأقل تعقيدا.

وقد ظهرت في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد كتابة تدل فيها الصور والرموز على مخارج صوتية تتألف منها المقاطع، وهذه بداية عهد جديد مشرق في علم الكتابة ، جاء نتيجة تطور طويل على مر الأجيال.لذلك يوجز الأستاذ طه باقر أدوار الكتابة بما يلي: (4)

1- دور الإشارات والرموز " الإشارة تدل على عمل "

2- الدور الصوري والدور الرمزي"الإشارة تدل على كلمة"

3- الدور الانتقالي إلى الدور الكتابي المختلط المسمى بالخط المسماري "الإشارة تدل على مقطع "

4- دور الحروف الهجائية ، الدور الصوتي المجرد " الإشارة تدل على حرف".

الكتابة الأبجدية:

ومن أعظم مآثر الإنسانية في العصور القديمة هو ابتكار الحروف الهجائية الأبجدية، ذلك الإناء العجيب الذي استوعب تاريخ البشرية من جميع نواحيه.إن تساؤلات كثيرة قد ترد إلى الذهن... ترى متى تم هذا الإنجاز الفذ؟ من قام به ؟ وأين...؟ أسئلة بذل العلماء والباحثون مجهودات جبارة طوال قرون عديدة للإجابة عنها، إلاّ أن الحقيقة لما تنجل بعد، وما يزال العلماء تبعا للاكتشافات الجديدة، ينقضون نظرية ويبنون أخرى... كالنظرية المصرية وكنظرية ما بين النهرين، ونظرية طور سيناء وغيرها(5).

تفرع الأبجدية السامية:

مثلما انقسم الشعب السامي فيما قبل التاريخ إلى أقوام وقبائل كثيرة، وتشعبت لغته السامية الأم إلى لغات عديدة. كذلك تفرعت الأبجدية السامية الشمالية الأولى التي ابتكرها الساميون في سورية وكنعان إلىأربعة أقلام قديمة رئيسة:

1- **القلم السامي الجنوبي:** انتشر في حينه في جنوب شبه الجزيرة العربية وعبر البحر الأحمر إلىالحبشة، وانتشر بعد ذلك بين قبائل الجزيرة العربية، وتولدت منه الأقلام اللحيانية والثمودية والصفوية (نسبة إلى الصفا قرب حوران) في حين لم تقم له قائمة إلاّ في القلم الحبشي.

2- **القلم الفينيقي القديم:** تولد منه القلم الفينيقي المتأخر، وانتقل مع بعض التغيير إلىالمستعمرات الفينيقية في شمال إفريقياعلى سواحل البحر الأبيض المتوسط، كقلم قرطاجنة وقلم ليبيا القديم، كما تولد منه أيضا القلم الإيبيري (الإسباني القديم)،وقد انقرضت جميعها، ويرى العديد من الباحثين أن الأبجدية اليونانية (أم الأقلام الغربية كافة) اقتبست من الفينيقية.

3- **القلم العبري القديم:** تولد منه الأقلام التالية: المؤآبي والآدومي والعموني والسامري، ولم يبق منها إلاّ الأخير على نطاق ضيق جدا.

4- **القلم الآرامي:** وقد تولدت منه أبجديات كثيرة.(6)

وهكذا يتضح للقارئ بعد هذه المقدمة السريعة أن الأقوام القديمة بناة حضارة ما بين النهرين ومصر وجرر بحر إيجه وآسيا الصغرى ووادي الهندوس والصين قد توصلوا إلى أسلوب متطور في تاريخ الكتابة،إلاّ أنهم لم يتمكنوا من بلوغ الطور الأخير- أعني الطور الأبجدي- وهو ما توصل إليه الشعب السامي في بلاد الشام والعراق، وتلك واحدة من أعظم مآثر الساميين التي أورثوها للبشرية وسنتابع في الصفحات القادمة الفصول المتعلقة بالكتابة في السريانية والعربية وبما أن السريانية وارثة الآرامية، فقد مهدت لها بفصل لينير الطريق أمامنا في بحث الكتابة السريانية والعربية.(7) (ينظر الأشكال 1-2-3-4).

-الكتابة الآرامية:

سأتناول في هذا الجزء الكتابة الآرامية بشكل سريع لأنها تعدّ الأمّ التي غذّت بلبانها القلمين السّرياني والعربي. ولا غرابة في ذلك فقد اقتبس الآراميون كتابتهم من الأبجدية السامية الشمالية مباشرة، ولما غزت لغتهم ما بين النهرين في القرون الأولى من الألف الثاني قبل الميلاد، دخلت معها كتابتهم الأبجدية السهلة

البسيطة. فلقد تهيأ للآرامية من الأسباب ما جعلها تنتشر في الشرق من أقصاه إلى أقصاه، لسهولة أبجديتها وبساطة اشتقاقها وقواعد نحوها.

ونظرا لكون القبائل الآرامية متاخمة، وأحيانا متداخلة مع الإمبراطورية الآشورية دون بقية الأقوام ذات الكتابة الأبجدية كالفينيقيين والعبريين والعرب الجنوبيين لذلك انتشر الخط مع توسع الإمبراطورية الآشورية التي شجعته ثم زاد ازدهارا في عهد الإمبراطورية البابلية الكلدانية وارثة الآشورية. فأزاحت الكتابة الآرامية الخطوط المسمارية بمختلف أنواعها، والخطوط الأبجدية السامية الشمالية كالعبري والفينيقي بفروعهما، وتعدت إلى اللغات غير السامية (8).

وآخر خط أزاحته هو الخط العربي الجنوبي (المسند)، وذلك حينما اختفت الخطوط اللحيانية والثمودية والصفوية في شمال الجزيرة العربية، ثم في جنوبها أمام الخط العربي المنحدر من الكتابة النبطية الآرامية.

ويلاحظ أنه لم يعثر على آثار للخط الآرامي بين القرنين الرابع والثاني قبل الميلاد إذ أنه العهد الذي تكونت فيه كتابات آرامية محلية كالعبرية المربعة والنبطية والتدمرية والحضرية والسريانية، فليس من السهل الكشف عن مدى تأثير الكتابة الآرامية في الطور الأول على بناتها كتابات الطور الثاني. (9)

يقول صاحب اللمعة الشهية(10): "أما القلم الأول الذي اخترعه الآراميون فلا يعلم بتحقيق كيف كانت صور حروفه فردا فردا. ولكن ذهب بعض العلماء في عصرنا إلى أن هذا القلم هو القلم المسماري الذي يرى في الكتابات المرسومة على الأحجار الكثيرة التي كانت مطمورة تحت الأرض في نينوى بقرب الموصل وأماكن أخرى. غير أن هذا القلم القديم تغير شيئا فشيئا في تتابع الأزمان حتى ذهب عنه الشكل المسماري وتولد منه قلم جديد مخطط الحروف، متشابهة حروفه بحروف القلم المسماري. وهذا القلم البكر منذ الأزمان القديمة تولّد منه أقلام كثيرة مشابهة بعضها لبعض مع اختلاف أزمانها وأماكنها. أما ما هو معروف اليوم من هذه الأقلام المتولدة من القلم الأصلي، **فأولا**: القلم السامري الذي كان اليهود يستعملونه قبل جلائهم إلى بابل، وإلى الآن يستعمله السمرة القليل عددهم. **ومنها** القلم الفوني أو الفونيقي، أي المكتوب على الأحجار القديمة التي وجدت وتوجد إلى اليوم في الجانب الغربي من بلاد الشام. **والقلم** التدمري المنقوش في آثار مدينة تدمر المشهورة وما يجاورها. **والقلم** الذي يسميه علماؤنا بالنبطي وهو الذي كان يستعمله جيل من السريان في بلاد الشام وبلاد العرب يقال لهم النبط. ومن هذا القلم نتج القلم الحميري العربي الذي منه تولد القلم الكوفي ومن هذا نشأ القلم العربي المعروف اليوم الذي يقال له النسخي. (11)

وأقدم قلم آرامي اتصل بنا عهده في الكتب المسطورة هو القلم البابلي المستعمل في زمان كورش ملك فارس. وهو الذي تعلمه اليهود في جلائهم إلى بابل وبعد رجوعهم إلى أرضهم في القرن السادس قبل المسيح، لم يزالوا يستعملونه إلى يومنا هذا ، ويسمونه القلم الآشوري، والسامريون يسمونه اليهودي، ويسميه علماء الفرنج القلم المربع لأن حروفه أكثرها مربع تقريبا. وحروف هذا القلم تشبه كثيرا الحروف اليونانية فنرى أن

أقدم قلم آرامي حفظ لنا إلى يومنا هذا، و يستعمله الآراميون ولا يعرفونه، بل تستعمله أمة غريبة أي اليهود، وهم يحترمون هذا القلم الآرامي ويعظمونه غاية التعظيم، حتى إنهم يتخذون كل ما يكتب به شيئا مقدسا..(12). ولا أدري هنا كيف جعل الكاتب الأنباط جيلا من السريان، وكأن هؤلاء أصل وأولئك فرع، وهذا غير صحيح... ثم نجده يعترف هنا بأن القلم العربي الكوفي متولد من القلم العربي الحميري، في حين نجده في مكان آخر من كتابه ينسب القلم الكوفي إلى القلم السطرنجيلي السرياني.

تفرع الكتابة الآرامية:

دام العهد الذهبي للآرامية في ظل حكم الكلدانيين ثلاثة قرون، وأشهر ما وصل منها حكمة آحيقار المكتشفة في جزيرة (فيلة) في الصعيد المصري (13) والتي يرتقي عهد كتابتها إلى القرن الخامس قبل الميلاد.

إلاّ أن الإسكندر الكبير لدى استيلائه على الشرق بعد أن قوض حكم الفرس الأخمينيين، فرض على الدولة الجديدة اللغة اليونانية، لغة رسمية عوضا عن الآرامية ففقدت الأخيرة عوامل وحدتها وتفرعت إلى لهجات أهمها: لهجة فلسطين اليهودية سليلة آرامية بابل الكلدانية، واللهجات النبطية والتدمرية والحضرية والرهاوية. كما بقيت في جنوبي ما بين النهرين لهجة أخرى هي المنداعية، وكان عامل الدين سبب بقاء اللهجتين الفلسطينية والمنداعية (أي لهجة الصائبة)(14).

وعلى أثر تقسيم دولة الإسكندر المكدوني الغازي بعد موته بين قواده، ووهن هذه الدول تحت ضربات الجيوش الرومانية الزاحفة نحو الشرق، قامت بعد مدة دويلات أبقت على لغتها الآرامية، منها دولة النبط ودولة تدمر ودولة الحضر ودولة الرها وما حدث للغة الآرامية حدث أيضا لكتابتها إذ تطورت منذ آثارها الكتابية الأولى في القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد، نحو التدوير مع شيء من التربيع، فبينما كانت تكثر فيها الزوايا في أدوارها الأولى، أصبحت شبه مدورة في أدوارها الأخيرة... فنشأت نماذج جديدة للخط الآرامي في مختلف نواحي الشرق، ومالت بعض تلك الخطوط إلى التربيع كالخط العبري والخط التدمري والخط السرياني السطرنجيلي. أما الخطان النبطي والحضري ففيهما التربيع والتدوير، وأما المنداعي فهو أكثر تدويرا.(15)

الكتابة السريانية:

ا- متى وأين نشأت:

يقول بعض الباحثين أن آرامية الرّها المعروفة بالسريانية هي الوارث الوحيد للغة الآرامية والتي لا زالت تعيش حتى الآن، بصرف النظر عن بعض اللهجات الآرامية الأخرى كلهجة أهل معلولا مثلا. فيكون الخط السرياني هو الوريث المباشر للخط الآرامي، وقد رأينا في المقدمة وفي بحث اللغة الآرامية كيف تفرعت هذه إلى لهجات عدة، مع ملاحظة اختلاف الباحثين في سرد هذه التفريعات اللهجية، ونسبة كل واحدة منها إلى الأخرى.

لقد اكتشف العديد من آثار الخط السرياني في طوره الأول، وأكثرها في منطقة أعالي نهري دجلة والفرات، وقسم منها في سورية وفلسطين، وسنتدرج من الأوضح إلى الأقل وضوحا ثم إلى المشكوك فيه.

أقدم كتاب مخطوط حفظ حتى الآن باللغة السريانية يرقى إلى مستهل القرن الخامس للميلاد وهو مخطوطة

طيطوس البوستري، كتبت سنة 411م وهي مخطوطة بالمتحف البريطاني. أما الآثار الكتابية النقشية فأكثرها اكتشف في الرها وجوارها، وفي أنقاض مدينة مطمورة اسمها (دورا-يورويس) التي تسمى الآن الصالحية وهي واقعة على الضفة اليمنى لنهر الفرات على منتصف الطريق تقريبا بين المياذين والبوكمال. وتتوزع هذه النقوش بين القرون الثلاثة للميلاد، وتعد تلك النقوش بالمئات إلاّ أنه يكتفي بإيراد قسم منها.

فبين الآثار التي نقشت في النصف الأول من القرن الثالث الميلادي نقش عثر عليه في دورا نصه:(شكل5).
ومعناه: "حليصا بن سنق القرحاني تلميذ العلي مذكور أمام الله".

وهذا نقش آخر وجد في دورا من القرن الثاني نصه:
ومعناه: "هذا الصنم الذي صنعه معنو بن مقمي لأبجر الحاكم"(16).

والأهم من ذلك أنه وجدت آثار من القرن الأول للميلاد منها نقش (سرين) من سنة 75 ميلادية، وقد وجد على نصب قبر قرب قرية سرين التي تقع على الشاطئ الأيسر من الفرات، جنوبي غربي الرها بنحو مئة كيلومتر، وشرقي منبج ونصه:(17) (ينظر الشكل7)

ومعناه: " في شهر تشرين الأول سنة 385 يونانية أي 74 ميلادية، بنيت أنا معنو قسيس بدر ناحاى بن معنو بن شرود نحا هذا الناووس لنفسي ولبني ابن تسعين سنة من يسبح تباركه كل الآلهة، والعمر والحياة تكون له، ومن يأتي ويهدم هذا الصنع... ومغفرة لا تكون له وبنون، ليرموا التراب على عينيه لا يوجد له".

إلاّ أن أقدم أثر أكيد للخط السرياني عثر عليه حتى الآن هو نقش (بيراجيك) فإنه يرتقي إلى السنة السادسة للميلاد،وجد على قبر في بيراجيك الواقعة في جنوب تركيا وعلى الضفة اليسرى لنهر الفرات على بعد خمسة وثمانين كيلومترا غربي الرها ونصه:(18)(ينظر الشكل 8).

ومعناه: "في شهر آذار سنة 317 يونانية أي 6 ميلادية، أنا زربين بن أبجر حاكم بيرتا (القلعة بالسريانية) مربي غودنت بن معنو بن معنو صنعت هذا القبر لنفسي ولحويا ربة بيتي ولأولادي، كل إنسان يأتي إلىهذا القبر ويرى ويسبح تباركه كل الآلهة" (19).والمرجح أن هذه النقوش آرامية وليست سريانية.

ثم هل يرتقي الخط السرياني إلى ما قبل هذا التاريخ؟
إن المستشرق Diringer (20) يذكر أن أول أثر للخط السرياني هو من النصف الأول للقرن الأول قبل الميلاد، فقد عثر على أثر للخط السرياني في أنقاض دير مار يعقوب ذى القبور في جبل الرها يعرف بنقش الملكة (شدان) ملكة حدياب.(21)

ب- كيف نشأت الكتابة السريانية؟

تتضارب آراء الباحثين حول كيفية نشوء الكتابة السريانية، فمنهم من يؤكد أن السريان أخذوا قلمهم الأول من الخط التدمري السريع ومنهم من يذهب إلى أنه ناشيء من الخطوط الغربية، أي العبري المربع، والنبطي والتدمري. والمستشرق (فيفري)Fevrier يرى: أن التدمرية والسريانية متقاربتان، فيستنتج أن كتابة الثانية تنحدر من الأولى.(22)

وقسم من الباحثين يرى أن الخط السرياني لا ينحدر من التدمري بل كلاهما ينحدران سوية من الآرامي المشترك، وقد تأثرت الواحدة بالأخرى عن طريق التجارة والثقافة وغيرهما.(23).

ومنهم من يذهب إلى أن السريانية اقتبست صور حروفها من الخطوط الآرامية في أعالي دجلة وليس من التدمرية السريعة. وتدعم المستشرقة (جاكلين بيرين) (Jacqueline Pirènne) رأيها هذا قائلة: يقال إن الخط السرياني السطرنجيلي ينحدر من الكتابة التدمرية السريعة، غير أن هذه الأخيرة لا تظهر قبل سنة 150م وكل ما عثر عليه قبل هذا التاريخ هو من الكتابة التدمرية النقشية.فهل من المعقول أن يقتبس منها الخط السرياني الذي وجد بصورة أكيدة منذ السنة السادسة للميلاد؟ وترى أن الكتابة السريانية أقرب إلى الكتابات الآرامية في آشور والحضر وطور عبدين منها إلى الكتابة التدمرية السريعة. وبين الاثنين والعشرين حرفا سريانيا في طورها الأول أحد عشر منها يشبه حروف شمال وادي الرافدين، وستة تشبه الخط التدمري، وثلاثة الخط النبطي واثنان مستقلان.(24)

ومن القائلين أيضا بهذا الرأي(درايفرز) H.J.W. Dryvers ، حيث يؤكد أن حروف سريانية الرها، حسبما ترى في الآثار الأولى التي اكتشفت تظهر كيف أن الخط السرياني السطرنجيلي ينحدر من الكتابة السريعة على الرق في شمالي ما بين النهرين ومنهم أيضا إسرائيل ولفنسون، الذي يرى أن لهجة الرها وكتابتها قريبة من اللهجات الآرامية التي كانت شائعة في مناطق دجلة الشمالية.

والذي يتبادر إلى ذهن الباحث أن هذه اللغات أو اللهجات، لا يستبعد أن تقرض بعضها بعضها سواء كان ذلك في الصوت أو في الصورة، فمن الطبيعي أن يكون ثمة تأثير متبادل بين الأنباط والتدمريين المتجاورين، وهذا التأثير يظهر بصورة خاصة في توصيل الحروف وزواياها، وأن يكون تأثير متبادل بين الرها وتدمر المتجاورتين كذلك لا سيما في توصيل الحروف وتربيع بعضها، وبين الرها ومراكز منطقة دجلة الشمالية في أشكال الحروف بشكل خاص. (25)

جـ- تفرع الخط السرياني:

يقول ابن النديم في الفهرست (26):" إن للسوريانيين ثلاثة أقلام وهي المفتوح ويسمى اسطرنجالا وهو أجلها وأحسنها، ويقال له الخط الثقيل، ونظيره قلم المصاحف. والتحرير المخفف ويسمى اسكوليتا(27)، ويقال له الشكل المدور، ونظيره قلم الوراقين. والسرطا (28) وبه يكتبون الترسل ونظيره بالعربية قلم الرقاع".

فكانت الانشقاقات الدينية التي فرقت السريان في القرن الميلادي قد قسمتهم إلى فئتين متقابلتين: السريان الغربيين في الإمبراطورية البيزنطية، والسريان الشرقي في الإمبراطورية الفارسية، فتطورت كل منهما في مختلف النواحي بمعزل عن شقيقتها. فكان شأن الخط لدى كل منهما شأن سائر نواحي العلم والحياة. فظهر على مر الزمان لدى كل فئة خط معين مبسط سريع، استعاضت به عن الخط السطرنجيلي القديم الموحد،وعليه فالخطوط السريانية هي:

1- الخط السطرنجيلي: وهو الخط الأول السرياني، نشأ كما رأينا في فجر العهد المسيحي أو في القرنين

السابقين له، وبه كتبت كل النقوش، ودونت كل الكتب في الأجيال المسيحية الأولى. وبعد أن نشأت للسريان أقلامهم البسيطة السهلة خصص الخط السطرنجيلي لتدوين الأناجيل ،ومن أخذ تسمية "سطرنجيل".

2- **الخط الشرقي:** نشأ بين السريان الشرقيين، ولكن هل يمكن تحديد عهد ظهوره؟ ويبدو أنه كان مستعملا منذ الأجيال الأولى للكنيسة.(29)

ويرى (ديرنجر): أن الخط البسيط (الشرقي والغربي) قد نشأ منذ القرن السادس للميلاد.(30)

3- **الخط الغربي:** تجمع آراء الباحثين على أن الخط الغربي نشأ أيضا كأخيه الشرقي في القرن الثامن للميلاد، وقد نشأ على غرار الخط الشرقي نتيجة لتطور الخط السطرنجيلي في أوساط السريان الغربيين خلال عدة قرون ابتداء من القرن السادس الميلادى.

والجدير بالذكر والملاحظة أن الخط الغربي في المراحل الأولى من تطوره كان شبيها بالخط الشرقي في الفترة نفسها، ومال إلى التدوير على غرار الشرقي في مراحله الأولى، إلاّ أنه لم يرجع إلى التربيع كالشرقي، بل أكمل مسيره نحو التدوير ، حتى غدا مدورا تماما في القرن الحادي عشر الميلادي.(31)

4- الخط السرياني الفلسطيني، وينقسم إلى قلمين:(32)

أ- **الفلسطيني:** يذكر البحاثة (ديرنجر) عن نشوء هذا الخط، أن من المستشرقين من يقول إنه من أصل يوناني.وبعضهم يذهب إلى أنه منحدر من التدمري.ومنهم من يرى أنه أخذ من الخط العبري المربع في القرنين الرابع والخامس الميلاديين.

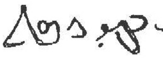
ب- **الملكي:** يشبه بعض الباحثين هذا الخط الذي نشأ في المناطق الغربية الجنوبيةمن سورية بخط سرطا، ومنهم من يرى أنه شبيه بالخط الشرقي وهو الرأي الأصوب لوجود التربيع فيه، ومن بين آثاره الكتابية مخطوطة في مكتبة أكسفورد.

وأخيرا لقد أفرد صاحب اللمعة الشهية الباب الثاني عشر من كتابه مجملا فيه الكلام عن الكتابة السريانية لدى الشرقيين ولدى الغربيين فقال:

" مما تقدم من الشرح إلى الآن يتضح أن الكتابة السريانية من جهة ضبط الحروف وما يلحق بها قد تغيرت من زمن إلى زمن، ومن حقب إلى حقب، حتى آلت اليوم إلى الحال التي نراها عليه. فلنجمل الكلام في حال الكتابة اليوم لدى الشرقيين ولدى الغربيين، لتزيد الفائدة فنقول:

"إن الشرقيين يكتبون بالقلم المسمى النسطوري فقط، ومنذ نحو ثلاثمائة سنة كل كتابتهم مشكّلة بالحركات النقطية، لا يهملونها أبدا إلاّ نادرا جدا.ويرسمون دائما نقطة التركيخ ونقطة التقشية، ما لم تمنعها حركة الحرف، إلاّ الكاف في آخر الكلمة فإنهم لا يرسمون عليها نقطة لا من فوق ولا من تحت.

ويرسمون النقطة الكبيرة مع الأفعال ومع الضمائر ولكن كثيرا ما يهملونها.ويرسمون علامة الإسقاط دائما إلاّ في آخر الكلمة وإلاّ على هاء الضمير ويرسمون دائما علامة المهجّي.

وأما الغربيون فمنذ أكثر من خمسمائة سنة يكتبون بالقلم المسمى اليعقوبي. وقد يكتبون عناوين كتبهم بالقلم السطرنجيلي، ولا يشكّلون كتبهم إلاّ نادرا وذلك بالحركات اليونانية ،إلاّ أن الفتاح والزقاف والزلام قد يرسمونها بالنقط ولا ينقطون الركاخ والقشاي إلاّ أحيانا، وإذا نقطوها فلايستثنون من أحرف  شيئا، وهم أشد ضبطا للنقطة الكبيرة. وقلما يستعملون علامة الإسقاط،ولا يعرفون المهجي إلاّ في فعل الأمر من المزيدات. وكلا القبيلين يميزان أبدا بالنقطة الكبيرة الدالث من الريش. وهاء ضمير المؤنثة الغائبة. ويرسمان السيامي. ويميزان أجزاء الكلام بنقطة واحدة أو أكثر تكتب في آخر الجملة، أو جزء الجملة. ويفصلان الكلمات بعضها من بعض بمسافة يسيرة. ويستعملان في كل كتبهم الحبر الأحمر مع الأسود. ويكتبان حروف الكلمة برمتها ولا يختصران الكتابة إلاّ في ألفاظ نادرة جدا. وعلامة الاختصار خطيط مستقيم مواز يرسم فوق الحرفين الأخيرين من الكلمة، والشرقيون يكسرونه في وسطه نحو تحت"(33)(شكل 9).

- الكتابة العربية وتطورها:

كانت النظريات في نشأة الخط العربي مختلفة، إذ كان مبدأ النشأة مجهولا وهذا أمر طبيعي، إذ لم يكن قد تمّ الكشف عن الآثار التي تظهر أصل هذه الكتابة.وسأورد في هذا البحث أقوال بعض المؤرخين من العرب ومن غير العرب ثم أستعرض بعض النقوش المكتشفة التي توضح جذور الكتابة العربية.

أولا: أقوال المؤرخين العرب: لقد حاول المؤرخون القدامى البحث في أصول الكتابة العربية، فرووا في ذلك روايات مختلفة...

ا- الرواية الأولى: يقول البلاذري:"حدثني عباس بن هشام بن محمد بن سائب الكلبي عن أبيه عن جده،وعن الشرقي بن القطامي قال: اجتمع ثلاثة نفر من طيء ببقة(34) وهم: مرامر بن مرة، وأسلم بن سدرة، وعامر بن جدرة (35) فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية. فتعلمه منهم قوم من أهل الأنبار. وكان بشر بن عبد الملك أخو أكيدر بن عبد الملك بن عبد الجن الكندي، ثم السكوني صاحب دومة الجندل، يأتي الحيرة فيقيم بها الحين وكان نصرانيا، فتعلم بشر الخط العربي من أهل الحيرة ثم أتى إلى مكة في بعض شأنه فرآه سفيان بن أمية بن عبد شمس وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب يكتب فسألاه أن يعلمهما الخط فعلمهما الهجاء.." (36)

ب- الرواية الثانية: يذكرها قسم من الكتاب الأقدمين كالقلقشندي وابن النديم ومفادها: أن أول من وضع الخط العربي وألف حروفه ستة أشخاص من العرب العاربة من طسم كانوا نزولا عند عدنان بن أدد وأسماؤهم : " أبجد- هوز- حطي-كلمن-سعفص-قرشت" فوضعوا الكتابة والخط على أسمائهم، فلما وجدوا في الألفاظ حروفا ليست في أسمائهم ألحقوها بها وسموها الروادف وهي: الثاء المثلثة والخاء والذال والظاء

والغين والضاد المعجمات... ثم انتقل عنهم إلى الأنبار،واتصل بأهل الحيرة وفشا بين العرب.(37)

ولا أريد أن أعلق على هذه الرواية إلاّ بأنها إلى الخيال أقرب منه إلى الحقيقة، وربما كان فيها بعض الصحة لكنها ضاعت في ثنايا تلك الترهات..

جـ- الرواية الثالثة: ويرى قوم أن الخط العربي جاء من اليمن إلى النبط والحيرة ومنها إلى الحجاز. (38). إن الخط العربي الجنوبي الذي سمي بالمسند استعمل منذ نهاية الألف الثاني قبل الميلاد وقد اشتهر في الجنوب في عهد مملكتي سبأ ومعين، ولا يزال حتى الآن يستعمل في الحبشة.

نعود إلى ابن النديم الذي هو أكثر المؤرخين العرب القدامى تحدثا عن أصل الكتابة والخط العربي فقال: " قرأت في كتاب مكة لعمر بن شبة وبخطه: أخبرني قوم من علماء مضر قالوا : الذي كتب هذا العربي الجزم رجل من بني مخلد بن النضر بن كنانة فكتبت حينئذ العرب..."(39)

هذا النص يلفت النظر، ففيه أولا ورود كلمة(الجزم) يعني هذا أن العرب اقتطعوا واختزلوا حروف الخط المسند اليمني،واستنبطوا منه الأبجدية العربية ويبدو أن ابن النديم كان مقتنعا بهذه الفكرة، حتى إنه رسم الحرف المسند، وفي وسطه الحرف العربي، ليبين كيف جزم الحرف العربي من المسند.

ولعل ابن خلدون كان أوضح الكتّاب العرب في بيان الصلة بين الخط الحميري والخط العربي حينما قال: "وكان الخط العربي بالغا مبالغة من الأحكام والإتقان والجودة في دولة التبابعة، لما بلغت من الحضارة والترف، وهو المسمى بالخط الحميري، وانتقل إلى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر نسباء التبابعة في العصبية والمجددين لملك العرب بأرض العراق..." (40)

إذن انتشر هذا الخط في شبه الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها، إذ اكتشفت منه كتابات عديدة لأحقاب مختلفة في أكثر أنحاء الجزيرة، ويتفوق هذا الخط بالتنسيق على كل الأقلام القديمة(41).(شكل6) و(شكل11)و(شكل 12).

مناقشة:

بعد هذا العرض السريع لتاريخ الخط العربي الجنوبي (المسند) يمكن التساؤل هل من الممكن أن يكون قد أعطى الحياة للخط العربي الذي تبناه الإسلام والذي لا يزال يستعمل حتى الآن؟

يقول بعض الباحثين أن الخط العربي لا ينحدر من المسند بل من خطوط اللهجات الآرامية التي كانت شائعة قبيل الدعوة الإسلامية في بادية الشام وفي ما بين النهرين وذلك لأن نقوش الخط المسند تخالف رسوم الكتابة العربية، ثم لأن الخط العربي الجنوبي منفصل الحروف، والخط العربي الحجازي متصلها، وغير ذلك من الفروق.

ثانيا: أقوال المؤرخين غير العرب:

ا- النظرية الأولى: سادت في النصف الأول من هذا القرن بين العلماء المستشرقين المهتمين بنشأة الخط العربي بناء على المشاهدات المكتشفة فكرة تتلخص ، بأن الخط العربي تطور من الخط النبطي المتأخر، وقد أوردوا الأدلة على ذلك من النقوش المكتشفة في النمارة وأم الجمال وغيرهما مما

سنأتي إلى تفصيله.

فلقد عثر الباحثون المستشرقون في بقاع غير بعيدة من منطقة الصفا قرب حوران على خمسة نقوش ترقى إلى ما قبل الإسلام، الأول باللغة الآرامية والأربعة الأخرى باللغة العربية أو قريبة من العربية، من حيث المادة اللغوية والأسلوب ودونت هذه النقوش بالقلم النبطي المتأخر، الذي يتطور شيئا فشيئا آخذا شكلا جديدا مستقلا هو الخط العربي(42).ويرى بعضهم أن هذا الخط العربي الأول قريب من الكوفي. أما إسرائيل ولفنسون فيقول:" وفيه نجد حروفا متصلة بعضها ببعض كما هو الشأن في الخط العربي، وهذه ظاهرة غير مألوفة في أي من الخطوط النبطية القديمة"(43).

ب- النظرية الثانية: ولكن ظهرت نظرية جديدة سنة 1963 كان زعيماها ميليك وستاركي مفادها أن الخط العربي تطور من الخط السرياني. وقد اعتمدا في الاتجاه إلى هذا الرأي على النصوص التاريخية القديمة التي ذكرها هشام بن محمد السائب الكلبي والبلاذري وابن النديم وياقوت الحموي ومن نقل عنهم كابن خلدون والقلقشندي والمقريزي(44).

فقد عرض ستاركي أمثلة تدل على الشبه بين الخط السرياني السطرنجيلي والخط العربي القديم، وكان دليله أن هذه النصوص العربية القديمة وجدت في بلاد الشام بعد انقراض الدولة النبطية بعدة قرون،واستدل-من أجل تأييد وجهة نظره- على الشبه الظاهري بين الخطين السرياني والعربي القديم ويتلخص فيما يلي:

1- بعض الحروف العربية متصلة كالسريانية، بينما النبطية تظل مستقلة.

2- الحروف العربية تنتظم على سطر واحد كالسريانية، بينما الحروف النبطية لا تخضع لهذا الانتظام، فهي تعلو وتنخفض عن السطر.

3- بعض الحروف العربية هي الحروف السريانية نفسها شكلا ولفظا: الألف والدال والراء والميم والشين والغين والهاء ذات العقدتين.

4-المصادر التاريخية العربية القديمة تؤيد هذا الاتجاه، فهي تذكر أن العرب تعلموا الخط من الحيرة والأنبار (45).

لا أريد أن أناقش هذه النظرية الآن، ولكنني أقول إن المطران إقليس يوسف داود تناول هذه الفكرة بشيء من التفصيل في كتابه اللمعة الشهية منذ أواخر القرن التاسع عشر، بمعنى أنه سبق ميلّيك وستاركي بوقت طويل، ولا أدري فيما إذا كانا قد اقتبسا فكرتهما عن هذا الباحث؟ إذ يقول إقليس يوسف داود:

" ولا يهون علينا أن نختم هذا الفصل من دون أن نبحث عن الأبجدية العربية وقلمها فنقول : إنه من المؤكد التاريخي أن القلم العربي هو ناشئ عن القلم السرياني وذلك يظهر:

أولا: من المشابهة القوية التي بين حروف القلم الواحد الأصلي وهو الكوفي وبين حروف القلم الآخر وهو السطرنجيلي الذي كان شائعا يوم اتخذ العرب الكتابة.

ثانيا: يظهر ذلك من ترتيب الأبجدية لدى العرب إذ يقولون أبجد هوز حطي... الخ على نسق ترتيب السريان.

ثالثا: إن الحروف المقطوعة عما بعدها في القلم

السطرنجيلي هي بعينها مقطوعة في القلم العربـي إلاّ الهاء والصاد والثاء.

رابعا: يتضح ذلك من عدد من صور الحروف فإنها اثنتان وعشرون صورة في العربيـة كما هـي في السريانية، مع أن العربية حروفها أكثر من اثنين وعشرين.

فلما بدا للعرب أن يكتبوا كتبوا في الأول بالقلم السرياني السطرنجيلي نفسه أو النبطـي المشتق منه. وإذا كانوا أمة قائمة بنفسها تغيرت حروف قلمهم(كما هـي العادة في كل الأماكن وكل الأزمان ولا سيما الأمم السامية في أمر الخط) وزاغت عن حالها الأصلي شيئا فشيئا، كثيرا أو قليلا، حتى تولد من ذلك القلم القلم الذي كان شائعا في نحو القرن السابع للمسيح،أي في نحو زمان استيلاء العرب على البلاد، وهو القلم الكوفي، ثـم تغير هذا القلم نفسه شيئا فشيئا حتـى أفضى إلى ما هو عليه اليوم وهو الـذي يقال له القلم النسخي..."(46) (شكل11) و(شكل12).

وعلى هذا يمكن القول إنه لا يمكن إنكار تأثر الخط العربي بالخط النبطي المتأخر، ولذلك نجد صاحب اللمعة الشهية لم يستبعد الخط النبطي من تأثيره في القلم العربـي إذ ترك الباب مفتوحا. فإذا كان بعض الحروف السريانية والعربية متشابهة تقريبا، فهي من حيث المظهر في أكثرها لكن اللفظ مختلف تماما. بينما الحروف المتشابهة في الخطين النبطي والعربي ظلت في اللفظ واحدة،وإن التطور نحو التماثل بين الخطين واضح.

أما ما ورد في بعض المصادر التاريخية العربية القديمة عن نشأة الخط، وتعلم العرب الخط من الحيرة والأنبار، فإنه يتكلم عن الخط قبل الإسلام بقليل.

وسنرى عندما تعرض النصوص العربية القديمـة قبل الإسلام، أن كلمات بل جملا كاملة-هـي بشكلها ومبناها ومعناها-عربية خالصة.فقد ذكرت جمل في نقش النمارة الذي يعد أقدم نص عربي، قد كتبت حروفه بخط نبطي متأخر، وبعضها بالخط المتطور مثل الجملة (فلم يبلغ ملك مبلغه).(47)

وربما كان لهذه النظريـة وزن قبل اكتشاف كتابة جبل أسيس، إذ كانت هذه الكتابة عربية خالصة كما سنرى، ولكنها مع ذلك لم تخل من بعض التأثر الطفيف بالخط النبطي، حتى إن التاريخ كتب بالنبطية، كما هو الأمر في جميع النصوص المؤرخة فإذا كانت دولة الأنباط قد انقرضت -حسب ما قال صاحب النظرية- فهل انقرض الشعب النبطي نهائيا؟ واندثرت ثقافته؟(48)

في الواقع أنه لا يزال حتى الآن يستعمل البدوي كلمة (نبطـي) في شعره العامي الملحون. ويجب أن لا ننسى أن أصل الخطين النبطـي والسرياني واحد، فهما منحدران من الخط الآرامي، بخلاف ما يقوله صاحب اللمعة الشهية: إن الخط النبطي متولد من السرياني فليس من الضروري أبدا أن نتشبث بالأخذ بإحدى النظريتين من أجل فكرة معينة كبيان فضل المسيحية على هذا التطور، الأمر الذي لا ينكر كذلك.(49)

ثالثا: النقوش المكتشفة:

لقد عثر المستشرقون الآثاريون في بقاع غير بعيدة من منطقة الصفاة على نقوش ترقى إلى ما قبل الإسلام، الأولى باللغة الآرامية والأخرى باللغة العربية أو قريبة من العربية، من حيث المادة اللغوية والأسلوب، ودونت هذه النقوش بالقلم النبطـي المتأخر الذي يتطور شيئا فشيئا

آخذا شكلا جديدا مستقلا هو الخط العربي، ويرى بعضهم أن هذا الخط العربي الأول قريب من الكوفي، "وفيه نجد حروفا متصلة بعضها ببعض كما هو الشأن في الخط العربي، وهذه ظاهرة غير مألوفة في أي من الخطوط النبطية القديمة " (50).

وسأستعرض هنا بعض هذه النقوش المكتشفة مع كتاباتها بالخط العربي ، وترجمة ما يحتاج منها إلى الترجمة.

1- كتابة أم الجمال الأولى:

وتسمى نقش (فهر برسلي) وتقع أم الجمال في جنوبي بصرى الشام على بعد خمسة وعشرين كيلا، نشرها (أنوليتمان)(51) مع النصوص النبطية.

وهذه الكتابة غير مؤرخة ويمكن أن تكون في حدود الربع الأخير من القرن الثالث الميلادي لأن جذيمة المذكور في النص ، ربما كان هو جذيمة الأبرش، أحد ملوك الحيرة التنوخيين الذي حارب الزباء ملكة تدمر. والكتابة نصها آرامي وقد كتبت بالخط النبطي المتأخر (52).(شكل 13).

1- هذا قبر فهر 1- دنه نفشو فهرو

2- بن سلى مربي جذيمة 2- برسلي ربوجذيمة

3- ملك تنوخ 3- ملك تنوخ

لاحظنا أن ترجمة السطر الأول (دنه نفشو فهرو) إلى (هذا قبر فهر). ولكن كلمة (نفشو)بالآرامية تعني (نفس) أو(روح) بالعربية فلو قلنا بالترجمة: هذه نفس أو روح فهر ،لكان ذلك أقرب إلى النص الحرفي للنقش، لأن هذه العبارة- روح ونفس- ما يزال يكتبها النصارى على قبور موتاهم حتى الآن ولو زدنا حرف الميم بعد(سلى) في السطر الثاني لاتضح الاسم أكثر. ولو قلنا بدل(مربى) رب أي رئيس أو شيخ لكان أقرب في المعنى.

ورأينا أن بعض الأسماء في الآرامية لحقتها الواو مثل: نفشو، فهرو، ربو، وهذه الظاهرة ما زالت موجودة لدى مدن وأرياف الجهة الغربية من سورية فنراهم يقولون: كرمو، سلمو، فخرو...الخ.

2- كتابة النمارة:

2-النمارة قصر صغير من العهد الروماني يقع في الطرف الجنوبي من وادي الشام الجاري بين جبل حوران إلى الشمال الشرقي نحو البادية.

ونقش النمارة يسمى نقش(امرئ القيس)(53) فهو لقبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب وهو ثاني ملوك الحيرة، وجد المناذرة، وهذا النص خليط بين الآرامية والعربية إلاّ أن العربية تتغلب فيه، وهو يرقى إلى سنة 328م، وخطه النبطي المتأخر يوحي ببعض خواص الخط العربي. وقد نقشت هذه الكتابة على تحت الباب وهو من الحجر البازلتي، اكتشفته بعثة فرنسية، في سفح المنحدر المؤدى إلى الوادي في مطلع القرن الحالي، ونقل الحجر إلى متحف اللوفر في باريس، ثم حصل متحف دمشق على نسخة جصية من هذه الكتابة،وعرضت النسخة أخيرا في متحف الخط العربي بدمشق(54) وهذه الكتابة رقمت بالخط النبطي المتأخر وبلغة عربية مشوبة بشيء من رواسب الآرامية، وهذا واضح من وضع الواو في آخر المفردات وخاصة أسماء الأعلام،وأن الألف تحذف من قلب هذه الأسماء. (شكل 15).

الترجمة:

1-هذه نفس امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي حاز التاج.

2- وملك الأسدين ونزار وملوكهم وهرّب مذحج القوية وجاء

3- يرجي في حبج نجران مدينة شمر وملك معدا وأنزل بينه

4- الشعوب ووكلهم الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه.

5- قوة، هلك سنت 223 يوم 7 أيلول، ليسعد أولاده(55).

3- كتابة حران الجنوبية:

وهي حران اللجا تقع في المنطقة الجنوبية من سورية شمالي جبل حوران، كتبت باليونانية والعربية على حجر وضع فوق باب كنيسة يرتقي تاريخه إلى سنة 568م، خطه عربي واضح، وفي نصه صفاء في جميع كلماته وتعابيره، إذ لا توجد فيه أية لفظة آرامية.(56)(شكل 14)

النص

1- أنا شرحيل بن ظلمو بنيت ذا المرطول(57)

2- سنة 463 (بالتقويم النبطي)بعد مفسد(58)

3- خيبر

4-بعام (59)

4-كتابة أم الجمال الثانية:

وجدت هذه الكتابة منقوشة على حجر بازلتي في أم الجمال في المبنى الذي يسمى الكنيسة المزدوجة،والنص غير مؤرخ،وقدر تاريخه بالقرن السادس إذا تأملنا حروفه كالراء والدال والباء في أول الكلمة وفي آخرها،وجدنا أن آثار الخط النبطي المتأخر واضحة.(60) (شكل 16).

1-الله غفر لأليه أو(اله غفرا لأتيم)

2- بن عبيده كاتب

3- الخليد أعلى بنيه أو(العبيد أعلى بني)

4- عمرى كتبه عنه من أو(عمرى ينم عنه من)

5- كتابة أسيس:

جبل أسيس حرة بركانية واسعة تقع إلى شرقي دمشق على بعد مئة كيل تقريبا، يقوم في الجهة الشرقية منها قصر بناه الوليد بن عبد الملك.

قامت بعثة برئاسة الدكتور كلاوس بريش بالتنقيب ما بين عامي 1962-1964. يقول د/أبو الفرج العش: "وجدت منقوشا على جلاميد الصخر البازلتي عددا كبيرا من الكتابات الصفوية المحوّرة عن الخط المسند اليمني.(61)(شكل 17).

1-ابراهيم بن مغيرة الأوس

2- أرسلني الحارث الملك على

3-سليمن مسلّحه سنت

4-423(نبطي)=528م

هذه الكتابة والتي قبلها تذكرنا بقول ابن النديم حول كتابة عربية قبل الإسلام، وصفها بقوله: "وكان الخط شبه خط النساء" وكانت الكتابة بخط عبد المطلب بن هاشم يريد أن يقول إنها كتابة غير متقنة(62).

نلاحظ هنا أن شبها كبيرا بين كتابة أسيس، وبين كتابة حران الجنوبية،وهما من منطقة واحدة وربما كانتا ترتقيان إلى تاريخ قريب بينهما.

يستنتج مما سبق أن نقش النمارة ليس خطا عربيا بل

هو نقطة انطلاق نحوه إذ بدأت ملامحه تبدو وشخصيته تظهر في نقش حران المؤرخ سنة 568م، ثم انتشر في شمال شبه الجزيرة في منطقة بادية الشام، ومن ثم انتشر وغزا المدن العربية التي كانت محور التجارة كالحيرة والأنبار ومكة والمدينة. ويرى بعضهم أن الكتابة جاءت إلى الحجاز من الحيرة ، وأن بشر بن عبد الملك وعبد الله بن جدعان خرجا من الأنبار إلى مكة ونشرا الكتابة،وأول من تعلمها حرب بن أمية،ثم انتشرت بين جماعة قريش، فتعلم منهم أبو سفيان وابناه معاوية ويزيد وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، ويروى أنها انتشرت في المدينة قبل انتشارها في مكة (63).

إذن أخذ العرب حروفهم الهجائية- على ما يبدو- عن الآرامية وبخاصة عرب الشمال. وإن حروف اللغات السامية أصلا اثنان وعشرون حرفا، إلاّ أن في بعضها ستة حروف لها لفظان: اليابس وهو الأصل واللين وهو اللاحق، وذلك كالسريانية وهذه الحروف هي: ب ج د ك ف (p اللاتينية) ت ولفظها الثاني هو (v اللاتينية) غ ذ خ ف ث. فأضاف العرب إلى الإثنين والعشرين حرفا- كما فعل السريان- الحروف المعبرة عن الأصوات الموجودة في اللغة العربية وليست في الأبجدية الأصلية وهي:ذ ض ظ خ ث غ وسموها الروادف. فحرفا ذ،ث أخذهما العرب من د،ت، أما غ فأخذوه من ع وليس من ج(المصرية) كما هو الحال في السريانية وكذلك أخذوا خ من ح وليس من ك، أما ض و ظ فألحقوهما بـ ص،ط ونبذوا حرفين ليسا لهما صوت في لغتهم وهما فـ(V) وپـ(P) (64)(شكل 18).

وفي ختام هذا البحث أود أن أنقل ما كتبه صاحب اللمعة الشهية حول عبقرية العرب في تطوير خطهم الذي استطاعوا بواسطته أن يعبروا عن أصوات لغتهم التي تفوق عدد حروفه في بادئ الأمر بمرتين، فقد كتبوا لغتهم بخمسة عشر حرفا فقط في حين نجد لغات أخرى اقتبست حروفها من الفينيقية كاليونانية ثم اللاتينية ولكنها وقعت في مشكلات تضاعف الحروف لتعبر عن صوت معين كإضافة السين والهاء أو الكاف والهاء أو السين والكاف والهاء، أو غير ذلك لتعطي صوت الشين في حين أن العربية عبرت عن صوت الشين بحرف السين نفسه مع إضافة ثلاث نقط عليه،وهذا بلا شك يدل على الحكمة والحذاقة. قال:" وأما العرب فلما أرادوا تصوير حروفهم التي لا توجد في اللغة السريانية (الآرامية لأنه يقول بذلك) لم يرتكبوا هذا الشطط الموجب البلبلة، لكن أظهروا حذاقة فيلولوجية فائقة لم يضاهيهم بها أمة من الأمم القديمة فإنهم مع جهلهم بعلم اللغات، وخصوصا وأن لغتهم ولغة السريان أصلهما واحد، فإذا اعتبروا أن الذال تقارب الدال في مخرجها اكتفوا بصورة الدال وجعلوها علامة للدال والذال معا، وكذلك فعلوا بالخاء مع الحاء والظاء مع الطاء، والغين مع العين،و الضاد مع الصاد، والثاء مع التاء.. وهذه القاعدة التي اتخذها العرب لتصوير حروفهم الخصوصية تتأيد وتتضح صحتها بمقابلة اللغة العربية باللغة السريانية، فإنه من ذلك يتضح أن كل زوج من هذه الحروف التي عددناها يلفظ عند السريان لفظا واحدا، فإذا ساوى السريان الزوج الواحد في اللفظ في أول الزمان، ساواه العرب في الخط في آخر الزمان.

وانظر كيف كان العرب فلاسفة حتى اعتبروا هذا الاعتبار الفيلولوجي الدقيق ومما يقضي بالعجب أكثر ما يكون أن العرب لما أتوا إلى تصوير الضاد المختصة بلغتهم ولا توجد في لغة أخرى من لغات العالم، لم يتخذوا لها صورة العين التي بها يلفظ السريان الضاد العربية، لكن اتخذوا لها صورة الصاد التي بها يلفظ العبرانيون الضاد العربية ، لأن الصاد تقرب إلى الضاد في لفظها أكثر من العين وعكس ذلك فعلوا بالظاء، فإنهم لم يصوروها بالصاد كما يلفظها العبرانيون لكن صوروها بالطاء كما يلفظها السريانيون، وذلك لأن لفظ الطاء أشبه بالظاء من الصاد. ففي أول الأمر كان لكل زوج من الحروف العربية المذكورة صورة واحدة،ثم بكثرة الاستعمال تقاربت أيضا صور غير هذه الأحرف إلى صور أحرف أخرى، كالجيم إلى الحاء،والزاي إلى الراء، والشين إلى السين، والقاف إلى الفاء، وتشابهت صور النون والياء والباء والتاء بعضها ببعض في حشو الكلمة وأولها خاصة، وهكذا وجد كثير من صور الأبجدية كل منها علامة لحرف واحد أو أكثر، وصارت الحروف العربية التي هي ثمانية وعشرون في لفظها يعبر عنها بخمس عشرة صورة فقط، وهذا عيب معتبر بالحقيقة، ولكنه ينسب إلى الكتّاب لا إلى أيمة الأمة.(65)

وبقي العرب على هذا زمانا ثم رأوا من الواجب تمييز الحروف المتشابهة الصور المختلفة اللفظ بشيء يرفع الالتباس، فاخترعوا لذلك طريقة التنقيط ولكن بعد اختراع هذه الطريقة أيضا كتبت كتب كثيرة على الطريقة القديمة بلانقط".

إلى هنا أكون قد وصلت إلى نهاية البحث راجيا إضاءة جوانب الموضوع ولو بنور بسيط، محاولا بذلك ربط العلاقة بين الكتابتين السريانية والعربية، مع ملاحظة اختصاص كل واحدة منهما بشخصيتها المتميزة ،وأن العربية قد اختطت لنفسها طريقا بعيد المدى وبخاصة في تفرع خطوطها وتطورها نحو الأجمل والأرشق والأكثر تمكنا من المهارة.(شكل 19).

الحواشي

1و2و3- صنا أندراوس، 1975، اكتشاف الأبجدية، مجلة مجمع اللغة السريانية، بغداد، المجلد الأول، 130-133.

4- باقر طه،1945 ،أصل الحروف الأبجدية، مجلة سومر، بغداد،مج 1، ج2،ص41.

5- صنا أندراوس،1975، اكتشاف الأبجدية، مجلة مجمع اللغة السريانية، مج1،ص134.

6- باقر طه،1945، أصل الحروف الأبجدية،مجلة سومر، بغداد،مج 1، ج2،ص5-55.

7- انظر شكل-1-و-2-و-3-و-4.

8-صنا أندراوس،1977،نشوء الخط السرياني، مجلة مجمع اللغة السريانية،بغداد،مج3،ص6. نقلا عن :ميرسيه وفيفرييه ودرينجر.

9-المرجع السابق نفسه ،ص8.

10-داود اقليمس يوسف،1896، اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية،ط2،دير الآباء الدومنكيين، الموصل،128/1.

11و12- المرجع السابق نفسه،ص129-130.

13- صنا أندراوس،1976،اللغة الآرامية، مجلة مجمع اللغة السريانية، بغداد، مج2،ص11.

14-انظر ولفنسون إسرائيل،1929، تاريخ اللغات السامية، الطبعة الأولى، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة،153.

15-المرجع السابق نفسه،ص153، وانظر الشكلين 2،3.

16- صنا أندراوس،1977، نشوء الخط السرياني،مجلة مجمع اللغة السريانية،مج 3،ص17-20.

17- المرجع السابق نفسه،ص21. وينظر شكل-7-.

18و20- المرجع السابق نفسه،ص22. وينظر شكل-8-.

19و21- انظر المرجع السابق نفسه،ص22-24.

22-المرجع السابق نفسه،ص30 مقتبس عن: كانتينو،دوفال،فيفرييه،درينجر،بيرين...

23- المرجع السابق نفسه،ص30.

24- المرجع السابق نفسه،ص31.

25- المرجع السابق نفسه ،ص32.

26- ابن النديم ، بلا تاريخ، الفهرست، المكتبة التجارية، القاهرة،ص24.

27- لفظة سريانية معناها مدرسي،وهي شبيهة بكلمة School الانكليزية.

28- كلمة سريانية تطلق على الخط الغربي.

29- داود اقليمس يوسف،اللمعة الشهية،133/1.

30- صنا أندراوس،نشوء الخط السراني، مجلة مجمع اللغة السرانية،مج 3،ص39.

31-المرجع السابق نفسه،ص39.

32- داود اقليمس يوسف،اللمعة الشهية،138/1.

33- انظر المرجع السابق نفسه،324/1-326.

34- كانت بقة من أرباض الحيرة يقام فيها سوق من عهد الجاهلية- مجلة لغة العرب 428/2.

35- يعلق الأب أنسطاس الكرملي فيقول: إن هذه الأسماء الثلاثة هي آرامية في الأصل، فلما جهل العرب معناها ظنوها أعلاماً لهم فعرفوهم بها.فإن مرامر بن مرة منحوتة من " مارامارى برمارى" ومعناها سيد السادة بن السيد. وبعبارة عربية تقابل معنى الآرامية مقابلة صادقة: " شيخ شيوخ العلم ابن حامل لواء العلم". ومعنى أسلم بن سدرة" التام العلم الخطاط" وهي تصحيف " شليما.برسدرا". ومعنى عامر بن جدرة فهو" العمار الحاذق أو الماهر" وهي تصحيف " عمرايا برجدرا"، مجلة لغة العرب،428/2هـ3.هامش.

36-ثم إن ابن النديم يروي في الفهرست(ص4-5) والقلقشندي ج3،ص12 وابن دريد في الاشتقاق ص372، عن ابن عباس قوله:"إن ثلاثة رجال من بولان (وهي قبيلة سكنت الأنبار) اجتمعوا فوضعوا حروفا مقطعة وموصولة وهم: مرامر بن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدرة"، وإن بشرا بن عبد الملك الكندي هو الذي علم خطنا هذا أهل الأنبار، وتعلمه من مرامر بن مرة وخرج بشر إلى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب أخت أبي سفيان بن حرب، فعلم أبا سفيان هذا الخط ورجالا من أهل مكة اهـ.

37- القلقشندي أحمد،1914 ، صبح الأعشى،ط1، المطبعة الأميرية بالقاهرة،12/3.

38- ناصف حفني،1910،تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية،ط1، الجامعة المصرية بالقاهرة،ص64-70.

39- ابن النديم، الفهرست،ص4.

40- ابن خلدون، بلا تاريخ، المقدمة ، المكتبة التجارية بالقاهرة،ص418.

41- ولفنسون، تاريخ اللغة السامية،241.

42- باقر طه،1945،أصل الحروف الأبجدية ونشوءها، مجلة سومر، بغداد،مج1،جـ2،ص56-59.

43- ولفنسون،تاريخ اللغات السامية،ص201،199.

44- العش أبو الفرج،1978، نشأة الخط العربي وتطوره، المجلة العربية، السنة الثانية،العددان10،11، الرياض،ص225.

45- المرجع السابق نفسه ،ص226.

46-داود،اقليمس يوسف،اللمعة الشهية،143/1-144.

47- العش أبو الفرج، نشأة الخط العربي وتطوره،ص227.

48-49- المرجع السابق نفسه، ص 227.

50- ولفنسون ،تاريخ اللغات السامية،ص 199.

51- العش، نشأة الخط العربي وتطوره ،ص227.

52- ولفنسون ،تاريخ اللغات السامية،ص139.

53- مجلة سومر،مج1،ج2،ص57.

54- العش، نشأة الخط العربي وتطوره ، العددان 10-11،ص227.

55- المرجع السابق نفسه ، ص228

56- ولفنسون،تاريخ اللغات السامية ونقشبندى ناصر،1947،منشأ الخط العربي وتطوره مجلة سومر،مج3،جـ1،بغداد، ص132.

57- ظلموا (ظالم) والمرطول (القصر).

58- 463 نبطي تقابل 568م.

59 - بعام وردت في النص(بعم).

60- انظر نقشبندي ناصر،مجلة سومر،مج3،جـ1،132-133. والعش أبو الفرج، نشـأة الخـط العربـي وتطـوره، المجلـة العربيـة، العـددان10-11،ص229،وصنا أندراوس،1978،نشوء الخط العربي، مجلة مجمع اللغة السريانية،مج4،بغداد،ص19.

61- العش أبو الفرج،نشأة الخط العربي وتطوره ،ص230.

62- ابن النديم، الفهرست، ص5.

63- نقشبندي،ناصر،منشأ الخط العربي وتطوره ،مجلة سومر،مج3،جـ1،ص133-134.

64-صنا أندراوس،نشوء الخط العربي،مجلة مجمع اللغة السريانية،مج4،ص26.

65-داود اقليمس يوسف،اللمعة الشهية،146/1 وما بعدها.

ثبت المراجع

1-ابن النديم بلاتا، الفهرست، المكتبة التجارية، القاهرة، 542ص.

2-ابن خلدون، عبد الرحمن، بلاتا، المقدم، المكتبة التجارية ، القاهرة،560ص.

3- باقر طه، 1945، أصل الحروف الأبجدية، مجلة سومر، بغداد،مج1، ج2.

4- داور اقليمس يوسف،1896، اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية، الطبعة الثانية الدومنكيين بالموصل،500ص.

5- صنا أندراوس، 1975، اكتشاف الأبجدية، مجلة مجمع اللغة السريانية، بغداد، المجلد الأول.

6- صنا أندراوس، 1976، اللغة الآرامية،مجلة مجمع اللغة السريانية، بغداد، المجلد الثاني.

7- صنا أندراوس،1977،نشوء الخط السرياني،مجلة مجمع اللغة السريانية، بغداد، المجلد الثالث.

8- صنا أندراوس،1978،نشوء الخط العربية،مجلة اللغة السريانية،بغداد، المجلد الرابع.

9- العش أبو الفرج، 1978،نشأة الخط العربي وتطوره، المجلة العربية، الرياض،العددان10-11.

10- القلقشندي أحمد،1914،صبح الأعشى، المطبعة الأميرية بالقاهرة،مج532/3ص.

11- ناصف حفني،1910،تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية، الجامعة المصرية بالقاهرة،160ص.

12- نقشبندي ناصر،1947،منشأ الخط العربي وتطوره،مجلة سومر،بغداد،مج3، ج1.

13- ولفنسون إسرائيل،1929،تاريخ اللغات السامية،ط1،لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،294ص.

وهناك مراجع أخرى لم ترد في الحواشي مثل:

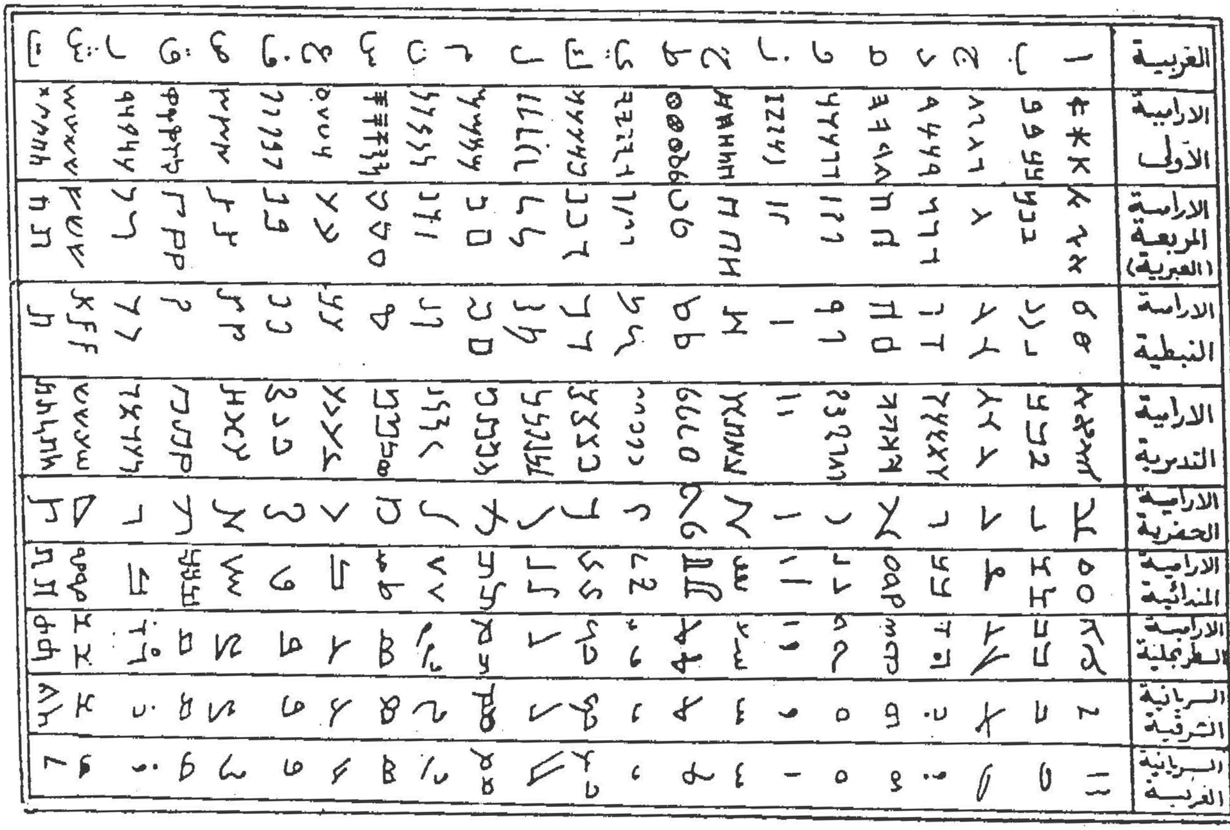
14- رضا أحمد،1914، رسالة الخط، طبع في صيدا.

15- زين الدين ناجي، مصور الخط العربي،طبع المجمع العلمي العراقي،بغداد.

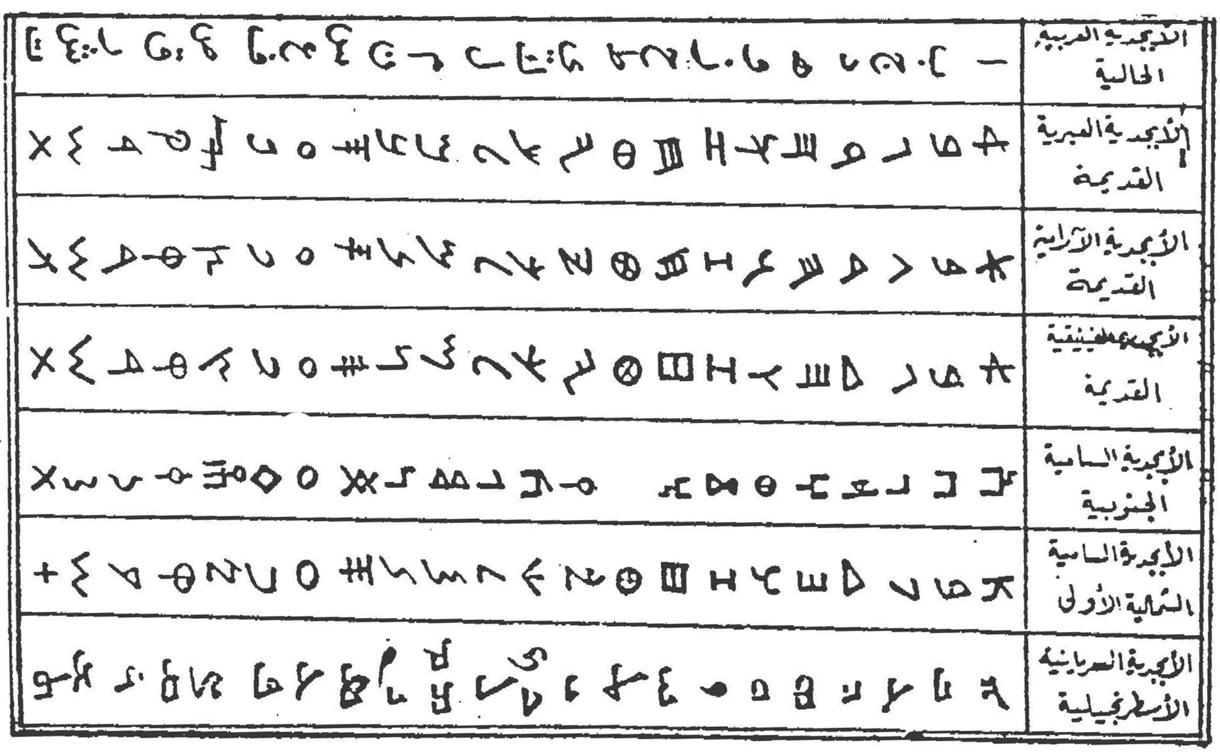
16- سوسة أحمد،1972، العرب واليهود في التاريخ،الطبعة الثانية،دمشق.

17- علي جواد،تاريخ العرب.قبل الإسلام،طبع المجمع العلمي العراقي،بغداد.

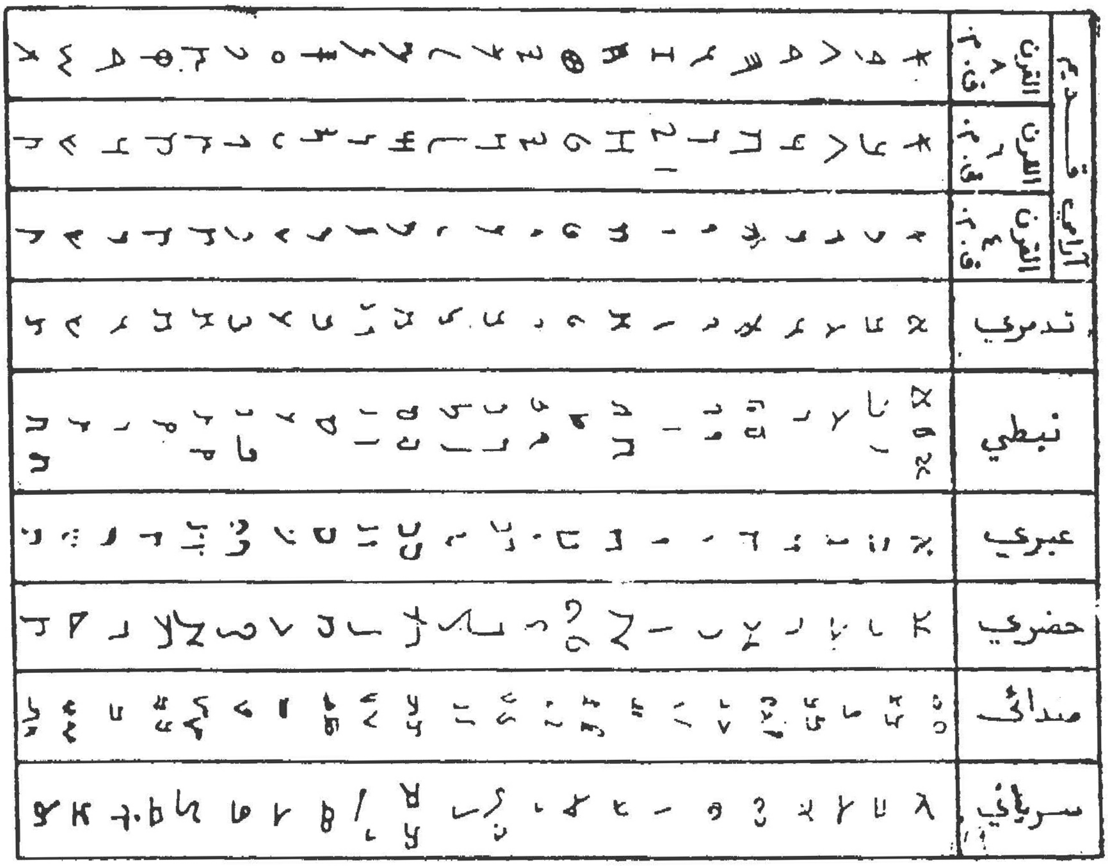
18- يعقوب أغناطيوس الثالث، البراهين الحسية، طبع لبنان.

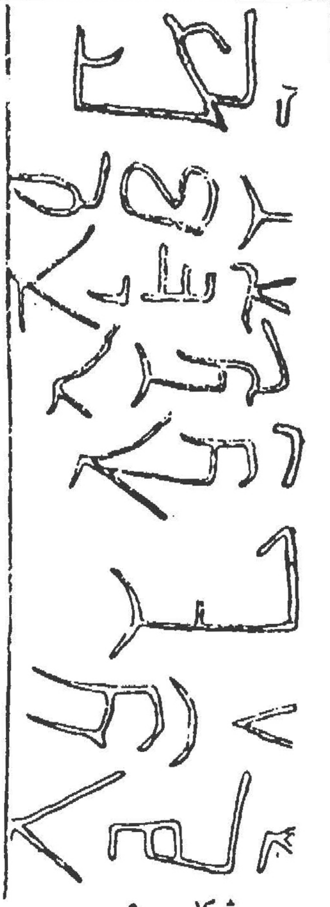


الجدول رقم ٣ - الرسوم الآرامية



شكل - ١
مقارنة بين الأبجديات القديمة





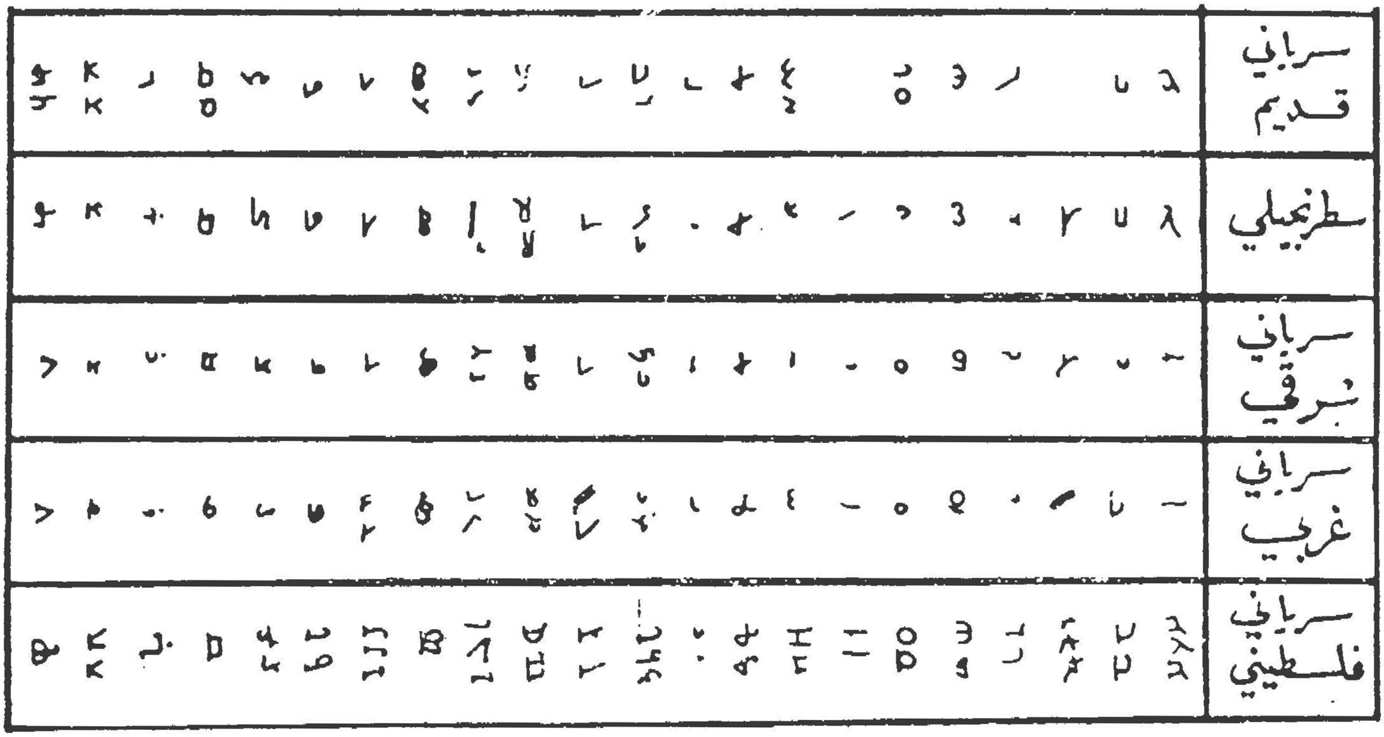
شكل – ٥ –

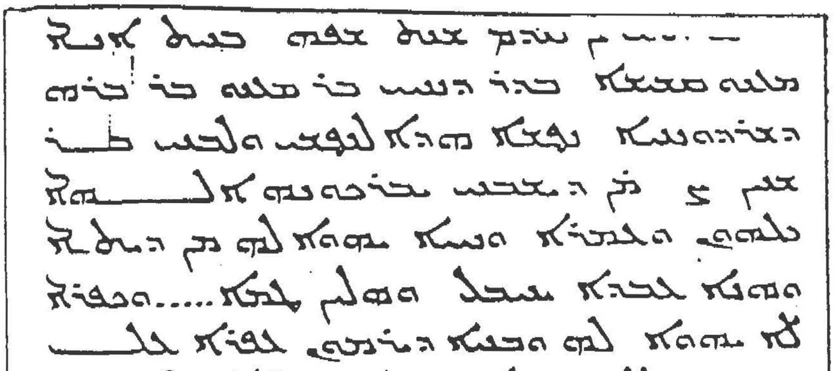
الخط المندائي المدور والذي يكتب به صابئة العراق



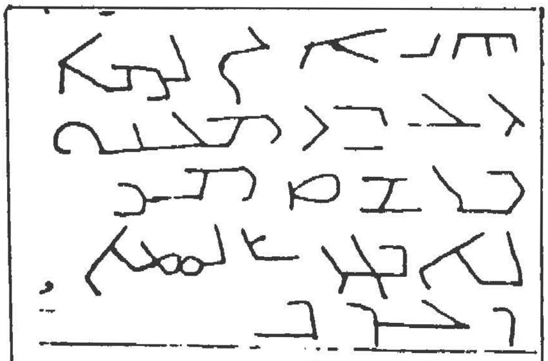
شكل – ٧ –

أنواع الخطوط السريانية شكل -٩-

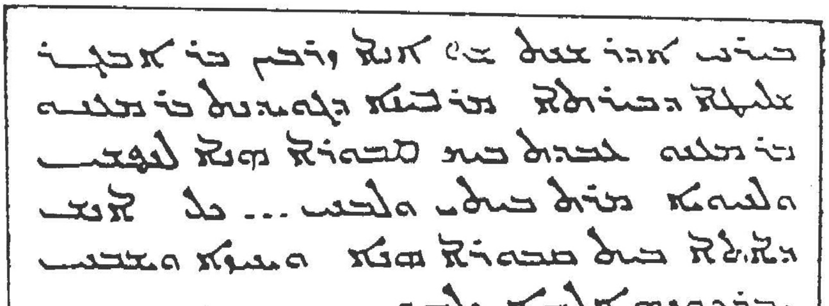




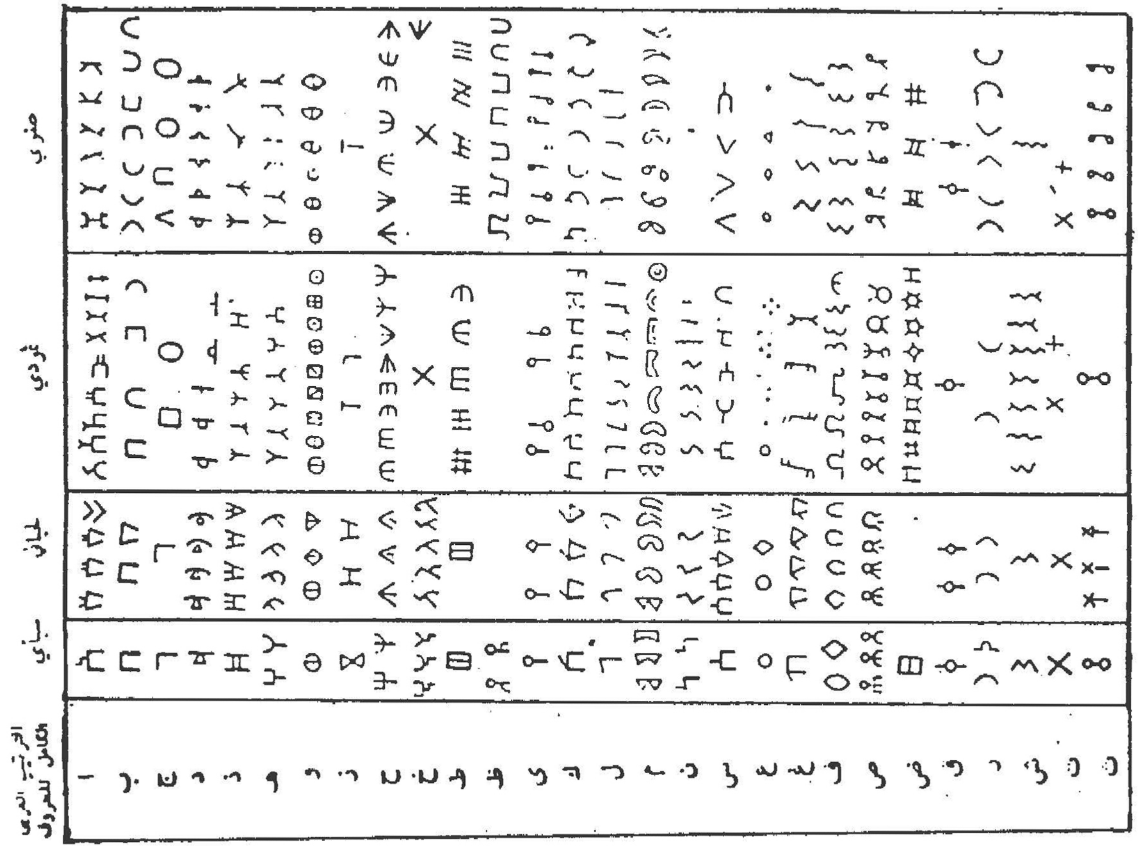
-(شكل ٧)-



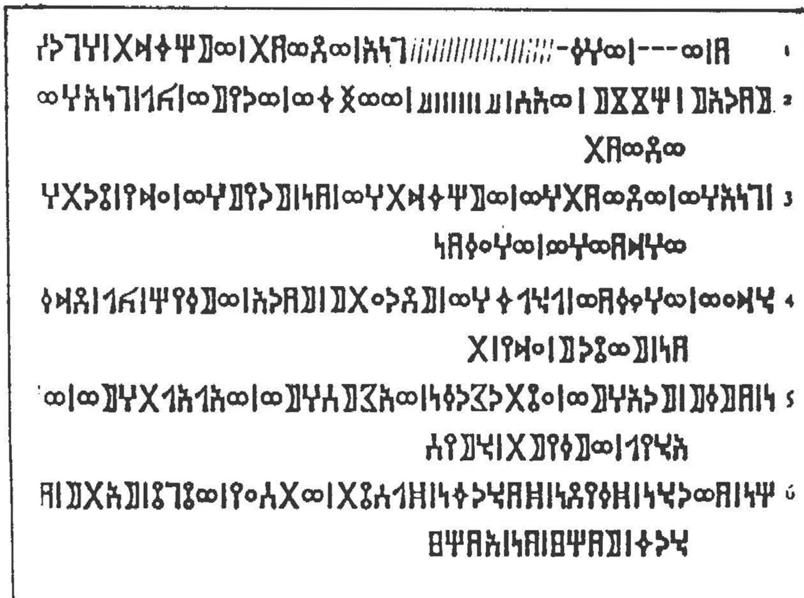
-(شكل ٦)-



- شكل ٨ -

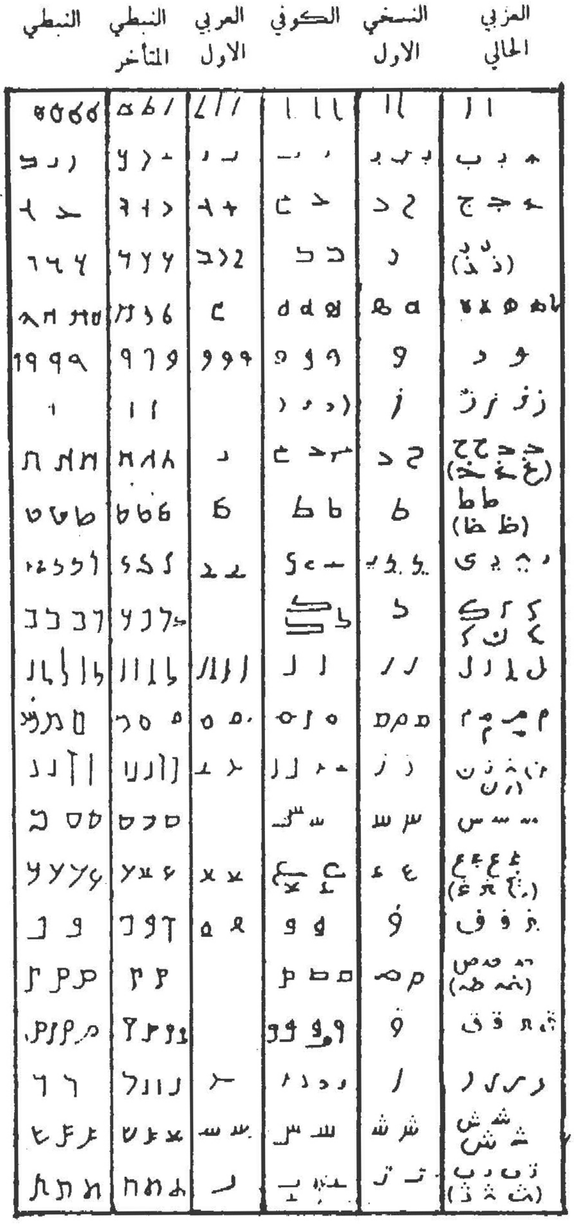


لوحة (١٠) الخطوط اللحيانية والثمودية والصفوية مقارنة مع الخط السبئي



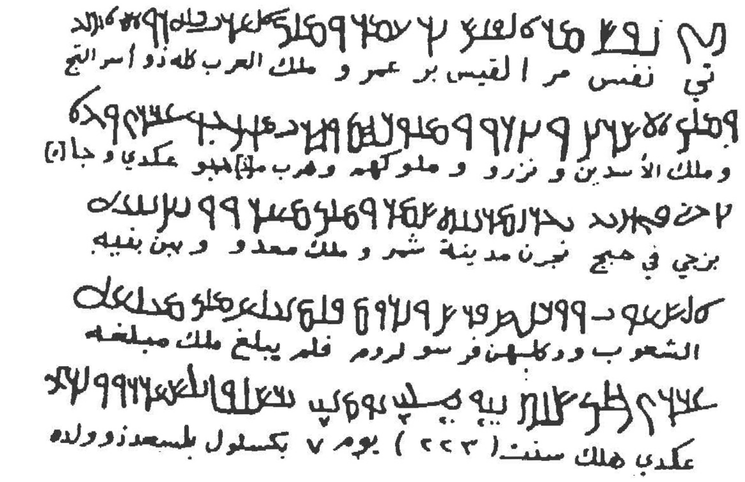
(شكل ١١)

الخط العربي الجنوبي « المسند »

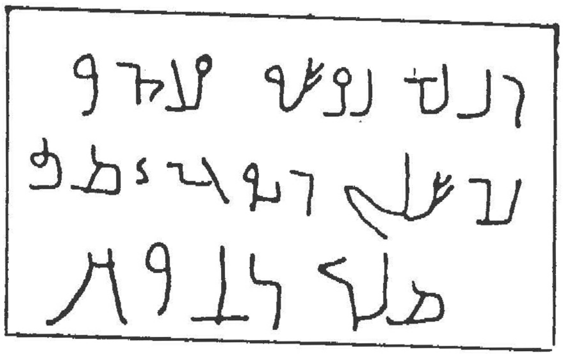


(لوحة ١٢)
تطور الكتابة العربية

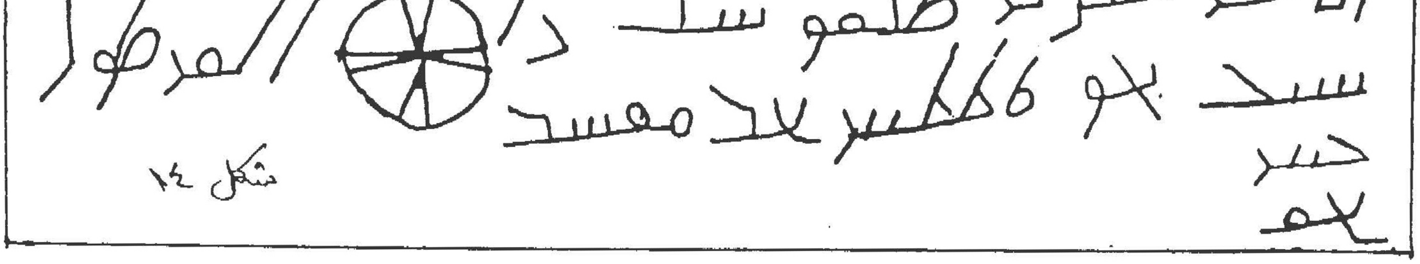
نقش النمارة



الشكل ٥

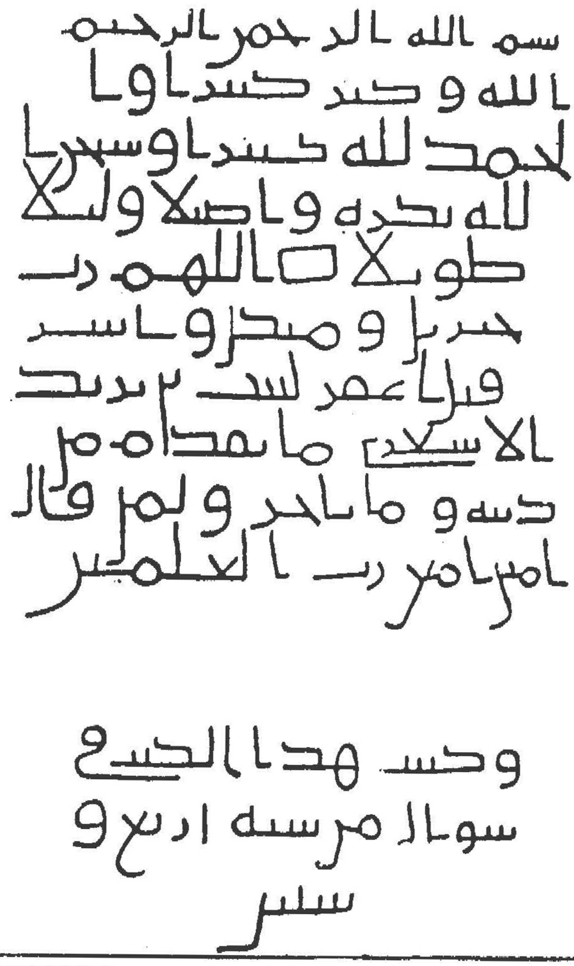


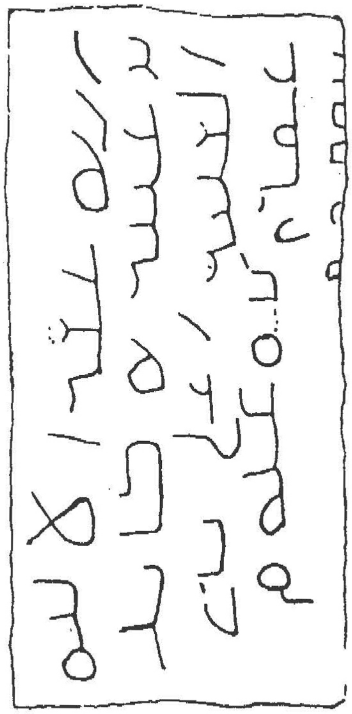
شكل ١٣



شكل ١٤

كتابة كوفية على حجر قبر ثابت بن يزيد في جفنة الابيض بمحافظة في العراق مؤرخة سنة ٦٤ هجرية (شكل ١٩)

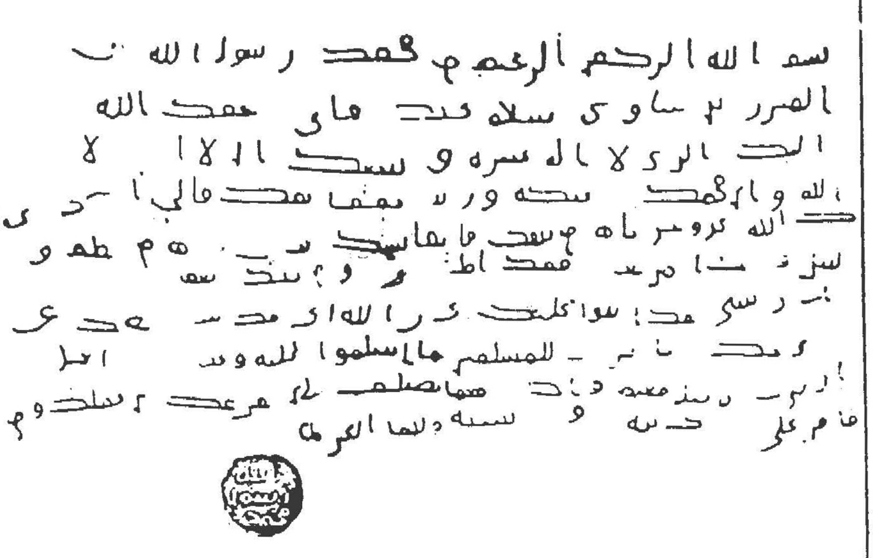


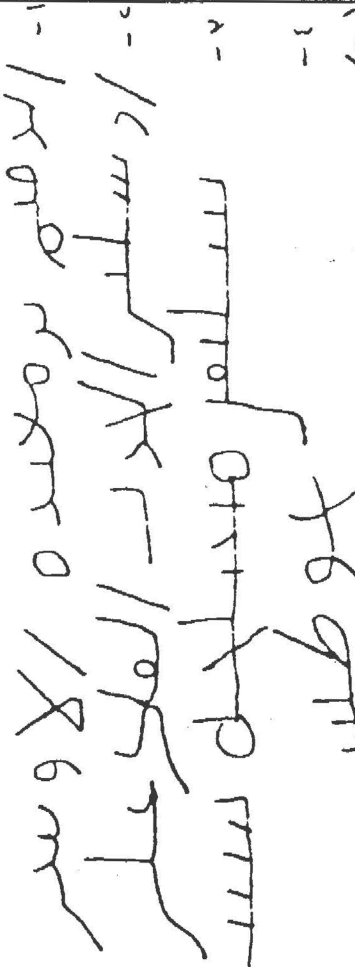


نقش أم الجمال الثاني

الشكل: ١٦

كتاب النبي الى منذر بن ساوا عامل كسرى على البحـرين وقد حفظ في دمشق (شكل ١٨)





(شكل -١٧-)

الاشتقاق الإبدالي وأهميته في وضع المصطلح العربي

د.ممدوح محمد خسارة / سوريا

" الإبدال هو جَعْلُ حرفٍ بدَل حرفٍ آخر في الكلمة الواحدة وفي موضعه منها" (1) .وهو ضربان صرفيّ ولغويّ (2).

- فالصرفيُّ إبدالُ حَرْفٍ بآخر لضرورةٍ صوتية طلباً للخفة وسهولةِ النطق كما في قولنا (ازدهر) إذْ أُبدلت الدال من التاء (افتعل) وأصل الفعل (ازتهر)؛ أوقولنا (كساء) إذ أُبدلت الهمزة من الواو، وأصلها (كساو)(3). وهذا النوع من الإبدال لا أثرَ له في تنمية اللغة وتوليد ألفاظها. وإنما هو سلوك صوتي بحت. وهو مطّرد في حروفٍ بعينها عند التقائها بحروف أخرى يصعُب نطقُها متتالية دون تغيير يقع على أحدها.

- أما اللغويُّ فهو جعل حرفٍ بدل آخر من الكلمة لغير ضرورة صرفية، وهو غيرُ مطّرد، كقولهم: هَتَنت السماءُ وهتنت (4) أي أمطرتْ، وقولهم: الغيْم والغيْن (5). وهذا النوع من الإبدال ذوأثرٍ كبير في تنمية اللغة وتوليد مفرداتها. وهو مقصودُنا عند إطلاق الكلمة.

جاء في المزهر قولُ ابن فارس: " ومن سُنَن العرب إبدالُ الحروف وإقامةُ بعضها مقام بعضٍ: مَدَحَه ومَدَهَه، وفرس رفلّ ورفنّ أي سابغ الذيل. وهو كثيرٌ مشهور... وممن ألف في هذا النوع ابنُ السكيت وأبو الطيب اللغوي (6).. والواقع أن كتابيهما الموسوم كل منهما بالإبدال هما مُعْتمدُ كل من يتصدّى لدراسةِ هذه الظاهرة، ومنهما استقى السيوطي جلَّ ما جَمَعه حول هذه الظاهرة في مزهره، وهما مطبوعان ومحققان لكن أول ما يلفت النظر فيهما أنهما جمعا الألفاظ التي وقع فيها إبدالٌ دون تفريق بين ما هو صرفيّ أو لغوي.

" ولعل أولَ من خطر بباله أن يُسَمّي هذه الظاهرة اللغوية إبدالاً هو الأصمعي (216هـ)، وشاركه في هذه التسمية ابن السكيت (244هـ)، عندما سمى كتابه (القلب والإبدال). ثم جاء الزجاجي (340هـ) فألف كتاباً سماه (الإبدال والمعاقبة والنظائر)... وسمَّى أبو الفتح بن جني كتابه في الإبدال (تعاقب العربية) (7). ولا ندري إن كان هذا الكتاب الأخير هو ما وعد به ابن جني في الخصائص من عزمه على شرح كتاب ابن السكيت في القلب والإبدال.

وممن عدَّ الإبدالَ اشتقاقاً من القدماء السكّاكيُّ (626هـ) وشيخه الحاتميّ (8). ومن المحدثين: طاهر الجزائري وضاحي عبد الباقي وعبد الله أمين وصبحي الصالح.

وكان الغالبُ على تعليل هذه الظاهرة لدى القدماء ردّها إلى اللّهجات أو لغات القبائل بحسب تعبيرهم. "يقول أبو الطيب اللغوي في كتابه : ليس المرادُ بالإبدال أن العرب تتعمّد تعويض حرفٍ من حرف، وإنما هي لغاتٌ مختلفة لمعان متفقة تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى

واحد حتى لا تختلفا إلا في حرفٍ واحد" (9). فعلى رأيهم يكون (صُلْب وصَلْت) بمعنى واحد لقبيلتين(10)، ومثله: أَرَقْتُ الماءَ وهَرَقْته(11). ومن الأدلة على تعليلهم اللهجي قول ابن جني: "وقد أُبدلت العينُ من الحاء في بعض المواضع، قرأ بعضهم: (عَتّى حين) يريد (حتى حين)(12)؛ ومن المعروف أن هذه قراءة عبد الله بن مسعود بلغة هذيل(13).

1) حروف الإبدال:

تباينت أقوالُ اللغويين حول الحروف التي تُبْدل، فقد ذكر أبو علي القالي في أماليه أنها اثنا عشر حرفاً (14). وجعلها ابنُ سيده في مخصّصه ثلاثة عشر حرفاً، وزادها غيره إلى أربعة عشر حرفاً(15). أما ابن مالك فقد ذكر في ألفيته أنها تسعة أحرف يجمعها قولهم (هدأت موطيا)(16)، لكنه عاد في (تسهيل الفوائد) فوضح الأمر مفرقا بين نوعَيْ الإبدال اللذين ذكرهما وهما الإبدال الصرفيّ المطّرد والإبدال اللغوي غير المطّرد، فقال رحمه الله: " يجمعُ حروفَ البدل الشائع في غير إدغام قولك: (لِجد صرفُ شَكِس آمن طي ثوب عزته). والضروريُّ في التصريف هجاء (طويت دائما). وعلامةُ صحّة البدليّة الرجوع في بعض التصاريف إلى المُبْدَل منه لزوماً أو غلبة، فإن لم يثبت ذلك في ذي استعمالين فهو من أصلين"(17). ويُفْهَم من كلام ابن مالك في التسهيل أن حروف الإبدال الصرفي ثمانية لا تسعة كما كان ذكر في ألفيّته، بإسقاط الهاء منها. وأن حروف الإبدال اللغوي هي اثنان وعشرون حرفاً، أي إنه استثنى من حروف الهجاء العربي كلّها سبعة أحرف هي: الحاء والخاء والذال والصاد والضاد والغين والقاف.

لكننا تَتَبَّعْنا كتابَ ابن السكيت في الإبدال، فوجدنا أنه أورد من الألفاظ ما يُثْبت وقوع الإبدال في كل الحروف حتى هذه الأحرف السبعة التي استثناها ابن مالك:

فمن إبدال الحاء ذكر حَبَش وهَبَش بمعنى جَمَع (18). ومن إبدال الخاء ذكر طُخْرور وطُحْرُور للسَحابَة، وحَشِيّ وخشيّ لليابس (19). ومن إبدال الذال أورد ذَرَق الطائر وزَرَق، والدَّحادِح والذَّحاذح(20)، للقِصار. ومن الصاد: صاف السَّهْم وضاف: إذا حاد عن هدفه (21). ومن الضاد: ضَلاضِل وصَلاصل لبقايا الماء (22). ومن الغين: غَلَث وعَلَث: وضع لطعامه العُلاثة وهي الإدام (23). ومن القاف: قَحَط وكَحَط وكَشَط وقَشَط (24).

يؤيد هذا الاستنتاج ما ذكره السيوطي من أن أبا حيان الأندلسي نقل عن شيخه أبي الحسن بن الصائغ قولَه: "وقلّما تجدُ حرفاً إلا قد جاء به البدلُ ولونا دراً"(25).

ولعل اختلاف اللغويين حول عدد حروف الإبدال مردُّه إلى تقدير كل منهم - بحسب ما وصل إليه - لنسبة شيوع الإبدال في كل حرف. والذى نُرَجحه أن الذين قللوا من عدد حروف الإبدال إنما كانوا يذهبون إلى أن ذلك هو ما اشتُهر منها و لم يكن كلامُهم على وجه التحديد والإحصاء، ولهم في ذلك بعضُ العذر فليست نسبة شيوعِ الإبدال واحدةً في كل الحروف، بل هي متفاوتةٌ تفاوتا شديدا، إذ إن بعضها لم يأتِ عليه من أمثلة الإبدال إلا كُلَيْمات، أما بعضها الآخر فتجاوزت حالات الإبدال فيها العشرات.

2) أنواع الإبدال:

قسم بعض الدارسين المعاصرين الإبدال أنواعا هي (26):

الإبدال الصَّرْفيّ الذي ذكرناه، والإبدال اللَّهْجي، كقولهم عَلَجّ بدل عَلِيّ؛ والإبدال الشاذ كقولهم: هَرَحْتُ الدابة بدل: أرَحْتُ الدابة؛ وإبدال الضرورة الشعرية كقولهم: ثعَالي بدل: ثعالب وقولهم: سادي بدل سادس. وزاد غيرُه أنواعاً أُخَر منها (27): إبدال خَطَأ السمع نحو: عبْهَلة وعَذْهَلة (28)؛ وإبدال التصحيف نحو العابر والغابر؛ وإبدال التضعيف نحو الخَرُّوب والخَرْنوب؛ وإبدال التعريب نحو الفُسْطاط والفُستاط؛ وإبدال التفخيم نحو: مَتّ ومَطّ؛ والترقيق نحو: غلِط وغلِت؛ وإبدال الإتباع نحو: حارّ يارّ وجائع نائع؛ وإبدال التّعاقُب نحو ألَّب وأرَّب؛ وإبدال الاختلاف نحو الصَّاعقة والصَّاقِعة؛ وإبدال التَّوَهُّم نحو اقْتسره واعْتسره.

وهذه التقسيمات الفرعية تدخل كلها في إطار النوعين الرئيسيين اللذين ذكرنا وهما الصرفيّ واللغويّ.

إن إبدالاتِ الضرورة الشعرية والتصحيف وخطأ السمع والتعريب والإتباع لاتهمنا في دراستنا هذه لأنها ليست من وسائل التوليد اللغوي. أمّا ما يهمنا فهو ما سوى ذلك ممّا يدخل كلّه في إطار سمّوه بالإبدال اللَّهْجي خاصةً واللغوي عامة.

3) الإبدال وأثره الدلالي عند القدماء:

درج بعض اللغويين على تقديم الألفاظ الإبدالية وكأنها من مرادفات ألفاظها الأصليَّة. وممن ذهب هذا المذهب أبو الطيب اللغوي إذْ قال - كما قدمنا -: "ليس المرادُ بالإبدال أن العرب تَتَعمّد تعويض حرفٍ من حرف، وإنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة، تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد حتى لاتختلفا إلا في حرفٍ واحد"(29). وبُني على هذا الفهم للإبدال أن ذهب لغويون قدماء إلى عد كل أشكال الإبدال مساعيَّة، ويعبر عن هؤلاء قول ابن جني: "فنحن نتَّبعهم في الإبدال ولا نقيسُه، إلا أن يضطر امرؤٌ إلى الدخول تحت القياس والقول به"(30).

إننا لانؤيد ما ذهب إليه بعض اللغويين القدماء من أن الإبدال لم يكن له من عمل إلا الترديف أي توليد المترادفات؛ فلقد أدَّى بنا استقراء عدد من كتب اللغة ومعجماتها ولا سيما معجمات الموضوعات إلى نتيجة مفادها أن الإبدال كان وسيلة اشتقاقية لتوليد ألفاظ جديدة تحمل معاني تَنْويعيَّة على المعنى العام للكلمة الأصلية التي وقع فيها الإبدال. ونحن ذاكرون شواهد تراثية على سبيل التمثيل لا الحصر:

ا - لم يغفل ابن السكيت صاحب أول كتاب في الإبدال عمّا يحمله الإبدال من تنويعات على المعنى العام؛ يقول في باب النون واللام: "يقال: هتَنَت السماء تهتِن تَهْتانا، وهَتَلَت تَهْتالاً، وهُنّ سحائبُ هُتَّن وهُتَّل، وهو فوق الهَطْل"(31).

ب - قال الفارابي في ديوان الأدب:" الشازب الضامر من الإبل وغيرها... والشاسب أشدُّ ضموراً من الشازب"(32).

ج - ولعل أكثر مَن أشار إلى ما يحمله الإبدال من تنويعات على المعنى الواحد هو أبو منصور الثعالبي في كتابه (فقه اللغة). ومما ورد فيه " حَزَّ اللحمَ وجزَّ الصوفَ"(33) وكلاهما تنويع خاص على معنى القطع العام. ومثله أيضا: "القَصْم: كَسْر الشيء حتى يبين،

والفَصْم: كسره من غير بَيْنونة" (34). ومنه: " إذا أخرج المكْروبُ أو المريض صوتا رقيقا فهو الرّنين ، فإذا أخفاه فهو الهنين ، فإذا أظهره فخرج خافيا فهو الحَنين، فإذا زاد فيه فهو الأنين، فإذا زاد فيه فهو الخنين"(35). إن التنويعات الدلالية التي أدخلتْها أحرف الإبدال على المعنى العام لمجموعة هذه الكلمات وهو صوت المريض، هي مما لا يَخفْى.

د – ومما جاء في مخصص ابن سيده:" الحَوَص: أن تضيق إحدى العينين دون الأخرى... والخَوَص: ضيق العين وصغرها خِلْقة أوداءً "(36). وجاء فيه: "العطَفُ : كثرة شعر الحاجبَيْن... والغَطَف : قِلّة شعر الحاجبين، وربما استعمل في الشَّعر، وهو ضد الوَطَف "(37). فالعَطَف والغَطَف والوَطَف دلالتها العامة على شَعْر الحاجبين، لكنَّ بعضها دل على الكَثْرة والآخر على القِلّة؛ وحول الشَّعْر أيضا جاء قوله:" الجَلَحُ هو أن يذهب من مقدّمه [مقدم الرأس] ثم الجَلَه ثم الجلا وهو أكثر من ذلك" (38).

هـ – وممّا نقله ابن منظور في لسان العرب: "إذا كانت في السرَّة نفْخة فهي (بُجْرَة)، وإذا كانت في الظّهر فهي (عُجْرَة) "(39). وورد فيه قولهم:" لقد أبْعَطُوا إبْعاطاً شديداً أي أبعدوا و لم يقرُبوا من الصلح...وأبْعَط في نسَوم: تباعد وتجاوز القدر "(40). ونلحظ كيف أن لإبعاط قد جاء لدلالة اجتماعية خاصة هي البُعد عن الاتفاق وليس لدلالته المكانية العامة. وقد صرح ابن منظور بالفروق الجزئية التي يوفرها الإبدال فقال في مادة (تلع):" تلع الرجلُ رأسه: أخرجه من شيء كان فيه، وهو شبْه (طلع) إلا أنّ طَلع أعمّ "(41).

إن ما ذكرناه حول الأثر الدلالي لظاهرة الإبدال لم يكن إلا تمثيلا، ولو أردْنا الإحصاء لضاقت بنا الصفحات. فهل من مسوغ بعد هذا لأن يقال إن الإبدال هو اختلافٌ لهْجيّ ليس غير، كما صرّح أبو الطيب اللغوي، أوأنّه تطوُّرٌ صوتيّ لا أكثر، كما نُقِل عن الدكتور إبراهيم أنيس(42).

ثم إذا كان العرب قد أعطَوْا لتغيّر الحركات دلالات تنويعيّة كقولهم: كتب وكُتِب وكُتّب، وشرْبة وشِرْبة وشُرْبة. وإذا كانوا قد حمّلوا تتابُع الحركات في البناء معنى تتابع الحدث نحو:" النّقزان والغليان، فقابلوا بتوالي حركاتِ المثال توالِيَ حركات الأفعال "(43) فأيّة غرابة في أن يُعطوا للإبدال دلالات خاصة بحسب حاجتهم التعبيرية؟ إننا لا ننكر أن يكون بعض الإبدال اللغوي لغات قبائل أو لهجات، على حد تعبير المعاصرين. إلا أننا نُنكر أشد الإنكار أن يكون هذا الإبدال دون دلالات البتة.

ولايُقلّل من القيمة الدلالية للإبدال أن تُعَدَّ كلّ من الكلمتين المظنون وقوع الإبدال فيها، أصلا في بابها. يقول ابن جني: "بابٌ في الحرفين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان صاحبه: فمتى أمكن أن يكون الحرفان جميعا أصليْن، لم يسغ العدول عن الحكم بذلك، فإن دلّ دالّ أو دَعت ضرورةٌ إلى القول بإبدال أحدهما من صاحبه عُمِل بموجب الدلالة، وصير إلى مقتضى الصنعة. ومن ذلك قولهم: هَتَلَت السماء وهتَنَت، هما أصلان ألا تراهما متساويين في التصرُّف، يقولون: هتنت السماء تهتانا، وهتلت تهتل تهتالا، وهن سحائب هُتّن وهُتّل" (44).لقد ذهب ابن جني هنا إلى أصليَّة كلٍّ من الحرفين

النون واللام وأنهما ليسا مبدليْن أحدهما عن الآخر، ولكن هل يعني الحكم بأصليتهما الحكم بترادف الكلمتين (هتَل وهتن)، وهل يعني أيضا أن (هتَل وهطَل) مترادفان، وقد رأينا ابن السكيت يبين الفروق الدلالية فيصرح أن الهتْل فوق الهطْل؟(45).

إن اللغويين يفرقون بين الحرف المبدَل والمبدَل منه من قبل أن الحرف المبدل يسقط في التصريف، وأن المبدَل منه يثبت، كما يدل على ذلك قول ابن جني السالف؛ ولكننا نرى أن هذا الحكم - على صحَّته- ليس مطلقا، فقد يحدث أن يقع الإبدال في حرف من حروف الكلمة ويشيع وتُصرّف الكلمة التي وقع فيها، فلا يُدرَى حينئذ أيّ الحرفين هو الأصل وأيهما هو المُبْدَل. فإذا كان أكبر لغويّيْن في القرنين الثالث والرابع أعني ابن السكيت وابن جني، قد اختلفا في أصليّة أو بدلية حروف كلمة واحدة هي (هَتَل وهَتَن وهَطَل) إذ عدَّها ابن السكيت من المُبْدَلات، بدليل ذكرها في كتابه، وعدَّها ابن جني أصولا بنصه، فكم سيكون من العسير علينا نحن المحدَثين أن نميز بينهما؟ ومن هذا القبيل في الخلاف بين اللغويين ما جاء في لسان العرب في مادة (تبن) بمعنى دَقّق النظر: "قال الليث: طَبِن له، بالطاء في الشرّ. وتَبِن له، في الخير. قال أبو منصور: هما عند الأئمة واحدٌ، والعرب تبدل الطاء تاء لقرب مخرجيهما؛ قالوا: مَتّ ومَدَّ ومَطَّ." ولعل من قال بأصليّة كلٍّ منها ذهب إلى أن هذه الأحرف (التاء والدال والطاء) تثبت في تصاريف كل فعل منها؛ هذا صحيح، ولكن هل نحن مقتنعون بأن (مَدَّ ومَطّ) هما بمعنى؟ وهل يصح قولنا (مَطَّ الحبلَ) كقولنا: مَدَّه، وهل يصح (مَطّ إليه بنسب) كقولنا: مَتَّ إليه بنسب؟ وهَبْنا سَلَّمنا أن هذه الأحرف في الكلمات الثلاث هي أصول كلُها، فبماذا نُعَلل هذا التقارب بين معاني كلماتها، وهو تقارب يدل على فروق نوعية في المعنى العام لها وهو (الإمطار) في مثال الثعالبي و (المَدّ) في مثال ابن منظور؟ هل نلجأ إلى الاستعانة بمقولة القيمة التعبيرية للحرف العربي، هذه المقولة التي تحمل من خِصْب الخيال اللغوي أكثر مما تحمل من الحقائق اللغوية؟

إن أمثال هذه التغيرات بين حروف الكلمات متشابهة المعنى لابد من أن تكون-على الغالب-أحد شيئين:

ا - إمَّا إبدالاً مقصودا طرأ على الكلمة طلبا لمعنى جديد بعد أن كانت قد وُضعت على حرف واحد لمعنى أصلي،إذ لايعقل أن يضع الواضع كلمتين مترادفتين بداءة.

ب - وإما أن تكون اختلافا لهجيا بين القبائل، كانت تدل على الترادف أولا ثم تطوَّرت إلى أن أصبح لكل كلمة معنى يغاير معنى الكلمة الأولى.

وفي كلتا الحالتين فنحن أمام تغيير في حرف من أحرف كلمة أدَّى إلى تغيير محدَّد في المعنى، وهذا ما نسميه إبدالا دلاليا. وإن هذا الإبدال الدلالي يؤدي وظيفة مطلوبة في اللغة، وهي الدلالة على الفروق النَّوْعيَّة الجزئيَّة في إطار المعنى العام، دون النظر إلى أي الحرفين هو أصلٌ وأيهما هو المُبْدَل ، وهو يقابل الإبدال اللغوي غير الدلالي، كإبدال الإتباع والتصحيف وخطأ السمع، مِمَّا أخرجناه من دائرة اهتمامنا.

4) الاشتقاق الإبدالي لدى المحدثين:

سلف القول إن بعض القدماء ومعظم المحدثين سموا الإبدال بالاشتقاق الأكبر (46). وفي هذه التسمية إقرارٌ بأن الإبدال من أنواع الاشتقاق، وأننا آثرنا - للتوضيح -

تسميته بالاشتقاق الإبدالي. وهو اشتقاق يقوم على الإبدال اللغوي الدلالي الذي يحمل معه تنويعا على المعنى العام للكلمة المبدل منها حرف.

أقر اللغويون المحدثون الاشتقاق الإبدالي وسيلة توليد هامة. ودعوْا إلى الأخذ به على الصعيدين: النظري والتطبيقي:

1 – فعلى الصعيد النظري: دارت حوله بحوث عديدٍ من اللغويين المحدثين رامية إلى الأخذ به وتقييسه:

ا – حاول د.صبحي الصالح أن يربط هذه الظاهرة بنظرية الثنائية اللغوية عندما قال:"فكان من أسرار العربية تبعا لهذا أننا كلما رَدَدْنا موادَّها المزيدة إلى الصورة الثنائية التاريخية وجَدْنا الحرف الذي ثَلَّث أصلها ما يبرح ذا قيمة تعبيرية ذاتية.، توجه المعنى العام الأصلي، توجيها خاصا وتزيده تنوُّعاً وتقْييداً"(47).ودلّل على ذلك بأن" الجِذْل أصلٌ عام للشجر،ولكنه للنخلِ (جِذْع)، والعين الحلقيَّة أقوى من اللام المُذْلَقة"(48). لانريد الدخول في بحث قوّة الحروف وضعفها فما كتب حولها حتى الآن لايرتقي إلى مستوى الدراسة العلمية الإحصائية. كما لا نريد الدخول في بحث نظريَّة ثنائية اللغة، إذ ليس هذا مكان بحثها؛ كما أن مقولتنا تستقيم دون الاعتماد عليها أصلاً. ولكن في عبارة الدكتور الصالح ما يبين موقف المحدثين من مهمة الاشتقاق الإبدالي.

ب – أما الأستاذ عبد الله أمين، صاحب كتاب الاشتقاق، فقد كان أوضح وأكثر مباشرة في دعوته حين قال: "وهذا الضرب من الاشتقاق يمكن أن يُنتفَع به في اشتقاق اسمين لمسمّيين متشابهين في الشكل والعمل أو في أحدهما، إن كان بين الاسمين والمسمّيين ملاءمة؛ مثال ذلك: (الغُمْنة والغُمْرَة)، يمكن أن يسمى المسحوق الذي تطلي به السيدات وجوههن وأيديهن (غُمْرَة)، والمعجون الذي يستعمل استعمالَه (غُمْنَة)، بإبدال النون من الراء، لتقاربهما مخرجا وصفة. و(الأزْمَة والأزْبَة) وهي الضيق والشدَّة، يمكن أن نطلق على الضيق المالي (أزمة) وعلى الضيق السياسيّ مثلاً (أزبة)، بإبدال الباء من الميم لتجانسهما أي اتفاقهما مخرجا واختلافهما صفة...و (الكَثْأة والكَثْعَة) ما يَعْلو اللبنَ من دَسَم، يمكن أن يُطْلق أحد اللفظين على ما نسميه (القِشْدَة) والآخر على ما نسميه (الكريم) بإبدال الهمزة من العين لتقاربهما مخرجا وصفة"(49).

ج – أدرك المجمعي عز الدين التنوخي أهميّة الإبدال في وضع المصطلحات العلميَّة فقال في مقدمة تحقيقه لكتاب الإبدال لأبي الطيب اللغوي:"ومن فوائده أنه قد ينتفع به في المصطلحات العلمية، بتخصيص اللفظتين المتعاقبتين (50) لمسميين متشابهين بينهما علاقة معنوية"(51). وبعد أن يستعرض جملة صالحة من أمثلة قديمة وحديثة تؤيد مذهبه قال: " وعلى هذا الأسلوب أرى أن نسمّي كَسّارة الجوز (casse-noix): مِرْضَخة، وكَسَّارة اللّوْز (casse-noisette): مِرْضَحَة، بالحاء المهملة، والعكس جائز. وأرى أن سَلَفَنا الصالح عرف كيف يستعمل لغته فخصّص (الغَبْن) للثوب و (الخَبْن) للعَروض، وهما في الأصل بمعنى متشابه "(52).

د – أما الأستاذ عبد الله العلايلي، فقد تجاوز الإقرار به وسيلة توليد هامة، إلى اقتراح شروط للإفادة منه فقال: " وفائدة الإبدال في الوضع الجديد ظاهرة جدا،

وذلك لأنه يُفْزَع إليه عندما تكون المادة قد استوفت الوضع؛ وينبغي أن يخضع لشروط حتى لايكون سببا لاشتراك قريب"(53) وسنعرض لهذه الشروط بعد قليل.

2 - وعلى الصعيد العملي التطبيقي: أفاد المعربون المحدثون من الاشتقاق الإبدالي في وضع مصطلحاتهم:

ا - فقد ترجم مترجمو (معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات - كليرفيل) وهم الدكاترة: (مرشد خاطر وحمدي الخياط وصلاح الدين الكواكبي) مصطلح (anesthésie) بكلمة (التّخْدير)، ووضعوا لمصطلح (narcose) كلمة (التّخْتِير) بإبدال حرف التاء بالدّال. كما ترجموا كلمة (nucose) بالمُخاط، ووضعوا لكلمة (glaire) كلمة (المُغاط)، بإبدال حرف الغين بالخاء(54).

ب - وأفاد المعجمي مصطفى الشهابي في معجم المصطلحات الزراعية من كلمتيْ (التأْريث والتأْريف) المبدلتيْن قديماً بمعنى وضع الحدود بين أرضين، فترجم المصطلح (abornage) بكلمة (تأريث) وترجم (cadastre) بكلمة (تأْريف)(55).

ج - وفي (مصطلحات مسيرات الخيل) للدكتور سلمان قطاية أراد أن يُفرق بين أشكال وقف الفرس مستفيدا من إبدالات القدماء فقال: "أما إذا كان الوقوف فجأة فهو الكَبْح والكَمْخ أو الكَمْح... وللكبح أشكال ثلاثة:

- إمساك خلفي يتكدّس الجسم كليّة تقريبا على الخلفيتين ومؤخر الجسم ولنسمه (الكَمْخ) بسبب وجود الخاء فيه.

- إمساك أمامي يتكدس الجسم كليّة على الأماميّتين ومقدّم الجسم ولنسمه (الكمْح) لوجود حرف الميم فيه.

- إمساك رباعي يتكدّس الجسم فيه على الأطراف الأربعة ولنسمه (الكَبْح) لوجود حرف الباء من (أربعة) فيه"(56).

وهكذا أمكن هنا توظيف هذه الحالات الإبدالية التي كان يُنْظَر إليها قديما على أنها نوع من الترادف اللفظي ليس غير، أمكن توظيفها لأداء معان تفصيليّة تنويعيَّة في إطار المعنى العام للكلمة الأصل وهو الإيقاف.

د - وفي سياق استخدام الإبدال في مصطلحات فيزيائية يقول د.عبد الكريم اليافي:"وعمدنا إلى (الأُويل) مقابل لفظ (proton)، فاستبدلنا الميم في المعتدل باللام فأصبح معنا (الأُويم) مقابل نيوترون (neutron)، كما استبدلنا أيضاً بهما النون من أول لفظ النواة فصار معنا (الأُوَين) (nucléon)، وهو الجزء الأصلي من نواة العنصر. وكذا قلنا ما قاله غيرنا (الكَهْرَب) مقابل (éléctron) ثم بدّلنا الباء سيناً للإشارة إلى كونه سالباً فصار (كهرسا) مقابل (négaton)، وبدّلنا الباء جيما فصار (كهرجا) مقابل (positon) وهلم جرّا"(57). إن تجربة كلّ من الدكتور اليافي وقطاية - وإن كانت لاتنطلق نظريا من ظاهرة الإبدال حتما - فإنها تلتقي في الممارسة العملية معها.

هـ - كما استخدم الدكتور صلاح الدين الكواكبي ظاهرة الإبدال في التفريق بين مصطلحين متقاربين فقال: "brasser= المَرْث، كالمَرْس زِنَة ومعنى، خصصتها بما

يُمْرَس في فن الصيدلة، تمييزا من غيرها من العمليّات الصيدلانية "(58).

5) **قواعد الاشتقاق الإبدالي:**

إن ما ورد في الفقرتين الأخيرتين السابقتين يثير أيضا مسائل حول طريقة الاشتقاق الإبدالي:

المسألة الأولى التي يثيرها هذا الاشتقاق هي: أيّ الأحرف أحقّ بالإبدال بها: الأول أم الأوسط أو الأخير. ولكل منهما ما يؤيد الإبدال به.

- فمن إبدال الحرف الأول مَرَّ بنا:(هَنين وحَنين وأنين وخَنين ورَنين) التي تدل على تنويعات صوت المريض بالتدرُّج صُعُداً.

- ومن إبدال الحرف الثاني: الشاسِب والشازب للضامر، وهَطَل وهَتَل، والكَبْح والكَمْح.

- ومن إبدال الحرف الأخير في الثلاثي: هتَنَ وهَتَلَ، والجَلَحُ - لذهاب الشعر - والجَلَهُ والجَلاَ.

ولا نظن أن الدراسة الإحصائية - ولو توفرت - قادرة على ترجيح أي من الأحرف بالإبدال، مادام السماع قد ورد بكل منها. ولذا فلا يسعنا إلا تقرير أن كلاًّ من الأحرف: الأول أو الثاني أو الأخير قابل للإبدال به، وإن كانت الأمثلة التي سيقت حول إبدال الحرف الأخير أوفر لما أولاها أصحاب نظرية ثنائية اللغة من اهتمام؛ على أن المحدثين أبدلوا - على الغالب - بالحرف الأوسط والأخير.

المسألة الثانية: هي أي الحروف أحقُّ بالإبدال لاستخدامها في تنويع المعنى العام؟ إننا نجد أنفسنا أمام أربعة خيارات:

ا - اعتماد صفة الحروف من حيث الشدة والرخاوة، فيُعطى للمعنى الأشدّ الحرفُ الأشد، وللمعنى الألين الحرف الألين، وعلى هدي من هذا الخيار علّل ابن جني الفرق بين (قَضَم وخَضَم) فقال: " فالخَضْم لأكل الرّطب كالبطيخ وما كان نحوه من المأكول الرّطْب، والقَضْم للصُّلب اليابس نحو: (قَضَمَت الدابة شعيرها)...فاختاروا الخاء لرخاوتها للرَطْب، والقاف لصلابتها لليابس"(59).

ب - وإما اعتماد القيمة التعبيرية للحرف. ومن الأمثلة التي يسوقونها على ذلك، أن الفاء أفادت في كلمات معينة معنى الضَّعف، يقول الدكتور صبحي الصالح: "ومن أوضح الأمثلة على هذه الظاهرة اللغوية العجيبة ما ذكره ابن جني من (ازدحام الدال والتاء والطاء والراء واللام والنون إذا مازجتهن الفاء على التقديم والتأخير، فأكثر أحوالها ومجموع معانيها أنها للوَهَن والضَّعْف ونحوهما)، أما شواهده على ذلك ففيها ما نرضاه ولا يَسَعُنا ردُّه (كالشيء التالف والشيخ الدالف، والدَّنِف المريض، والفتور للضعف، والطفل للرَخْص)...وواضح أن ابن جني يُعَول في هذه الأمثلة طبيعِيها ومتكلّفِها على حرف (الفاء) فهو الذي أفاد بقيمته التعبيرية الخاصة معنى الوَهَن والضعف لدى ممازجته الدال والتاء والطاء والراء واللام والنون " (60).

ج - وإما اعتماد مخارج الحروف، كأن يُختار لحرف حلقي نريد إبداله حرفا حلقيا آخر، أو لحرف شفهي حرفا شفهيا. ومثال ذلك ما اقترحه عبد الله أمين من استعمال (أزْمَة) للضيق المالي و(أزْبَة) للضيق السياسي

" بإبدال البـاء مـن الميم لتجانسـهما أي اتفاقهمـا مخرجـا واختلافهما صفة "(61).

د – وإمّا اعتماد حرف من حروف الكلمة التي يراد تضمين الكلمة الواقع فيها الإبدال معناها. وهذا ما ذَهب إليه بعض المعرّبين والفيزيائيين باستعمالهم (الكَهْرَس) للكهرب السالب و(الكَهْرَج) للكهرب الموجب. (وأُوَيم) للأُوَيل المعتدل (62). حيث أخذ السين من كلمة (سالب) والجيم من كلمة (موجب) والميم من كلمة (معتدل)، مع أن الميم ليست حرفا أصليا فيها. ومثله ما أخذ به الدكتور سلمان قطاية في مسيرات مصطلحات الخيل حيث عد (الكَبْح) هو المعنى الأصلي، ونوَّع عليه فخصص أحرفا من الكلمات التي أراد تضمينها الكبح فقال: (الكَمْح) للإيقاف الأمامي رامزا للأمامي بالميم، و(الكَمْخ) للخلفي رامزا بالخاء للخلفي(63). وإن كان ثمة فرق بين المثالين فاليافي ولَّد معتمدا الإبدال وقطاية ترجم مخصصا إبدالا قديما.

والذي نراه أن الأهمَّ في هذه المسألة ليس هو ترجيح خيار على آخر أو طريقة على أخرى. بل هو ألاّ يؤدي الإبدال المقترح إلى حالة من تنافر الحروف ممّا يتعارض والبنية الصوتية العربية.

لقد حاول بعضهم أن يحصر الإبدال بين الحروف المتقاربة مخرجا أو صفة، لكن استقراء حالات الإبدال بيَّنت أنَّه قد وقع بين حرفين متقاربين أو متباعدين، فمن وقوعه:

– بين حرفين متجانسين أي متفقين مخرجا مختلفين صفة كالزاي والسين: (الرجز والرجس).

– أو متقاربين مخرجا متحدين صفة كالحاء والهاء نحو: قَحِل وقَهِل إذ يَبِس.

– أو متقاربين مخرجا وصفة كالعين والهمزة في زُعاف وزُؤاف.

– أو متقاربين مخرجا متباعدين صفة كالقاف والكاف نحو: امتك الضَّرْعَ وامتقَّه: إذا رضع ما فيه.

– أو متقاربين صفة متباعدين مخرجا كاللام والراء في نحو: مُحَلَّف ومُجَرَّف لمن ذهب ماله.

– أو متباعدين مخرجا متحدين صفة نحو الغَيْم والغَيْن.

– أو متباعدين مخرجا وصفة كالجيم والحاء في نحو يجوس ويحوس(64).

هذه النتيجة، وإن لم تعجب لغويين معاصرين، لأنها تُذهب هيبة نظرية القيمة التعبيريَّة للحرف العربي(65)، فإنهم لم يجدوا ما يدفعونها به، اللهم إلا ما نقل عن ابن سيده من أنه صرَّح: " ما لم يتقارب مخرجاه البتة، فقيل على حرفين غير متقاربين فلا يسمَّى بدلا، وذلك كإبدال حرف من حروف الفم من حرف من حروف الحَلْق "(66)، وما نقل عن ابن جني من أنه لم يَعُدّ (جاسوا وحاسوا) من الإبدال لأن الجيم ليست أخت الحاء(67). ولكن ما حيلتنا إن كان ابن قتيبة قد نقل لنا عن العرب قولهم: عانَشْتُ الرجلَ وعانَقْتُه)(68) فأبدل حرفا شَجْريا من حرف حلقي؟ وإذا كان ابن عصفور الإشبيلي قد نقل لنا أن العرب قالت:(أَقّـتَتْ ووَقّـتَتْ)(69) فأبدل حرفا حلقيا من فموي؟ وغيرها كثير مما جمعه السيوطي في مزهره(70).

وممن حرص على أن يقعد للإبدال الشيخ عبد الله

العلايلي إذ يقول: "وينبغي أن يخضع لشروط حتى لايكون سببا لاشتراك قريب:

1 - ألاّ يستوفى من مادة الإبدال كلّ موازين التصريف، فلا يصاغ منه مصدر وما أشبهه اكتفاء بمصدر الأصل، ولا يزاد فيها زيادات تصريفية.

2 - ألاّ تجري عليها زيادة الاشتقاق.

3 - ألاّ تُعَمَّم في كل دوائر الثلاثي.

4 - أن تُذْكر في مادة المبدل منه لا في مكانها بحسب اقتضاء الحرف "(71).

ونعل العلايلي كان يرمي من شروطه إلى صون نظريّة (التقاليب الستة) من أن تُمس، لأن إجراء التصريف على الكلمة الواقع فيها الإبدال سوف يؤدي إلى توليد جذر لغوي جديد يستعصي على إيجاد علاقة بين معناه ومعاني جذر لغوي قديم بالأحرف ذاتها، فلو أجرينا على مصطلح (التختير) الذي سبق ذكره لنوع معيّن من أنواع التخدير إجراءات التصريف لأدّى بنا ذلك إلى (خَتّر وختر) الذي قد لايسهل إيجاد علاقة بينه وبين معنى الجذر القديم (ختر) وهو نقض العهد والفساد. مع أن القدماء أنفسهم استعملوا (الختر) بمعنى (الخدر) أيضا.

والذى نراه أن الإبدال اشتقاق، والاشتقاق توليد، وما وُلد من صلب اللغة، حروفها وأصواتها وأبنيتها، صار ابناً شرعيّاً لها تسري عليه كلّ أنظمتها اللغوية مع الزمن شئنا ذلك أم أبينا؛ وكنا ذكرنا ما ورد في لسان العرب من قول أبي منصور الأزهري: " والعرب تُبدل الطاء تاء لقرب مخرجهما ، قالوا: متّ ومطّ ومدّ"(72)، فهل وقفت العرب عند هذا الإبدال في الجذر و لم تُجْرِ عليه أشكال التصريف؟ ألم تصُغ من كلٍّ منها مصدرا ومضارعا وصفات؟ بلى قد فعلت ذلك فقالت من (مَتّ): المتات: ما مُتّ به، الموات: الوسائل، تمتّى بالحبل: اعتمد. وقالت من (مَطّ): يُمط، يتمطّط، المَطْمَطة، المطيطة (طينٌ لزج)...(73).

ثم إذا كنا نشتق من الكلمة المعرّبة ونُجري عليها قوانين العربية وهي أجنبية عنها أصلاً، أفيصح أن نَحْرِم ذلك الكلمة العربية المولّدة بالإبدال؟

إننا نرى أن الإبدال مَنْجم غنيٌّ للتوليد والاشتقاق. وأنه يوظّف حتى الآن لخدمة اللغة كما يجب؛ ونرى أن أهمّ مجال يمكن الإفادة منه فيه هو الفروقات النوعية في مسمّيات أشياء لم يألفْها العرب في بيئتهم ، أو مسمّيات أدّى إليها التقدّم العلمي والتقني.

ولنضرب مثلا بتسميات الألوان - لقد أقرّ مجمع القاهرة في دور انعقاده الرابع سنة 1937 مصطلحات للألوان الفرعية فقال:"أصفر فاقع، أصفر ليموني، أصفر كرومي ناصع، أصفر كرومي قاتم، أزرق كوبالتي، أزرق رمادي، أزرق سماوي، أزرق بروسي، أخضر زرعي، أخضر هوكر، أخضر زمردي، أخضر نيوني"(74). وهي كما نرى مصطلحات تقوم على التراكيب الوصفية والمعقّدة أحياناً. فما المانع من أن يُلجأ إلى ظاهرة الإبدال للإفادة منها في توليد مصطلحات من كلمة واحدة. ويمكن في هذه الحالة إبدال أحد أحرف اللون الأساسي واختيار الحرف البديل مما يُلْمِح إلى اللون المراد، كأن يقال: (أصفل)، بدل أصفر ليموني و (أصفك) بدل أصفر كرومي، و(أصفق) بدل أصفر قاتم. وأن يقال: (أزرب) بدل أزرق بروسي. وهذه هي الطريقة التي لجأ إليها بعض

معربي جامعة دمشق عندما قالوا (كهرس) بدل كهرب سالب. قد يبدو هذا الطرح غريبا بعض الشيء، لكن غرابته ستزول متى عرفنا أن العرب استخدمت الإبدال للتعبير عن الفروق اللونية بالذات، ورد في ديوان الأدب: "الأغْثَر قريب من الأغْبَر ...والأغْبَس الذي على لون الذئب...والأغْثَم الذي غلب بياضُه سوادَه" (75). وجاء في مخصص ابن سيده: "في العين الشّهَل والشُّهْلَة، وهو أن تُشْرَب الحدقة حمرة ليست خطوطا كالشُّكلة، ولكنها قلّة سواد الحدقة حتى كأن سوادها يضرب إلى الحمرة... وفيها الشّكلة والشُّكلة:وهي حُمْرة تخالط البياض، ورجل أشكل وامرأة شكلا."(76). ودون النظر إلى أي الكلمتين هي الأصل وأيها المبدل فيها؛ فإن استخدام ظاهرة الإبدال للتنويعات اللونية عند العرب بادية للعيان هنا.

ولنضرب مثلا آخر مما لم يكن شائعا في البيئة العربية الصحراوية وهو كلمة (الثلج)، فمن الطبيعي ألاّ يكون لها في لغتنا تسميات عدّة تدل على حالاته وتنوعاته كما في اللغة الفنلندية (77) مما يَجْبَه المترجم بوحدات غير قابلة للترجمة مباشرة، فلا بد من مواجهتها، إمّا بالتعريب وإما بالترجمة بتراكيب وصفية أو إضافية؛ ولا نرى مانعا يحول دون الإفادة من ظاهرة الإبدال في العربية كأن يقال في الثلج المختلط بالبرَد (ثَبْج) وللمختلط بالمطر (ثَمْج) وللمصحوب بريح شديدة (ثرْج)، أو غير ذلك ممّا قد لا يتجافى عنه السمع.

وإذا كان من المحدثين من شرَط لصحة الإبدال شروطاً، فإن منهم من رفَضَ استخدامه لتوليد ألفاظ جديدة، كتوليد (الإزغاء والإسغاء) من (الإصغاء)، بحجة مجافاة ذلك للذوق السليم ولما فيه من تشويه للعربية وتجاوزٍ على هويتها، وأنه لم يسمع عن القدماء أنهم دعَوْا إلى اتخاذ الإبدال سبيلا إلى توليد ألفاظ جديدة (78). وهي حجج لايؤيدها الواقع فتشويه العربية والتجاوز على هويتها ليس سببه - إن وقع - الإبدال، بل لأن المُبْدِل لم يراع النظام الصوتي للعربية. أمّا أنّ القدماء لم يَدْعُوا إليه - مع أنهم درسوه - فمردّه إلى أنّ الحاجة لم تلجئهم، ولو ألجأتهم لفعلوا.

وخلاصة ما نراه أنّ الإبدال من الظواهر اللغوية الهامة في لغتنا، ونرى أن يُفاد منه في تسمية الفروقات النوعية بين الأشياء المتشابهة، ولايشترط في هذا الاشتقاق الإبدالي إلا ثلاثة أشياء:

ا - ألاّ يؤدي هذا الإبدال إلى ولادة كلمة ذات حروف لا تأتلف أولا تنسجم مع النظام الصوتي للعربية.

ب - ألاّ يؤدي الإبدال إلى مشترك لفظي-ما أمكن ذلك -وإذا كان لابد من وقوع الاشتراك فيفضّل المشترك اللفظي الأقل شيوعا.أمّا منع وقوعه فأمر غير ممكن.

والهامش المتاح لنا لمراعاة هذين الشرطين هو حريّتُنا في اختيار موقع الحرف المبدَل منه وطبيعة الحرف المبدَل.

ج - أن يُقْصر استعمال الإبدال على المصطلحات العلمية وللضرورة، أي عند انعدام إمكانية الترجمة أو الاشتقاق الصرفيّ.

الهوامش

1): عبد الله أمين / الاشتقاق : 331.

2): عز الدين التنوخي / مقدمة كتاب الإبدال لأبي الطيب اللغوي 1 : 9.

3): ابن عصفور الإشبيلي / الممتع في التصريف 1 : 326 - وسيبويه 4/239.

4)-5) : ابن السكيت / الإبدال : 61 ، 77 .

6) : السيوطي / المزهر 1 : 460 .

7) : عز الدين التنوخي / مقدمة كتاب الإبدال لأبي الطيب 1 : 6-7.

8) السكاكي / مفتاح العلوم : 15. ويسميه الاشتقاق الأكبر، ويمثل له بنمق ونهق.

9) السيوطي / المزهر 1 : 460.

10) المرجع السابق نفسه 1 : 538.

11) المرجع السابق نفسة 1 : 462.

12) ابن جني / سر صناعة الإعراب 1 : 246.

13) أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط 5 : 307. وهي الآية 35 من سورة يوسف.

14) القالي / الأمالي 1 : 186.

15) عز الدين التنوخي / مقدمة كتاب الإبدال لأبي الطيب 1 : 8.

16) ابن الناظم / شرح الألفية : 836.

17) ابن مالك : تسهيل الفوائد : 300.

18) ابن السكيت / الإبدال : 92.

19) المرجع السابق نفسه : 99

20) المرجع السابق نفسه : 141.

21) المرجع السابق نفسة : 121.

22) ابن السكيت / الإبدال : 124.

23) المرجع نفسه : 111.

24) ابن السكيت / الإبدال : 113-114.

25) السيوطي / المزهر 1 : 461. وينظر: د. صبحي الصالح / دراسات في فقه اللغة : 265.

26) د. محمد حماسة عبد اللطيف / ظاهرة الإعلام والإبدال في العربية.../مجلة مجمع القاهرة ج 48 : 155.

27) د. مصطفى جواد / أثر التضعيف في تطور اللغة العربية والإبدال.../ مجلة مجمع القاهرة ج 19 : 58.

28) العبهلة : الإهمال والترك.

29) السيوطي / المزهر 1 : 460.

30) ابن جني / سر صناعة الإعراب 1 : 246.

31) هفنر / الكنز اللغوي - الإبدال لابن السكيت : 3.

32) الفارابي / ديوان الأدب 1 : 345.

33) الثعالبي / فقه اللغة : 225.

34) المرجع نفسه : 237.

35) المرجع نفسه : 208.

36) ابن سيده / المخصص 1 : 102.

37) المرجع نفسه 93/1.

38) المرجع نفسه 71/1.

39) ابن منظور / لسان العرب : بجر.

40) المرجع نفسة : بعط.

41) المرجع نفسه : تلع.

42) د. صبحي الصالح / دراسات في فقه اللغة : 239.

43) ابن جني / الخصائص 2 : 152.

44) المرجع نفسه 82/2.

45) ينظر : ص 180 من هذا البحث.

46) ينظر محمد المبارك/ فقه اللغة وخصائص العربية :111 ود.علي عبد الواحد وافي/ فقه اللغة : 186، وص:119 / من هذا البحث.

47) د. صبحي الصالح / دراسات في فقه اللغة : 165.

48) د. صبحي الصالح / دراسات في فقه اللغة : 167.

49) عبد الله أمين / الاشتقاق : 370.

50) يسمي بعضهم الإبدال تعاقب أو معاقبة كما أشرنا في ص 176.

51) عز الدين التنوخي / مقدمة الإبدال لأبي الطيب اللغوي 1 : 42.

52) المرجع نفسه – المقدمة 1 : 42.

53) د. أسعد علي / تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي : 178.

54) عز الدين التنوخي / مقدمة كتاب الإبدال لأبي الطيب اللغوي 1 : 42.

55) مصطفى الشهابي / ملاحظات على معجم الألفاظ الزراعية – مجلة مجمع دمشق 3/23 : 25.

56) د. سلسان قطاية / مصطلحات سيرات الخيل / مجلة المجمع الأردني 35 : 223.

57) د. عبد الكريم اليافي / تجربتي في تعريب المصطلحات العلمية / مجلة مجمع دمشق 4/53 : 806.

58) د. صلاح الدين الكواكبي – مصطلحات علمية : 13.

59) ابن جني / الخصائص 2 : 157-158.

60) د. صبحي الصالح / دراسات في فقه اللغة : 153-154.

61) عبد الله أمين / الاشتقاق : 370.

62) ينظر : ص 189 من هذا البحث.

63) ينظر : ص 188 من هذا البحث.

64) عبد الله أمين / الاشتقاق : 354-367.

65) د. صبحي الصالح / دراسات في فقه اللغة : 246.

66) ابن سيده / المخصص 13 : 274.

67) د. صبحي الصالح / دراسات في فقه اللغة : 266.

68) ابن قتيبة – أدب الكاتب : 376.

69) ابن عصفور / الممتع في التصريف 1 : 332.

70) السيوطي / المزهر 1 : 462 وما بعدها.

71) د. أسعد علي / تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي : 178.

72) ينظر : ص 184 من هذا البحث.

73) ابن منظور / لسان العرب : مت ، مط.

74) مجمع القاهرة / مصطلحات الألوان التي أقرها المجمع / مجلة مجمع القاهرة 4 : 22-23.

75) الفارابي / ديوان الأدب 1 : 271-272.

76) ابن سيده / المخصص 1 : 99-100.

77) د. فوزي عطية / علم الترجمة : 195.

78) د. جميل الملائكة / المصطلح العلمي ووحدة الفكر - مجلة المجمع العراقي ج 3/34 : 109.

نظرية جديدة في دراسة بنية اللسان العربي

القسم الثاني[1] : طريقة جديدة في دراسة النحو العربي

(من خلال إعادة النظر في دراسة المعرب والمبني من الأسماء في العربية)

الدكتور جعفر دك الباب

أولاً ـ لماذا نقترح إعادة النظر في دراسة المعرب والمبني من الأسماء في العربية ؟

1-1 ● تمكن علماء العربية الأوائل، بفضل استخدام المنهج الوصفي الوظيفي (الذي يصف البنية اللغوية ويبين وظيفتها الإبلاغية)، من الكشف الصحيح عن الخصائص البنوية المميزة للنظام اللغوي للعربية ووضعوا قواعد النحو والصرف العلمية الدقيقة الملائمة لتلك الخصائص. ولكن علماء العربية حاولوا بعد ذلك تقديم تفسيرات لأسباب تمتع العربية بخصائصها البنوية المميزة عن طريق بحثهم فيما سموه (الأصل والفرع). ولدى تحديد الأصل والفرع اعتمدوا مبدأ (التجرد والزيادة) في البنية الدلالية للكلمة أو في بنيتها الصرفية، ولم يأخذوا بالحسبان عامل الأسبقية في الزمان. ونرى أن تحديد (الأصل والفرع) لايمكن أن يتم البحث فيه خارج محور الزمان، لأن الأصل هو بالضرورة الأسبق في الزمان والفرع هو التالي له في الزمان. ومن أجل الكشف عن أسباب تمتع العربية بخصائصها البنوية المميزة عن طريق تحديد (الأصل والفرع) على محور الزمان، نتبنى منهجا تاريخيا علميا في الدراسة اللغوية استنبطناه من التئام بين نظريتي ابن جني (في الخصائص) وعبد القاهر الجرجاني (في دلائل الإعجاز).

2-1 ● يربط المنهج التاريخي العلمي دراسة نشأة اللغة الإنسانية بنشأة الإنسان نفسه[2]، ويبين مراحل اكتمال النظام اللغوي وقوانين التطور اللغوي، ويقوم على المبادىء التالية :

1) التلازم بين النطق والتفكير ووظيفة الإبلاغ منذ بداية نشأة الكلام الإنساني.

2) لم ينشأ التفكير الإنساني مكتملاً طفرة واحدة، وانطلق خط السير العام لتطوره في إدراك المشخص المحسوس واكتمل بالانتقال إلى المجرد. كما أن النظام اللغوي لم ينشأ مكتملا طفرة واحدة، بل نشأ واكتمل تدريجيا بشكل مواز لنشأة التفكير الإنساني واكتماله. ويستوجب ذلك إنكار ظاهرة الترادف في اللغة الانسانية.

3) يؤلف النظام اللغوي كلاً واحداً توجد المستويات المتدرجة للبنية اللغوية فيه في علاقة تأثير متبادل فيما بينها. ويحتل مستوى البنية الصوتية مرتبة الأساس الموجّه لبقية المستويات.

ونرى أن المقابلة بين المنهج التزامني (السينكروني) والمنهج التعاقبي أو التاريخي (الدياكروني) في دراسة اللغة وهمية جداً ولا يمكن

أن تكون مقبولة إلا في مراحل الدراسة التمهيدية، لأن المقطع السكوني وهم وليس شكلا من أشكال الوجود. لذا يجب برأينا ربط دراسة النظام اللغوي في وضعه الراهن (المتزامن) بدراسة تطوره التاريخي، وذلك بالاهتمام بما هو عام ومطرد من دون أن نهمل الاستثناءات (الشواذ)، لأنها تعتبر شواهد على مراحل سابقة أو بدايات لتطور جديد.

3-1 ● يقضي المنهج التاريخي العلمي بتمييز الأصل في المعجم اللغوي الإنساني عن الأصل في الاشتقاق في النظام اللغوي الإنساني. ونرى أن الأصل في المعجم اللغوي الإنساني رصيد للأصوات اللغوية التي تتألف منها مفردات اللغة من ناحية، وللمدلولات التي ترتبط بها من ناحية أخرى. أما الأصل في الاشتقاق في النظام اللغوي الإنساني فهو الصيغة اللغوية الإنسانية الأولى (صيغة الأمر العامة للشخص الثاني) التي ولّد تطورها النظام اللغوي الإنساني في جميع مستوياته. لذا قمنا بدراسة الأصل في المعجم العربي على حدة ودراسة الأصل في الاشتقاق في العربية على حدة.

4-1 ● لدى دراستنا للأصل في المعجم العربي قدمنا نظرة صوتية جديدة في دراسة المعجم العربي تقوم على القانون التالي : الأصل الحقيقي في المعجم العربي هو ذلك الرصيد الذي يشتمل على الحد الأدنى من الصوامت المشتركة بين جميع الكلمات التي تدخل في العنقود الاشتقاقي الواحد وبالترتيب نفسه. وبتطبيق قانون النظرة الصوتية إلى المعجم العربي كشفنا أنه توجد أصول حقيقية في المعجم العربي غير الأصل المجرد الثلاثي المؤلف من ثلاثة صوامت (ك.ت.ب) وغير الأصل المجرد الرباعي المؤلف من أربعة صوامت (ب.ع.ث.ر). وهذه الأصول المعجمية الحقيقية الأخرى هي التالية :

1) أصل ثنائي مضعف نجده مجردا في صيغة الأمر (مُدّ).
2) أصل ثنائي غير مضعف نجده مجردا في صيغ الأمر (رُمِ، طِوِ، قُمْ، خُذْ، عِذ).
3) أصل أحادي نجده مجردا في صيغة الأمر (فِ).

وبالرغم من طرح نظرتنا الصوتية الجديدة إلى المعجم العربي التي كشفت وجود أصول أحادية وثنائية إلى جانب الثلاثية والرباعية، فإننا نرفض الدعوات إلى التخلي عن مبدأ الأصل المجرد من حروف الزيادة في المعجم العربي، وندعو إلى التمسك به. ونرى أن القواعد الصرفية الخاصة بالفعل الثلاثي غير السالم تشير إلى البعد الزمني (التاريخي) في نظام المعجم العربي، حين ننظر إليها من خلال قانون نظرتنا الصوتية الجديدة إلى المعجم العربي.

5-1 ● ولتحديد الأصل في الاشتقاق في العربية اعتمدنا المنهج التاريخي العلمي في الدراسة اللغوية. يبين المنهج التاريخي العلمي أن الأصل في الاشتقاق لا يمكن أن يكون المصدر (كما يقول البصريون) لأن المصدر يعبر عن الحدث مجرداً من الزمان وهو بذلك في أعلى درجات التجريد، والأصل الأول كان بالضرورة مرتبطاً بالتفكير القائم على إدراك المشخص. كما يبين المنهج التاريخي العلمي أن الأصل في الاشتقاق لا يمكن أن يكون الفعل الماضي المسند للشخص الغائب (كما يقول الكوفيون) لأن صيغة هذا الفعل تفيد إخباراً عن فعل قام به غائب ولا يمكن أن يكون الأصل الأول مما يفيد الإخبار عموماً لأن الإخبار لا يمكن أن يكون الوظيفة الإبلاغية الأولى التي تؤديها اللغة. كما لا يمكن أن يكون الأصل صيغة خاصة بالغائب لأن إدراك الشخص الثالث غير المشار إليه لا يكون إلا حين بلوغ التفكير مرحلة إدراك غير

المشخص. ويؤكد المنهج التاريخي العلمي ما قررناه من أن الأصل في الاشتقاق هو الصيغة العامة للطلب (الأمر) للمواجه (الشخص الثاني)، لأن الطلب هو الوظيفة الإبلاغية الأولى التي تؤديها اللغة حيث أنه يعبر عن الرغبة في التعاون المشترك بين الناس، كما أن صيغة الطلب تعبر عن التفكير القائم على إدراك مشخص بين متكلم ومخاطب. وهذان شرطان متحققان من أربعة شروط ـ يجب أن تتوافر بالضرورة حسب المنهج التاريخي العلمي ـ في الصيغة اللغوية الإنسانية الأولى. والشرط الثالث ـ أن تكون لفظة مؤلفة من مقطعين صوتيين، لارتباطها ببداية ظهور اللغة الإنسانية التي تقوم على تقطيع السلسلة الصوتية إلى مقاطع متميزة. وهذا الشرط متحقق في صيغة الطلب العامة للشخص الثاني. والشرط الرابع ـ أن تكون كلمة تفيد جملة ضمن سياق استخدامها. وهذا الشرط متحقق في صيغة الطلب العامة للشخص الثاني.

وعليه فإن الصيغة العامة للأمر للشخص الثاني هي الأصل في بداية التخاطب الإنساني اللساني، وتستوجب جوابا يقدمه المطلوب منه. ويكون الجواب في صيغة الإخبار ضمن إدراك مشخص بين متكلم ومخاطب في الزمن غير الماضي أي في زمن التخاطب أو يليه بعد فترة وجيزة بحيث يبقى ضمن الإدراك المشخص. ويعني ذلك أن الصيغة العامة للأمر للشخص الثاني هي الصيغة اللغوية الأولى أي الأسبق على محور الزمان. وتتميز هذه الصيغة بأنها كانت لفظة تفيد طلب قيام الشخص الثاني (المواجه المطلوب منه) بالفعل من دون أن تشتمل على علامة تشير إلى جنس المطلوب منه أو عدده. فكانت بذلك كلمة تفيد معنى الفعل ويستكن فيها معنى المسند إليه المطلوب منه القيام بالفعل وهو الشخص الثاني (المخاطب) بشكل عام من دون تحديد جنسه وعدده، أي كانت كلمة ـ جملة. وقد ولد تطور هذه الكلمة ـ الجملة (الصيغة العامة للأمر للشخص الثاني) النظام اللغوي للعربية في جميع مستوياته الصوتية والإفرادية والتركيبية لأنها الأصل في الاشتقاق في النظام اللغوي للعربية.

6-1 ● وهكذا يظهر أن الكلمة والجملة نشأتا معا، ثم تميزتا بعضهما عن بعض بنتيجة التطور الصوتي للصيغة اللغوية الإنسانية الأولى الذي تمحور حول تنويع التقطيع الصوتي لمكونات تلك الصيغة (الكلمة ـ الجملة)، وأدى إلى بلورة نظام الصوائت والصوامت. واستنادا إلى المنهج التاريخي العلمي نرى أن الخط العام لتطور الصيغة العامة للأمر للشخص الثاني ـ الأصل في الاشتقاق هو التالي :

أ) الانتقال التدريجي من الكلمة ـ الجملة إلى الجملة المؤلفة من كلمات منفصلة بعضها عن بعض. وارتبط بذلك الانتقال من الكلمة ذات الصيغة الواحدة الثابتة التي لا تتغير (غير المتصرفة) إلى الكلمة ذات الصيغ المتعددة المتغيرة (المتصرفة).

ب) الانتقال التدريجي من التفكير القائم على إدراك مشخص جدا إلى التفكير القائم على إدراك مجرد تماما حتى أضحت اللغة نظاما كاملا للتعبير عن التفكير الإنساني.

ج) التوسع التدريجي في أداء وظيفة الإبلاغ حتى صارت اللغة نظاما كاملا للإبلاغ. ونرى أن الوظائف الإبلاغية التي هي أغراض التخاطب الإنساني قد تولدت وفق التسلسل التالي :

1) غرض طلب القيام بالفعل الذي حملته صيغة الأمر العامة للشخص الثاني.

2) وجوابا لذلك الأمر، تولد غرض آخر يستهدف الإشعار بفهم الطلب والإخبار عن القيام بالفعل.

3) غرض طلب الامتناع عن القيام بفعل.
4) وجوابا لهذا النهي، تولد غرض الإخبار عن الامتناع عن القيام بالفعل.
5) غرض الاستفسار عن ما يجب فعله أو الامتناع عن فعله، أي الاستفهام الذي يستهدف معرفة الأمر والنهي.
6) غرض الاستخبار عن شيء ما، أي الاستفهام الذي يستهدف معرفة خبر جديد.
7) غرض التعجب، أي بيان موقف المتكلم من الخبر الذي ينقله.

1-2 ● لدى دراستنا لتطور الأصل في الاشتقاق في العربية ـ الذي ولد النظام اللغوي للعربية في جميع مستوياته الصوتية والإفرادية والتركيبية ـ اقترحنا طريقة صوتية جديدة في وصف قواعد صرف العربية ونحوها، وأطلقنا عليها تسمية (نظرية جديدة في دراسة بنية اللسان العربي)[3]. تستند (النظرية الجديدة) إلى المنهج التاريخي العلمي في تحديد (الأصل والفرع) على محور الزمان، وذلك من أجل الكشف عن أسباب تمتع العربية بخصائصها البنوية المميزة، وتركز على دراسة القواعد الخاصة بالاستثناءات في صرف العربية ونحوها، وذلك لكشف مسار التطور التاريخي لنشأة النظام الصرفي للعربية واكتماله ونشأة النظام النحوي للعربية واكتماله.

وبعد الكشف عن الأسباب التاريخية لتمتع العربية بخصائصها المميزة، تقترح (النظرية الجديدة) وصف قواعد صرف العربية ونحوها ـ في مرحلة ما بعد اكتمال النظام الصرفي والنحوي للعربية ـ باعتماد المنهج الوصفي الوظيفي ـ الذي هو منهج تزامني (سينكروني) في الدراسة اللغوية ـ عن طريق تحديد أنماط بنوية وظيفية للكلم والجمل في العربية.

2-2 ● في القسم الأول من التعريف بالنظرية الخاص بتصريف الأفعال[4]، ذكرنا أن نظريتنا الجديدة في دراسة بنية اللسان العربي تستهدف تقديم قواعد اشتقاقية (توليدية تحويلية) للعربية، انطلاقا من أن صيغة فعل الأمر العامة للشخص الثاني هي الأصل في الاشتقاق في النظام اللغوي للعربية في جميع مستوياته. عرضنا في القسم الأول المنطلقات العامة للقواعد الاشتقاقية الجديدة لتصريف الأفعال في العربية التي تنطلق من تمييز خمسة أنماط لصيغة فعل الأمر العامة المجردة للشخص الثاني ـ الأصل في الاشتقاق في العربية وذلك حسب عدد الأصوات الصامتة التي تتألف منها وهي : ثلاثي الصوامت، رباعي الصوامت، ثنائي الصوامت المضعف، ثنائي الصوامت غير المضعف، أحادي الصوامت. ولهذه الأنماط الخمسة ثلاثة عشر وزناً.

وفي كتابنا «طريقة جديدة في دراسة تصريف الأفعال في العربية»[5]، عرضنا المبادىء العامة لطريقتنا الصوتية في وصف قواعد صرف العربية ونحوها. وقدمنا جداول تصريف الأفعال في العربية من جميع الأنماط والأوزان ونماذج التصريف التي تتحقق فيها الأوزان المختلفة. وعرضناها كلها في جداول.

3-2 ● في القسم الأول الخاص بتصريف الأفعال، قدمنا جدولاً بيّنا فيه مراحل مسار تطور صيغة فعل الأمر العامة المجردة للشخص الثاني (من نمط ثلاثي الصوامت السالمة : أُكتب، إجلس، إفتح) الذي ولد نظام تصريف الأفعال في العربية. ثم أشرنا إلى أنه بعد اكتمال نظام تصريف الأفعال في العربية، وبعد اكتمال النظام اللغوي للعربية الذي عكس اكتمال نظام التفكير الإنساني ببلوغه المفاهيم المجردة، تحررت (أي تجردت) صيغة الفعل العربي من ارتباطها بضمير

فاعل معين (مسند إليه). وتجلى ذلك بظهور صيغ الإخبار في الزمن الماضي ثم في الزمن غير الماضي للشخص الثالث غير المشار إليه. وبيّنا أنه توجد في العربية أربع صيغ فعلية فارغة[6] لا تشتمل على ضمير: اثنتان خاصتان بالزمن الماضي (كتب 0، كتبتْ 0) واثنتان خاصتان بالزمن غير الماضي ـ الحاضر والمستقبل (يكتب 0، تكتب 0). وخلصنا إلى القول بأن جميع صيغ الفعل العربي المصرفة في الماضي والمضارع والأمر هي من نمط الكلمة ـ الجملة لأنها تشتمل على الفعل والفاعل. ويكون المسند إليه (الفاعل) ضميرا متصلا بآخر صيغة الفعل أو ضميرا مستكنا (مستتراً) في آخر الصيغة. ويستثنى من ذلك الصيغ الأربع الخاصة بالشخص الثالث (المذكر والمؤنث) في الماضي والمضارع حين تستخدم في بداية سياق كلامي وتفيد بالتالي الإسناد إلى الشخص الثالث غير المشار إليه، وذلك لأن هذه الصيغ تكون حينئذ فارغة لا تشتمل على ضمير المسند إليه ولا تكون بالتالي في نمط الكلمة ـ الجملة، فتستوجب أن يذكر بعدها اسم ظاهر مرفوع يحدد المسند إليه.

4-2 ● ونقرر في ضوء ذلك أن تطور صيغة الأمر ـ الأصل في الاشتقاق في العربية الذي ولد نظام تصريف الأفعال في العربية قد ارتبط بشكل وثيق بالضمائر المستترة (في آخر صيغة الفعل العربي)، ثم بالضمائر البارزة (المتصلة بآخر صيغة الفعل العربي) الخاصة بالفاعل (المسند إليه) في النظام اللغوي للعربية. كما أن الصيغ الفعلية الأربع الفارغة (الخاصة بالشخص الثالث غير المشار إليه، أي حين تكون مستخدمة في بداية سياق كلامي) ظهرت في آخر مسار التطور حين تحررت صيغة الفعل العربي من أن يتصل بآخرها ضمير الفاعل (المسند إليه) البارز أو المستتر، فاستوجبت حينئذ بالضرورة ظهور الاسم الظاهر المرفوع الذي يجب أن يذكر بعدها لتحديد الفاعل (المسند إليه). ويفرض ذلك علينا إعادة النظر في دراسة المعرب والمبني من الأسماء في العربية، لأن النتيجة التي وصلنا إليها تؤكد أن الضمائر أصل وأن الأسماء الظاهرة المرفوعة ـ المعربة ـ فرع)، وهي عكس الرأي السائد في النحو العربي ـ في مسألة (الأصل والفرع) بالنسبة للأسماء من حيث البناء والإعراب ـ الذي يقول إن (الأصل في الأسماء هو الإعراب وإن البناء فرع عليه). ويترتب على ذلك أن الضمائر ـ وهي أسماء مبنية ـ فرع، وأن الأسماء الظاهرة المرفوعة (المعربة) أصل.

ثانياً: نظرة جديدة في دراسة المعرب والمبني من الأسماء في العربية.

1-3 ● لم يعتمد علماء العربية منهجا تاريخيا يحدد الأسبقية على محور الزمان، حين قرروا أن الإعراب في الأسماء أصل والبناء فيها استحسان وفرع، بل اعتمدوا منهجا وصفيا وظيفيا يرى أن (وظيفة الإعراب هي التفريق بين المعاني). ولأن «الأسماء معرضة للمعاني المختلفة التي تقتضي دلائل تفرق بين بعضها وبعض» استنتجوا منطقيا أن «الإعراب في الأسماء أصل والبناء فيها استحسان وفرع»[7].

ونرى أن المنهج الوصفي الوظيفي ـ الذي يعتمد الاستنتاج المنطقي في تحديد (الأصل والفرع) خارج محور الزمان ـ لا يصلح وعاجز عن تحديد الأصل والفرع على محور الزمان، لأن الأمر يتعلق بمرحلة ما قبل اكتمال التفكير المجرد (المنطقي) التي هي في الوقت نفسه مرحلة ما قبل اكتمال النظام اللغوي بمستوياته المتدرجة (المستوى الصوتي والصرفي والنحوي). والمنهج الوصفي الوظيفي قادر على

وصف البنية اللغوية وبيان وظيفتها الإبلاغية اعتبارا من اكتمال النظام اللغوي المرتبط بالتفكير المجرد وعمل قوانين المنطق.

2-3 ● الإعراب في اصطلاح علماء العربية أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في آخر الكلمات المعربة. أما البناء في اصطلاحهم فهو ثبوت آخر الكلمة على حالة واحدة على اختلاف العوامل المؤثرة فيها وموقعها من الإعراب. ويظهر من ذلك أن للإعراب والبناء صلة بالعوامل. فالمعرب هو الذي يتأثر بالعوامل فتتغير حركة آخره نحو (زيد) من قولنا : (جاء زيد، ورأيت زيداً، ومررت بزيدٍ). والمبني هو الذي يتأثر موضعه بالعوامل ولكن آخره لا يتغير بل يكون إعرابه محليا. ويعني ذلك أن العامل النحوي هو الذي يعمل في غيره فيؤثر في حركة آخره إن كان معربا وفي محله إن كان مبنياً.

«واعلم أن الأسماء على ضربين : معرب ومبني، ثم المعرب على ضربين : منصرف وغير منصرف. فالمنصرف مادخله الجر مع التنوين نحو (زيد)، وغير المنصرف ما لم يدخله الجر مع التنوين وكان في موضع الجر مفتوحا نحو (مررت بأحمدَ) ... والمبني من الأسماء نحو (مَن وكَم وكيف) وما أشبه ذلك مما فيه معنى الحرف أو شبهه...»[8].

وفي ضوء ذلك نفهم لماذا عمد علماء العربية - بعد تقسيم الكلم إلى اسم وفعل وحرف - إلى تقسيم الأسماء إلى ثلاثة أنواع :

1) الاسم المتمكن الأمكن : وهو الاسم الأصل في باب الاسمية المتمكن منه. لم يعرض له ما يضعف هذا التمكن، ولذا يعرب بالحركات ويقبل تنوين التمكين. ومثاله أكثر أسماء العربية المعربة (وهي الأسماء المعربة المنصرفة).

2) الاسم المتمكن غير الأمكن : وهو ما يعرب بالحركات غير أنه لا ينون ويجر بالفتحة نيابة عن الكسرة. واصطلحوا على تسميته الممنوع من الصرف أو الممنوع من التنوين.

3) الاسم غير المتمكن : وهو ما أشبه الحرف بوجه ما ففقد تمكنه من باب الاسمية فبني كالحروف.

والمعرب من الكلمات في العربية نوعان :

1) الاسم المتمكن بنوعيه (الأمكن وغير الأمكن).

2) الفعل المضارع إذا لم تتصل به نون النسوة أو تباشره إحدى نوني التوكيد.

والمبني من الكلمات في العربية ثلاثة أنواع :

1) الحرف.

2) الفعل الماضي والأمر والمضارع إذا اتصلت به نون النسوة أو باشرته إحدى نوني التوكيد.

3) الاسم الذي يخرج عن تمكنه من باب الاسمية فيبنى.

3-3 ● درس علماء العربية علامات الاسم وقسموها إلى لفظية ومعنوية. وذكروا أن «من علامات الاسم اللفظية التي تلحقه من أوله الألف واللام اللتين للتعريف، كقولك : رجلٌ والرجل وغلامٌ والغلامُ ... وأما ما يلحقه آخراً التنوين في قولك : رجلٌ وفرسٌ. والتنوين نون ساكنة تلحق آخر الاسم المتمكن علامة لخفته»[9]. هذا ويتميز برأينا الاسم المتمكن في العربية من الناحية البنوية بأنه يكون : إما محلى بأل، أو منونا، أو غير محلى بأل وغير منون[10].

وقسم علماء العربية الاسم إلى معرفة ونكرة وبحثوا ذلك في (باب المعرفة والنكرة). وقرروا أن «المعرفة خمسة : المضمر نحو (أنت) والتاء في

(ضربت) والكاف في غلامك. والثاني العلم نحو زيد وعمرو... والثالث ما فيه الألف واللام نحو الرجل والفرس... والرابع المبهم وهو نوعان : أحدهما أسماء الإشارة نحو هذا وهؤلاء وذا، وكذا كل اسم إشارة، النوع الثاني الموصولات... والخامس من المعرفة المضاف إلى كل واحد من هذه الأربعة نحو غلام زيد وغلامك فكل مضاف إلى معرفة معرفة. وماعدا هذه الخمسة نكرة»[11].

«المعرفة هي كل اسم خص الواحد من جنسه. والنكرة كل اسم صلح لكل واحد من جنسه على حد البدل، أي يصلح لذا ثم يصلح لذا إن أطلق عليه. والنكرة هي الأصل في الأسماء عند أهل العربية وغيرهم، والمعرفة ثانية لها وفرع عليها ... وهذه النكرات هي الأجناس عند النحويين، وهي الأول عندهم. ولا فرق بين أن تكون أجساماً أو معاني، جواهر أو أعراضا، جثثا في عبارة القوم أو غير جثث. الكثرة تشملها والجنسية تنطلق عليها... الجامد والمشتق والمفرد والمركب في هذا الاعتبار سواء، فاعرفه»[12].

4-3 ● وبعد هذا التمهيد السريع عن المبني والمعرب وعن المعرفة والنكرة، ننتقل إلى بحث العلاقة بين الضمائر والأسماء الظاهرة، لبيان أيهما أصل (أي أسبق في الظهور على محور الزمان) وأيهما فرع (أي تالٍ للأصل في الظهور على محور الزمان).

إذا كانت النكرة هي الأصل في الأسماء الظاهرة والمعرفة فرع كما قرر علماء العربية، وإذا كان المضمر – وهو اسم مبهم – معرفة كما قرر علماء العربية، فذلك يعني أن الضمير فرع والاسم الظاهر الذي يرجع الضمير إليه أصل. ونطرح بهذا الصدد السؤال التالي : هل السبب في وجود الضمائر في اللغة يرجع إلى أن الضمائر تنوب دوما عن الأسماء الظاهرة للاختصار وكراهة للتكرير، كما قرر علماء العربية بنتيجة استخدام المنهج الوصفي الوظيفي ؟ يقول ابن الخشاب بهذا الصدد مايلي : «وأما المعرفة فتنقسم أقساما خمسة : منها المضمر نحو (أنا وأنت وهو والكاف في رأيتك وبك)، فهذه الكلم وما جرى مجراها – قلّت حروفها أو كثرت – أسماء مضمرة. وسميت مضمرة هي وما جرى مجراها لأنها في الأمر العام إنما تأتي بعد مذكور ظاهر كقولك (زيد مررت به) أو ما يقوم مقام لفظ الاسم الظاهر الذي يعود الضمير إليه كالمتكلم إذا قال (أنا فعلت) فناب المتكلم ها هنا مناب اسمه وكذا المخاطب على اختلاف ضروبه. ثم يختصر اللفظ الظاهر فلا يعاد المذكور بصورته كراهة للتكرير وخشية اللبس في بعض الأحوال أو في جميعها أو اختصارا أيضا، فإن الاختصار مع العلم مطلوب عندهم. فمجموع ما ذكرنا أو بعضه علة في وجود الأسماء المضمرة في اللغة...»[13].

ويؤكد أن الإضمار أخصر وأبلغ، ويضيف : «فلما استطالوا الإعادة والتكرار أتوا بهذه الضمائر بحسب المضمرات عددا وتذكيرا وتأنيثا وإعرابا، وأمنوا معها اللبس مع اختصارها»[14].

يظهر من النص السابق أن ابن الخشاب بحث نقطتين : الأولى – سبب تسمية الأسماء المضمرة، والثانية – علة وجود الأسماء المضمرة في اللغة.

1) لدى البحث في سبب تسمية الأسماء المضمرة، كان ابن الخشاب دقيقا لأنه استخدم المنهج الوصفي الوظيفي. فأشار إلى أن (الأسماء المضمرة – الضمائر – سميت مضمرة لأنها في الأمر العام إنما تأتي بعد مذكور ظاهر أو ما يقوم مقام لفظ الاسم الظاهر). ونرى أن عبارة (في الأمر العام) جاءت لتؤكد وجود

حالات خاصة لا يؤتى فيها بالضمير بعد اسم هو لفظ ظاهر مذكور قبله، أي حالات لا تنوب فيها الضمائر عن أسماء هي ألفاظ ظاهرة.

2) ولدى بحث علة وجود الأسماء المضمرة في اللغة، استنتج ابن الخشاب علة منطقية لوجود الضمائر في اللغة خارج محور الزمان تتمثل في كراهة التكرير وخشية اللبس أو الاختصار.

5-3 ● وهكذا بدأنا الإجابة عن السؤال الذي طرحناه أعلاه عن سبب وجود الضمائر في اللغة، لدى تحليلنا لنص ابن الخشاب عن الأسماء المضمرة. وظهر لنا أنه توجد حالات لا تنوب فيها الضمائر عن الألفاظ الظاهرة. فما هي تلك الحالات ؟

ذكر ابن الخشاب أن «الإضمار في اللغة الإخفاء. ولأن كثيرا من الضمائر من الأسماء لا لفظ له ظاهراً كضمير الغائب والغائبة في قولك (زيد قام، وهند قامت، وعمرو يقوم) وضمير المواجَه في قولك (أنت تقوم، وقم يا زيد) وفي المتكلم إذا قال (أنا أقوم) فالاسم في هذه الأمثلة وما جرى مجراها مُكَنٌّ في هذه الأفعال مُلْزَم ذاك، ألزمته اللغة الاستتار، ولم تجعل له لفظا إذا كان مفردا، ثقة بعلمه إذ كان الفعل لا بد له من فاعل. فهذا الحكم الموجود في هذه الضمائر المستترة هو حقيقة الإضمار والإخفاء. ثم حُمل ما ظهر له لفظ من هذا الضرب، متصلا كان أو منفصلا، على هذا القسم في التلقيب فقيل في كله (مضمر) وذلك كالتاء في (قمت) وهذا متصل، وكقولك (أنت) وهذا منفصل. وهذا يشهد بأن المضمرات المتصلات أصول للمنفصلات منها. ولهذا إذا قَدَرتَ على الضمير المتصل لم تأت بالمنفصل إلا في ضرورة شعر»[15].

يظهر من هذا النص أن ابن الخشاب وصل إلى النتائج التالية :

1) تتجلى حقيقة الإضمار والإخفاء في الضمائر المستترة.

2) حُملت الضمائر البارزة المتصلة والمنفصلة في التلقيب بالمضمر على الضمائر المستترة، أي أن الضمائر المستترة هي الأصل والضمائر البارزة بنوعيها فرع.

3) الضمائر المتصلة أصل للضمائر المنفصلة.

وتجدر الاشارة إلى أن هذه النتائج في تحديد الأصل والفرع بالنسبة للمضمر تبقى خارج محور الزمان عند علماء العربية، لأنهم استخدموا المنهج الوصفي الوظيفي وهو عاجز عن وضعهما على محور الزمان. وباستخدامنا للمنهج التاريخي العلمي، نستطيع أن نضع النتائج التي وصل إليها ابن الخشاب عن الأصل والفرع بالنسبة للمضمر على محور الزمان، ونتمكن من إظهار العمق الزمني (التاريخي) الذي يبين نشأة الضمائر في العربية وعلاقتها بالأسماء الظاهرة. وبذا تتضح لنا بداية نشأة الضمائر في العربية، ويتبلور مسار تطورها التاريخي، وتنكشف علاقتها بالأسماء الظاهرة.

6-3 ● انطلاقا من فهم الخصائص البنوية للنظام اللغوي للعربية وذلك بالتركيز على دراسة القواعد الخاصة بالإستثناءات بالنسبة للأسماء في النحو العربي، حددنا الأصل والفرع على محور الزمان بالنسبة للأسماء الظاهرة والضمائر، ثم حددنا الأصل والفرع على محور الزمان بالنسبة للأنواع المختلفة للضمائر.

يؤكد منهجنا التاريخي العلمي أن الأصل الأسبق على محور الزمان بالنسبة لجميع الكلمات (الحروف والأفعال والأسماء) هو عدم تغير أواخر الكلمات أي البناء. ويعني هذا أن المبني من الأسماء

ـ ومنها الأسماء المضمرة ـ هو الأصل الأسبق في الظهور على محور الزمان، ويليه في الظهور المعرب من الأسماء الظاهرة. وفي ضوء ذلك نضع النتائج التي وصل إليها ابن الخشاب عن الأصل والفرع بالنسبة للمضمر على محور الزمان، فتتضح لنا بداية نشأة الضمائر في النظام اللغوي للعربية، ويتبلور مسار تطورها التاريخي، وتتكشف علاقتها بالأسماء الظاهرة. وهكذا تتكون لدينا «صورة تاريخية»، نلخصها بشكل وجيز وفق التعاقب الزمني في العرض التالي :

1) كانت الضمائر المستترة (الخاصة بالفاعل) الأسبق على محور الزمان.
2) ثم تلتها الضمائر البارزة المتصلة (الخاصة بالفاعل).
3) وأعقبتها في الظهور الضمائر المنفصلة.
4) أما الأسماء الظاهرة المعربة (المرفوعة)، فكان ترتيب ظهورها على محور الزمان في الأخير.

إن هذه «الصورة التاريخية» ـ التي حصلنا عليها لدى وضع النتائج التي قررها ابن الخشاب عن الأصل والفرع بالنسبة للمضمر على محور الزمان ـ تتطابق مع النتائج التي وصلنا إليها ولخصناها في الفقرة (2 — 4) وتؤكد صحة نتائجنا.

7-3 ● أشرنا في بداية البحث إلى أن علماء العربية تمكنوا بفضل استخدام المنهج الوصفي الوظيفي من الكشف الصحيح عن الخصائص البنوية المميزة للنظام اللغوي للعربية ووضعوا قواعد النحو والصرف العلمية الدقيقة الملائمة لتلك الخصائص. ثم حاولوا بعد ذلك تقديم تفسيرات لأسباب تمتع العربية بخصائصها البنوية المميزة عن طريق بحثهم المنطقي في (الأصل والفرع) خارج محور الزمان. لذا قرروا أن الأصل في الأسماء هو الإعراب والبناء فرع عليه، أي أن الأسماء الظاهرة المعربة هي الأصل والضمائر فرع. وبذا رسم علماء العربية «صورة منطقية» لنظام الأسماء في العربية تتحدد وفقه العلاقة بين الأسماء الظاهرة (المعربة) والضمائر (المبنية). ونوجز تلك «الصورة المنطقية» في النقاط التالية :

1) الاسم المتمكن الأمكن (المعرب المنصرف) هو الأصل في باب الاسمية.
2) الاسم المتمكن غير الأمكن (المعرب غير المنصرف) هو فرع ويأتي في المرتبة الثانية في باب الاسمية.
3) الاسم غير المتمكن (المبني ومنه الضمائر) هو فرع تالٍ ويأتي في المرتبة الثالثة لأنه فقد تمكنه من باب الاسمية.

وهكذا يظهر أن الاسم المعرب المنصرف يحتل الدرجة الأولى في سلم الصورة المنطقية، ويحتل الاسم المعرب غير المنصرف الدرجة الثانية في السلم المنطقي، ويحتل الاسم المبني (ومنه الضمائر) الدرجة الثالثة في السلم المنطقي.

ولدى موازنة هذه «الصورة المنطقية» ـ التي رسمها علماء العربية للأصل والفرع بالنسبة لنظام الأسماء في العربية ـ بـ «صورتنا التاريخية» التي رسمناها على محور الزمان، يتضح أن «صورتنا التاريخية» قلبت رأسا على عقب اتجاه درجات السلم في «الصورة المنطقية». فأصبح نظام الأسماء في العربية عندنا هو التالي :

1) الاسم المبني (ومنه الضمائر) هو الأصل ويحتل الدرجة الأولى في السلم التاريخي.
2) الاسم المعرب غير المنصرف هو فرع ويحتل الدرجة الثانية في السلم التاريخي.
3) الاسم المعرب المنصرف هو فرع تالٍ ويحتل الدرجة الثالثة في السلم التاريخي.

لذا فإننا ندعو إلى طريقة جديدة في وصف قواعد النحو العربي، في ضوء صورتنا التاريخية للأصل والفرع بالنسبة لنظام الأسماء في العربية.

ثالثا ـ طريقتنا الجديدة في وصف قواعد النحو العربي.

1-4 ● أكدنا في كتابنا «طريقة جديدة في دراسة تصريف الأفعال العربية»[16] أن «الخاصة المميزة لصيغ الفعل العربي (المصرفة في الأمر وفي الإخبار في الزمن غير الماضي وفي الزمن الماضي) ـ والمتمثلة في اشتمالها بالضرورة على ما يفيد المسند إليه هذا الفعل بالذات ـ تعكس التفكير القائم على مفاهيم مشخصة والذي تجلى في النظام اللغوي للعربية بوجود الضمائر المتصلة الخاصة بالمسند إليه الفعل (ضمائر الرفع المتصلة). ونرى أن اكتمال النظام اللغوي للعربية أخذ بعد ذلك المسار التالي : ظهرت أولا الضمائر المتصلة الخاصة بغير المسند إليه الفعل (ضمائر النصب المتصلة بالأفعال وضمائر الجر المتصلة بالحروف والأسماء). ثم ظهرت في مرحلة لاحقة الأسماء الظاهرة المنفصلة (غير المضافة) والضمائر المنفصلة. وعكس هذا المسار لاكتمال النظام اللغوي للعربية الانتقال التدريجي من التعبير عن التفكير القائم على مفاهيم مشخصة جدا إلى التعبير عن التفكير القائم على مفاهيم مجردة»[17].

وسنعمد في كتابنا «طريقة جديدة في دراسة النحو العربي»[18] إلى تفصيل القول في مسار اكتمال نظام الضمائر في العربية عن طريق تحديد مراحل ظهور الأنواع المختلفة للضمائر في العربية، كما سنفصل القول في مسار اكتمال نظام الأسماء الظاهرة في العربية عن طريق تحديد مراحل ظهور الأنواع المختلفة للأسماء الظاهرة في العربية.

2-4 ● ونكتفي في هذا البحث بالتعريف الموجز بطريقتنا الجديدة في وصف قواعد النحو العربي.

اعتمدت الطريقة الجديدة المنهج التاريخي العلمي أساسا حين استرشدت بالخصائص البنوية التي يتمتع بها نظام الأسماء في العربية، لذا ركزت على دراسة الحالات البنوية الخاصة ـ التي فصلت القول فيها قواعد النحو العربي التي وضعها علماء العربية ـ لأنها شواهد على مراحل سابقة أو بدايات لتطور جديد. ومن الحالات البنوية الخاصة الموصوفة في قواعد النحو العربي، على سبيل المثال، الحالات التي تنوب الحروف فيها عن الحركات فتكون علامة الإعراب، وذلك في الأسماء الستة المعتلة المضافة إلى غير ياء المتكلم وفي التثنية والجمع.

وعليه نرى أن الحالات البنوية الخاصة ـ الموصوفة بشكل علمي دقيق في قواعد النحو العربي ـ ترتبط بمراحل مختلفة على محور الزمان، وتبين مسار تطور نظام الأسماء في العربية منذ بداية تشكله ـ حين كانت الكلمات (الأسماء) مبنية ـ حتى اكتماله حين أصبحت الكلمات (الأسماء) معربة. كما نرى أن الضمائر ـ وهي من الأسماء المبنية ـ تشتمل على ما سماه عبد القاهر الجرجاني (إعرابا غير صريح). والإعراب غير الصريح كما عرّفه الجرجاني : «أن تكون الكلمة موضوعة على وجه مخصوص من الإعراب، وذلك في المضمر نحو (أنت) فإنه وضع للرفع (وإياك) للمنصوب»[19].

ولابد من التذكير هنا بما أشرنا إليه أعلاه في الفقرة (2-1) من أننا بعد الكشف عن الأسباب التاريخية لتمتع العربية بخصائصها المميزة، سنعمد إلى وصف قواعد صرف العربية ونحوها ـ في مرحلة ما بعد اكتمال النظام الصرفي والنحوي للعربية ـ باعتماد المنهج الوصفي الوظيفي عن طريق تحديد أنماط بنوية وظيفية للكلم والجمل في العربية. ويعني ذلك أن طريقتنا الجديدة في وصف قواعد النحو العربي لا

تستهدف وضع قواعد جديدة تصف التطور التاريخي لنحو العربية، بل تستهدف طريقتنا إعادة وصف القواعد المقررة في النحو العربي في ضوء كشفنا لأسباب تمتع العربية بخصائصها البنوية المميزة. ويقتضي ذلك منا إعادة وصف النظام اللغوي[20] للعربية وفق التسلسل التالي : ..

1) المستوى الصوتي.
2) المستوى الإفرادي للكلمات.
3) المستوى التركيبي للكلمات.

وقد قمنا بذلك عن طريق تحديد أنماط بنوية وظيفية للكلم والجمل في العربية، بنتيجة دراسة بنوية وظيفية للكلمة والجملة في العربية.

3-4 ● أنجزنا الدراسة البنوية الوظيفية للكلمة والجملة في العربية، في ضوء ما قررناه أعلاه في الفقرة (6-1) من أن الكلمة والجملة نشأتا معا، ثم تميزتا بعضهما عن بعض بنتيجة التطور الصوتي للصيغة اللغوية الإنسانية الأولى التي كانت (كلمة ـ جملة) هي الصيغة العامة للأمر للشخص الثاني وهي الأصل في الاشتقاق في النظام القواعدي (الصرفي والنحوي) للعربية. وتمحور هذا التطور حول تنويع التقطيع الصوتي لمكونات تلك الصيغة ـ الأصل في الاشتقاق.

بنتيجة الدراسة الوصفية التحليلية الشاملة للمادة اللغوية للعربية، قام علماء العربية الأوائل بتوحيد الكلمات في مجموعات كبيرة وصنفوها إلى اسم وفعل وحرف. ولم يتم هذا التقسيم الثلاثي بالاعتماد على معنى الكلمات المفردة فقط، بل تم بالاستناد كذلك إلى وظيفتها في الجملة. ويعني ذلك أن مصطلح (كلمة) في علم العربية يشتمل على جانبين مترابطين بعضهما مع بعض : الجانب الأول ـ الكلمة ذات المعنى الدلالي الخاص والبنية المتميزة، والجانب الثاني ـ الكلمة كجزء في التركيب الإسنادي أي الجملة. وهكذا يظهر أن التقسيم الثلاثي للكلم إلى اسم وفعل وحرف قد عكس خصائص النظام الصرفي والنحوي للعربية في مستوى بنية الكلمة المفردة وفي مستوى بنية الجملة في آن واحد.

تتميز العربية في مستوى بنية الكلمات المفردة بوجود طريقة اندماج (اتصال) الكلمات التي تتجلى في الضمائر المتصلة. والاندماج هو اتصال الكلمات بعضها ببعض في لفظة واحدة توحدها. ويكون لدينا بنتيجة الاندماج تركيب نحوي متحد في وحدة متصلة تبدو في الظاهر وكأنها كلمة واحدة، كما في (ضربته) و(كتابك). ويعني ذلك أن مصطلح (كلمة) في علم العربية يتميز عن مصطلح (كلمة) في علم اللغات الأوربية بأنه قد يفيد أصغر جزء ذي معنى من اللفظة فيقابل حينئذ مصطلح (مورفيم). فصيغة (أكتب) كلمة واحدة تتألف من مورفيمين : الأول ـ (الهمزة)، يفيد معنى المتكلم المفرد إضافة إلى معنى المضارعة، والثاني ـ (كتب)، يفيد معنى الحدث (كتابة). وصيغة (كتبنا) كلمتان : (كتبْ) كلمة و(نا) كلمة أخرى هي ضمير متصل. ونستنتج من ذلك وجود نوعين من الكلمات في العربية : كلمات منفصلة بنويا (صرفيا) مثل (أكتب) وكلمات متصلة بنويا (صرفيا) هي الضمائر المتصلة. ونرى أن وجود الضمائر المتصلة يعني أن الكلمات التي تتصل بها هذه الضمائر هي بالتالي كلمات متصلة. وعليه فإن صيغة الفعل (كتبنا) تتألف من كلمتين متصلتين : (كتبْ) و(نا).

وقد ارتبط بوجود طريقة اندماج الكلمات في العربية أن كلا من الفعل والاسم المعرب المنصرف يتمتع بخصائص بنوية وظيفية مميزة.

4-4 ● أشرنا أعلاه في الفقرة (2 ــ 3) إلى جميع صيغ الفعل العربي المصرفة في الماضي والمضارع والأمر هي من نمط (الكلمة ـ الجملة) لأنها تشتمل على الفعل والفاعل. ويكون المسند إليه (الفاعل) ضميراً بارزاً متصلا بآخر صيغة الفعل أو ضميرا مستكنا (مستترا) في آخر الصيغة. ويستثنى من ذلك الصيغ الأربع الخاصة بالشخص الثالث (المذكر والمؤنث) في الماضي والمضارع حين تستخدم في بداية سياق كلامي وتفيد بالتالي الإسناد إلى الشخص الثالث غير المشار إليه، لأن هذه الصيغ تكون حينئذ فارغة لا تشتمل على ضمير المسند إليه ولا تكون بالتالي من نمط (الكلمة ـ الجملة).

أما الاسم المعرب المنصرف، فانطلاقا من وجود أو عدم وجود الأداة (الألف واللام) في الموضع السابق للاسم ومن وجود أو عدم وجود الأداة (التنوين : النون الساكنة) في الموضع اللاحق للاسم، تميز فيه ثلاث حالات بنوية وظيفية[21] هي التالية :

الحالة الأولى : الاسم محلى بأل وغير منون، نحو (الكتابُ). وتتمثل بالصورة التالية :

Ⓛ/كتاب/∅ .ويكون هذا الاسم من نمط الكلمة المنفصلة صرفيا ودلاليا.

الحالة الثانية : الاسم غير محلى بأل ولكنه منون، نحو (كتابٌ). وتتمثل بالصورة التالية :

∅/كتاب/Ⓝ. ويكون هذا الاسم من نمط الكلمة المنفصلة صرفيا ودلاليا.

الحالة الثالثة : الاسم غير محلى بأل وغير منون، نحو (كتابُ). وتتمثل بالصورة التالية :

∅/كتاب/∅. وتتحقق هذه الحالة في صيغتين للإضافة :

أ) الإضافة إلى ضمير متصل، نحو (كتابك). يكون الاسم المضاف فيها كلمة متصلة صرفيا ودلاليا بالضمير المتصل للجر. ويؤلف الاسم والضمير المتضايفان تركيبا نحويا اندماجيا غير إسنادي.

ب) الإضافة إلى اسم محلى بال أو اسم منون، نحو (كتاب الطالبِ) أو (كتاب طالبٍ). يكون الاسم المضاف فيها كلمة منفصلة صرفيا فقط ولكنها غير منفصلة دلاليا، لذا فإنه يفتقر إلى ذكر اسم ظاهر يليه ويستوجب أن يكون ذلك الاسم المضاف إليه في حالة الجر. ويشكل الاسمان المتضايفان تركيبا نحويا غير اندماجي وغير إسنادي يؤلف وحدة متكاملة دلاليا.

5-4 ● وانعكست الخصائص البنوية الوظيفية للفعل والاسم المعرب المنصرف في العربية في بنية الجملة العربية المؤلفة من كلمتين منفصلتين صرفيا بعضهما عن بعض. لذا يميز في الجملة المؤلفة من كلمتين منفصلتين صرفيا نمطان مختلفان من حيث البنية، هما :

الأول ـ جملة الفعل والفاعل (الجملة الفاعلية). تتألف بنيتها من كلمتين منفصلتين صرفيا وغير منفصلتين دلاليا بعضهما عن بعض، هما : الفعل في صيغة فارغة وفاعله الاسم الظاهر المرفوع الذي يليه. ويتجلى عدم انفصالهما دلاليا في عدم مطابقة المسند (الفعل) مع المسند إليه (الفاعل) في الإفراد والتثنية والجمع، نحو : جاءOالولدُ / الولدان / الأولادُ.

الثاني ـ جملة المبتدأ والخبر (الجملة المبتدئية). تتألف بنيتها من كلمتين منفصلتين صرفيا ودلاليا بعضهما عن بعض، ويربط بينهما الإسناد الذهني الذي يتجلى في ضرورة مطابقة الاسم المسند (الخبر) مع الاسم المسند إليه (المبتدأ) في الإفراد والتثنية والجمع وكذلك في التأنيث والتذكير من ناحية، ويتجلى من ناحية ثانية في ضرورة عدم تطابق الاسمين في الأداة (ال أو التنوين)، نحو :

البيتُ كبير	الغرفة صغيرة
البيتان كبيران	الغرفتان صغيرتان
الطلاب مجتهدون	الطالبات مجتهدات

6-4 ● نكتفي بما عرضناه من أنماط الكلم في العربية[22]، ونخلص من ذلك العرض إلى أن النظام القواعدي (الصرفي والنحوي) للعربية يشتمل على أربعة أنماط بنوية وظيفية من الكلمات هي التالية :

1) الكلمة ـ الجملة.
2) الكلمة غير المنفصلة (المتصلة) صرفيا (بنويا) وغير المنفصلة دلاليا (وظيفيا).
3) الكلمة المنفصلة صرفيا وغير المنفصلة دلاليا.
4) الكلمة المنفصلة صرفيا والمنفصلة دلاليا.

أما بالنسبة للأنماط البنوية الوظيفية للجمل في العربية، فإن النظام النحوي للعربية يشتمل على ثمانية أنماط من الجمل[23] تغطي جميع أنواع الجمـل في النحو العربي. واكتفينا في هذا البحث بعرض نمطي الجملة العربية المؤلفة من كلمتين منفصلتين صرفيا بعضهما عن بعض. وسنفصل القول في الأنماط البنوية الوظيفية للكلم والجمل في العربية في الكتاب الذي سنصدره قريبا إن شاء الله وعنوانه «طريقة جديدة في دراسة النحو العربي».

* * *

الهوامش

(1) نشر القسم الأول وعنوانه (تصريف الأفعال) في العدد 32 من مجلة " اللسان العربي".

(2) للتوسع في الموضوع، ارجع إلى بحثنا (اللسان العربي يحكي قصة نشأة الإنسان واللسان) المنشور في (اللسان العربي) العدد 33.

(3) وذلك في بحثنا بعنوان " نظرية جديدة في دراسة بنية اللسان العربي" المنشور في كتاب " أشغال الملتقى الرابع للسانيات (اللسانيات العربية والإعلامية) . تونس 9-12 نوفمبر 1987 " - إصدار الجامعة التونسية/ مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، سلسلة اللسانيات(7) ، تونس 1989.

(4) وعنوانه " نظرية جديدة في دراسة بنية اللسان العربي - القسم الأول- تصريف الأفعال " المشار إليه أعلاه.

(5) وهو الكتاب الأول الذي أصدرناه في سلسلة (طريقة صوتية في وصف قواعد صرف العربية ونحوها)-دمشق-الأهالي-1991.

(6) نشير إلى الصيغة الفارغة للفعل بعلامة الصفر (0). (7) « المرتجل » لابن الخشاب- تحقيق علي حيدر- منشورات دار الحكمة بدمشق ، 1972 ص 35.

(8) « الجمل » لعبد القاهر الجرجاني - تحقيق علي حيدر - منشورات دار الحكمة بدمشق - 1972 ص 8-10. (9) « المرتجل » لابن الخشاب ، ص8-9.

(10) للتوسع في الموضوع، ارجع إلى كتابنا « أسرار اللسان العربي » دار الأهالي- دمشق- ط1، 1990،فقرة (الخصائص البنوية للاسم العربي)ص 787-790.

(11) « الجمل » للجرجاني، ص31. (12) « المرتجل » لابن الخشاب ، ص277-278. (13) « المرتجل » ص 278. (14) «المرتجل » ص 280.

(15) «المرتجل » ص280-281 (16) ارجع إلى بحثنا في الهامش (2). (17) ص.33 (اللسان العربي)، عدد 33.

(18) وهو الكتاب الثاني من سلسلة (طريقة صوتية في وصف قواعد صرف العربية ونحوها) الذي سنصدره قريبا إن شاء الله.

(19) «الجمل » المشار إليه أعلاه، ص38.

(20) حول مفهومنا للنظام اللغوي، ارجع إلى بحثنا « البنوية الوظيفية في النقد الأدبي» المنشور في مجلة « الموقف الأدبي » بدمشق - العدد (257-258)1992.

(21) نشير إلى فراغ الموضع أي خلوه من الأداة بالرمز∅ ، ونشير إلى الأداة (ال) بالرمز (ال) وإلى التنوين بالرمز (ن) .

(22) استعرضنا الأنماط البنوية الوظيفية للكلم في العربية بدءاً من الأفعال فالحروف فالأسماء - متابعين في ذلك الإمام عبد القاهر الجرجاني لدى دراسته (البنوية الوظيفية) للعوامل في كتابه « الجمل »- وذلك في بحثنا « استجابة اللغة العربية لتحولات العصر/ دراسة لسانية » المنشور في مجلة " الموقف الأدبي" بدمشق - العدد 180 لعام 1986. (23) حول الأنماط البنوية الوظيفية للجمل، ارجع إلى بحثنا « استجابة اللغة العربية لتحولات العصر» المشار إليه أعلاه.

أبحاث ودراسات في التعريب والترجمة والمصطلح

==========================

العلاقة بين علم المصطلح ونظرية الترجمة*

بقلم: الدكتور علي القاسمي

مدير الثقافة والاتصال

المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة

100– المقدمة

تتشابك العلاقة بين علم المصطلح ونظرية الترجمة كما تتشابك أغصان شجرة المعرفة الباسقة المتنامية. ومما يزيد في هذا التشابك كثافة وتعقيدا أن كلا العلمين يستخدم اللغة هدفا ومضمونا ووسيلة. فالتاريخ والجغرافية، مثلا، يستخدمان اللغة وسيلة فقط، أما مضموناهما فهما مختلفان من حيث الأساس إذ تتكون مادة التاريخ الرئيسة من الزمان وأحداثه في حين تتشكل مادة الجغرافية من المكان وفضاءاته، كما أنه يمكن التفريق بين هدفيهما بسهولة، ولكن في حالة علم المصطلح والترجمة نجد أن هدفهما لغوي(وضع مادة لغوية جديدة)، ومضمونهما لغوي (المادة اللغوية) ووسيلتهما لغوية(استخدام اللغة في التعبير عن المضمون وليست الإشارات الضوئية مثلا). وهذا يؤدي إلى كثير من التشابه والتشابك بينهما مما يساعد على إشاعة مجموعة من الأوهام حولهما في أذهان كثير من غير المختصين.

ومما زاد في الطين بلة، أن علم المصطلح علم جديد النشأة شهد القرن العشرين مولده، على الرغم من أن توليد المصطلحات ذاتها بدأ منذ أن شرع الإنسان باستعمال اللغة أداة تواصل. ولقرون عديدة خلت كان المترجمون هم الذين يتولون وضع مقابلات للمصطلحات الأجنبية التي يأتون عليها أثناء عملهم في ترجمة الكتب، فشاع بين الناس أن المصطلحات يولدها المترجمون حتى بعد أن استقل علم المصطلح بذاته ونأى بنفسه عن الترجمة وصار نشاطا مختلفا يزاوله مصطلحيون لهم إعداد وتكوين وخبرات تختلف عن تلك التي يتوفر عليها المترجمون. ويزداد الأمر غموضا وارتباكا في أذهان المتعلمين في بلادنا العربية إذ يظنون أن المصطلحات العربية هي مجرد ترجمة أو تعريب للمصطلحات الأجنبية. ومما يؤكد ظنهم هذا أن البلاد العربية لا تنتج المصطلحات وإنما تستوردها. فإذا قيل لهم إن نقل المصطلحات الأجنبية إلى العربية لا يعتمد ،أو لا ينبغي له أن يعتمد، على الترجمة زدناهم التباسا وحيرة، ولسان حالهم يقول مع ابن زيدون:

أنا حيران وفي الأمر وضوح والتباس

وإنصافا لهؤلاء المتعلمين الذين يلتبس عليهم الأمر ويختلط في أذهانهم علم المصطلح بنظرية الترجمة، نشير

---

*ندوة الترجمة والتعريب في الآداب والعلوم الإنسانية: الواقع والآفاق- أكادير7-9أبريل 1995.

إلى حقيقة أن علم المصطلح لم يصبح علما مستقلا إلا في السبعينات من القرن العشرين، على الرغم من أن البحث فيه كان قد نشط منذ أوائل هذا القرن. ولكنه طوال تلك الفترة كان ينظر إليه على أنه من مباحث اللسانيات أو علم اللغة، فتارة كان يعد فرعا من فروع المعجمية لأنه يهدف إلى وضع معاجم متخصصة وتارة أخرى كان يعد مبحثا من مباحث علم الدلالة لأنه ينصب على فحص إشكالات المعنى، وتارة ثالثة يعد متفرعا من نظرية الترجمة بسبب توسع التواصل الدولي واحتكاك اللغات بعضها ببعض في مجال المصطلحات وتبادلها أو اقتراضها(1).

وسنعرض في هذا الورقة نقاط التشابه والتباين بين علم المصطلح ونظرية الترجمة، ونحدد في ضوئها ما يحتاجه المترجم من معرفة بقضايا علم المصطلح ليتمكن من أداء رسالته على الوجه الأكمل.

200- ميدان علم المصطلح

يعرف علم المصطلح عادة بأنه " العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبر عنها"(2)،ومن هذا التعريف يتضح لنا أن لعلم المصطلح ميدانين رئيسين: أولهما، المفاهيم العلمية، وثانيهما، المصطلحات اللغوية. ولكي يتم ضبط المصطلحات اللغوية لا بد من تحديد منظومة المفاهيم العلمية التي تمثلها تلك المصطلحات.

وللاضطلاع بتلك المهمة، يقوم المصطلحي أولا بتقطيع الواقع أي بتقسيم الأشياء والظواهر في الوجود وتصنيفها، وهو تقسيم يتباين من حضارة لأخرى، ولهذه الأشياء والظواهر سواء أكانت محسوسة ــ أم مجردة ــ تمثيلات ذهنية يطلق عليها اسم المفاهيم. وعند معرفة محتوى كل مفهوم ــ أي معرفة السمات الدلالية له ــ وتعيين الميدان الذي ينتمي إليه، يمكننا ضبط موقعه في المنظومة المفهومية وتحديد العلاقات التي تربطه مع المفاهيم المجاورة له التي تشترك معه في بعض السمات الدلالية،وتحديد هذه السمات يتطلب معرفة بالعلم الذي تنتمي إليه تلك المفاهيم وإدراك العلائق المنطقية والوجودية القائمة بينها.

ودراسة المفاهيم - بهذا الشكل- تنتمي إلى علمي الوجود والمنطق والعلوم المتخصصة وتشكل الأساس في وضع المصطلحات.

ويتمثل الميدان الثاني من ميادين علم المصطلح في دراسة المصطلحات اللغوية والعلاقات القائمة بينها، ووسائل وضعها وتوليدها، وكيفية دمجها في بنية العلم الذي تنتمي إليه. وهذا النوع من الدراسة في صلب علم المفردات وعلم تطور دلالات الألفاظ، وهما من مجالات علم اللغة أو اللسانيات.

وأخيرا فإن علم المصطلح يهتم كذلك بتوثيق المصطلحات لتيسير استعمالها سواء أكان هذا التوثيق آليا (بالحاسوب) أم كتابيا (بالمعاجم المتخصصة).

وهكذا يمكن القول إن علم المصطلح علم مشترك بين علوم المنطق والوجود واللغة والمعلوميات والمعرفة والموضوعات المتخصصة.

وهناك من يميز بين نشاطين من أنشطة العمل المصطلحي: علم المصطلح(Terminologie) الذي يتناول الجانب النظري بدفتيه النظرية العامة والنظرية الخاصة (3) والمصطلحية (Terminographie) الذي يختص في كيفية

توثيق المصطلحات وإعدادها للنشر في معاجم متخصصة. والراجح أن المعجمي والمصطلحي الفرنسي ألان راي(Alain Rey) هو في مقدمة الذين أشاروا إلى هذا الفرق وأكدوه(4). وكان اللسانيون الأمريكيون قد سبقوا إلى تبيان الفرق بين علم الألفاظ(Lexicology) الذي يختص في دراسة المفردات من جميع الجوانب الصوتية والصرفية والدلالية والأسلوبية وبين المعجمية - أو صناعة المعجم-(Lexicography) التي تتعلق بجميع البيانات واختيار المداخل وكتابة المواد، ونشر الناتج النهائي في شكل معجم(5)،ولكن هذين التمييزين لا وجود لهما في الواقع العلمي فالمصطلحي الذي يضطلع بإعداد مصطلحات مولدة أو موحدة للنشر لا بد أن يكون متمكنا من نظريات علم المصطلح. وكذلك المعجمي الذي يتولى تصنيف معجم من المعاجم ينبغي له أن يكون متمكنا من دراسة المفردات التي يشتمل عليها معجمه، اللهم إلا إذا كان من يعمل على إعداد المعجم المتخصص أو العام مجرد مساعد يعنى بمعالجة الملفات والجذاذات يدوية كانت أم آلية دون أن يتدخل في اختيار مداخل المعجم وكتابة مواده.

وإذا كان هذا التفريق ضروريا فنفضل أن يبقى " علم المصطلح" اسما شاملا لنوعين من النشاط (الاصطلاحية) التي تعنى بالاصطلاح أو إطلاق اللفظ على المفهوم، و(المصطلحية) التي تعنى بمعالجة المصطلحات الجاهزة وإخراجها. ويشتق منهما كلمتا (الاصطلاحي) و(المصطلحي) لمن يقوم بالنشاطين المختلفين.

وينبغي أن نشير هنا إلى أن المتخصص في علم المصطلحات -بصورة عامة- لا يستطيع وضع المصطلحات أو توحيدها بمفرده، وإنما توصي المؤسسات المعنية بإسناد هذه المهمة إلى لجنة مكونة من اصطلاحيين ولسانيين ومتخصصين في الميدان العلمي الذي تتعلق به المصطلحات ومن مستهلكي تلك المصطلحات، لكي نضمن دقة المصطلحات من الناحية العلمية وقبولها من قبل الأوساط التي ستستعملها.

ويضطلع المصطلحي - إضافة إلى قيامه بوضع المصطلحات الجديدة- بتوحيد المصطلحات ، أي بتفادي ازدواجية المصطلح في اللغة الواحدة عن طريق القيام بدراسة مقارنة للمنظومة المفهومية والحقل المصطلحي لكي يقتصر التعبير عن المفهوم الواحد بمصطلح واحد. والتعبير بمصطلح واحد عن المفهوم الواحد في الحقل العلمي الواحد. ويتم ذلك بالتخلص من الترادف والاشتراك اللفظي معا (6).

وفي جميع الحالات، فإن المصطلحي يستعين بوسائل لغوية محددة لوضع المصطلحات الجديدة أو توحيد المصطلحات القائمة. وهذه الوسائل اللغوية تشترك فيها جميع اللغات على الرغم من تفاوتها في ترتيب أهمية هذه الوسائل أو شيوعها فيها. وبالعربية ترد وسائل توليد المصطلحات على الترتيب التالي: الاشتقاق، والمجاز، والتراث، والتعريب، والنحت(7).

300- نظريات الترجمة

310- هل الترجمة فن أم علم؟

منذ أن بدأ الاحتكاك بين الجماعات البشرية المنظمة، والترجمة ، شفهية أم تحريرية، تقوم بدورها بوصفها أداة للتواصل الإنساني. ولعل أقدم أجهزة

الترجمة التحريرية المؤطرة بمترجمين متخصصين مزودين بمعاجم ثنائية اللغة وجدت في الامبراطورية البابلية في العراق قبل أكثر من ثلاثة آلاف عام(8). ومنذ ذلك الحين والترجمة تعد فنا يعتمد على حذق المترجم وتمكنه من اللغتين الناقلة والمنقول منها واطلاعه على ثقافتيهما ومعرفته بموضوع النص المترجم.

وفي حوالي منتصف القرن العشرين الميلادي أخذت المحاولات تتوالى لإخضاع الترجمة لمنهجية علمية ووضع نظريات خاصة بالترجمة. وقد شجع على ذلك ثلاثة تطورات: أولها، التطور الذي أصاب علم اللغة بشكل عام ونظريات الدلالة بشكل خاص، وثانيهما، ظهور نظرية الاتصال على يد باحثين من أبرزهم جارلس مورس (9) وجورج ميلر (10) وثالثها، الشروع في استخدام الحاسوب في إجراء الترجمات الآلية وما يتطلب ذلك من منهجية وتنسيق وضبط.

وعلى الرغم من ظهور عدد من نظريات الترجمة في الشرق والغرب، فإنه ما زال كثيرون يجادلون في أن الترجمة المنهجية أمر مستحيل ولهم في ذلك حججهم يقابلهم آخرون ممن يعتقدون بإمكان الترجمة وعدم استحالتها. فالفريق الأول يؤكد الفروق البنيوية بين اللغات وعدم وجود مطابقة بينها في النواحي الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والأسلوبية ولهذا يستحيل نقل النصوص من لغة إلى أخرى، في حين يذهب الفريق الثاني إلى أن البشر جنس واحد وخبراتهم متشابهة يمكن التعبير عنها باللغات المختلفة(11).

320–نظريات الترجمة بين علم اللغة وعلم الاتصال

إن الأغلبية الساحقة من الذين نظّروا للترجمة هم من اللسانيين، وعدوها فرعا من فروع علم اللغة التطبيقي. ولما كان لعلم اللغة نظريات متعددة في تحليل ظاهرة اللغة ووصفها، فقد تعددت تبعا لذلك نظريات الترجمة (12)، ولكن هذه النظريات على تنوعها واختلافها استندت إلى مبحثين هامين. الأول نظرية الاتصال والثاني مبحث الدلالة في علم اللغة.

تتفق نظريات الترجمة على أن الاتصال اللغوي -بما فيه الترجمة- لا تقتصر عناصره المؤثرة على المرسل والمتلقي والرسالة فحسب، وإنما تشتمل كذلك على السياق، والوسط الذي تنتقل فيه الرسالة، والضوضاء، أو المؤثرات الخارجية التي ينتج عنها استحالة بلوغ الرسالة إلى المتلقي أو وصولها إليه بصورة مشوهة أو مختلفة. وهكذا بحثت نظريات الترجمة في السياق الثقافي والاجتماعي الذي تصاغ فيه الرسالة، ومدى تأثر الترجمة من جراء توافق أو تباين اللغتين الناقلة والمنقول منها من حيث بنياتهما الصرفية والنحوية والدلالية والأسلوبية. وما ينجم عن ذلك من ضرورة إحاطة المترجم بالوسط الثقافي والاجتماعي للغتين ليتمكن من سد الثغرات الموجودة في اللغة الناقلة عند الضرورة.

وفي مبحث الدلالة تطرقت نظريات الترجمة إلى طبيعة المعنى بتحليل العلاقة بين الشيء والمفهوم والكلمة أو بين الدال والمدلول والدليل طبقا لمثلث أوكدن وريتشاردز(13) وأكدت أن العلاقة بين الشيء واسمه علاقة اعتباطية غير ثابتة. وحتى لو تمكنا من تحديد معاني الكلمات وحصرها في معجم فإن ذلك لا يخدم المترجم كثيرا لأن الترجمة تعنى من حيث الأساس بنقل معنى النص– وليس معاني الكلمات المفردة– من لغة إلى

أخرى. والنص لا يتشكل من قائمة مفردات فحسب وإنما من بنيات نحوية ودلالية وأسلوبية تنتظم فيها تلك المفردات. ولهذا فإن معنى النص لا يساوي بطريقة حسابية مجموع معاني المفردات المكونة له. وعلاوة على ذلك فإن للكلمة الواحدة عدة معان طبقا للسياق الذي ترد فيه. وقلما نجد كلمة تقتصر على معنى واحد على مر العصور نتيجة لظواهر لغوية عديدة مثل (التغير الدلالي) و (التوسع الدلالي) و(المجاز) وغيرها. إضافة إلى ذلك فإن لكل كلمة إيحات وظلالا هامشية ترتبط بثقافة المرسل والمتلقي وخبراتهما العاطفية والاجتماعية.

ومن ناحية أخرى فإن الثقافات المختلفة لا تتفق في تقطيع الواقع أو وصف الكون، ولما كانت "اللغة هي التي تنقل كل مظاهر الحضارة الفكرية منها والمادية والإنسانية والحيوانية" كما يقول عبد الكريم غلاب (14)، فإن اللغات لا تتفق في دلالات مفرداتها وتراكيبها أو عدد تلك المفردات والتراكيب. ومن هنا فقد لا تجد لكلمة ما أو تركيب ما في إحدى اللغات مقابلا كاملا أو جزئيا في لغة ثانية(15)،ويزداد الطين بلة إذا كان الأمر يتعلق بترجمة نص شعري إذ لا يقتصر الأمر آنذاك على نقل الدلالات الحقيقية والهامشية والإيحائية للكلمات فحسب أو على مضاهاة الأبنية الصرفية والنحوية والأسلوبية فقط بل يتعلق الأمر كذلك بصعوبة مجاراة المكونات الصوتية كالنبر والإيقاع والنغمة للمحافظة على الوزن الأصلي،، ناهيك عن القافية وتأثيراتها الصوتية والنفسية(16).

ولهذه الأسباب وغيرها قد يضطر المترجم إلى سد بعض الثغرات اللغوية أو الأسلوبية أو الثقافية لإبلاغ فحوى النص المترجم إلى المتلقي على أفضل وجه. وأدت الطرائق المختلفة التي ينتهجها المترجمون إلى ظهور أنواع ومستويات متعددة في الترجمة ولهذا فإن جميع نظريات الترجمة المعاصرة تتطرق إلى تصنيف نوعي لهذه المستويات مثل الترجمة المباشرة والترجمة غير المباشرة والترجمة الكلية والترجمة الجزئية والترجمة الشاملة والترجمة المحددة والترجمة الحرفية والترجمة المعنوية، والترجمة والنقل(يفرق بعضهم بين المصطلحين في أن الأول يتناول الترجمة من اللغة(أ) إلى اللغة(ب) في حين يعني الثاني الترجمة من اللغة (أ) إلى اللغة(جـ) عبر اللغة(ب)) (17).

400- المعنى بين المصطلحي والمترجم

من الواضح أن كلا من المترجم الذي ينقل نصا من اللغة(أ) إلى اللغة (ب)، والمصطلحي الذي ينقل مصطلحات من اللغة(أ) إلى اللغة(ب) يُعنى بنقل معنى تلك المادة، فكلاهما يسعى إلى الهدف ذاته أي فهم المعنى المقصود ونقله بدقة وأمانة. وهذا يتطلب منهما تمكنا من اللغتين ودراية معمقة ببنياتهما الصرفية وتراكيبهما النحوية وأساليبهما وثقافتيهما. ولهذا يبدو لأول وهلة أن المصطلحي والمترجم يقومان بالوظيفة ذاتها ولا بد أنهما يحتاجان إلى ذات الإعداد ونفس التكوين. ولكننا إذا أنعمنا النظر في الأمر ألفينا فروقا لا يمكن إغفالها.

فالمصطلحي لا يعني بنقل المصطلحات من لغة إلى أخرى فقط، فهذه إحدى وظائف المصطلحي، وله وظيفتان أخريان- كما أسلفنا- الأولى توليد المصطلحات باللغة ذاتها من دون الانطلاق من لغة ثانية وإنما انطلاقا من المفهوم المطلوب التعبير عنه بمصطلح

لغوي، والوظيفة الثانية توحيد المصطلحات القائمة في اللغة بحيث يعبر المصطلح الواحد عن مفهوم واحد ويعبر عن المفهوم الواحد بمصطلح واحد. وفي كلتا الحالتين لا يتعامل المصطلحي مع لغتين وإنما مع لغة واحدة.

ومن ناحية أخرى، فإن المترجم يتعامل دائما تقريبا مع نص كامل يرغب في نقله من لغة إلى أخرى، في حين أن المصطلحي لا يتعامل في العادة إلاّ مع مصطلح واحد بسيطا كان أم مركبا، ولا يعالج نصا كاملا إلا إذا كان يقوم بدراسة طبيعة لغة علم من العلوم من حيث بنياتها وأساليبها.

ومن ناحية ثالثة، فإنه على الرغم من أن كلا من المصطلحي والمترجم يعنى بالمعنى ويسعى إلى استيعابه ونقله، فإنه يبحث عن معنيين مختلفين. فالمصطلحي يبحث عن معنى(الشيء) أو (المفهوم) الذي يمثله اللفظ المراد ترجمته، في حين يبحث المترجم عن معنى (التسمية) التي يسمى بها ذلك الشيء أو المفهوم. وهكذا فإن المصطلحي مضطر إلى التعرف على ماهية (الشيء) وتحديد عناصره الرئيسة والوقوف على جنسه وفصله ليتمكن من إلحاقه بمنظومة المفاهيم التي ينتمي إليها.غير أن المترجم لا تعنيه تلك الأبحاث المنطقية والوجودية بقدر ما يعنيه معرفة معنى الكلمة في السياق الذي استعملت فيه ومن ثم معرفة المعنى الكلي للعبارة والفقرة اللتين يقوم بترجمتهما(18).

500– متى يصبح المصطلحي مترجما؟

في الوضع المثالي يضطلع العلماء والمخترعون والفنانون بوضع المصطلحات المناسبة لاكتشافاتهم ومخترعاتهم ومبتكراتهم،محسوسة كانت أو مجردة، لأنهم يدركون ماهيتها وسماتها المميزة. وقد تم وضع المصطلحات تلك إما بإحاطة أولئك العلماء بأصول علم المصطلح، أو باستعانتهم بمصطلحيين متخصصين أو بصورة اعتباطية يتحكم فيها حسهم اللغوي وثقافتهم العامة وذوقهم الفني.

ويحصل هذا الوضع المثالي في الأمم المنتجة علميا وتقنيا وفنيا. أما في البلاد المستهلكة والمتلقية للمخترعات الحضارية والتقنية، فإن الحالة مختلفة تماما من الناحية العملية . فالعلماء والمصطلحيون يصلهم المصطلح الجديد في غالب الأحيان بلغة أجنبية مع تعريف له أو شروح تتعلق به. ولكي يتوصلوا إلى تكوين مفهوم واضح لما يمثله هذا المصطلح عليهم أن يفهموا تلك التعاريف والشروح. وبذلك يقومون بترجمته–شعروا بذلك أم لم يشعروا –من تلك اللغة الأجنبية إلى لغة الأم. وهم لذلك بحاجة إلى الإحاطة بتقنيات الترجمة الأساسية ابتداء من التحليل البنيوي للنص الأجنبي وانتهاء بالصياغة السليمة للنص الوطني.

600– متى يصبح المترجم مصطلحيا؟

من الناحية النظرية، ليس من مهمات المترجم أن يولد المصطلحات بل يستخدمها في المادة التي يترجمها ويحرص على استخدام المصطلحات المعيارية الموحدة، ويستقي تلك المصطلحات من مظانها ومعاجمها المتخصصة إن لم يكن ملما بها. غير أن المترجم والترجمان (الأول يقوم بالترجمة التحريرية والثاني بالترجمة الفورية) يواجهان في أحايين كثيرة مواقف تتطلب منهما القيام بدور المذصطلحي الذي يضع أو يولّد مصطلحا جديدا.

ففي حالة المترجم قد لا يعثر في المعاجم العامة

والمتخصصة الثنائية اللغة المتوفرة لديه على مصطلح ما، ويجد نفسه مضطرا لصياغة مصطلح مقابل في اللغة التي ينقل إليها، يساعده في ذلك إدراكه لمفهوم ذلك المصطلح من سياق النص الأصلي، أو اطلاعه على المفهوم من جراء دراسة تعريفات المصطلح في المعجمات المتخصصة الأحادية اللغة.

وفي حالة الترجمان، تكون الحالة أكثر تعقيدا وصعوبة، فهو لا يجد الوقت مطلقا للرجوع إلى المعاجم لمعرفة المقابل الدقيق للمصطلح الذي يواجهه، وإنما عليه أن يعتمد على سرعة بديهته وتمكنه من اللغتين لإيجاد مقابل يساعد المستمعين على فهم الخطاب المترجم.

700–تدريس علم المصطلح ونظرية الترجمة في المعاهد المتخصصة

أصبح علم المصطلح يُدرّس في الجامعات بوصفه علما مستقلا يمنح دارسوه الشهادات الجامعية على اختلاف درجاتها، كما أُنشئت معاهد متخصصة لتدريب المترجمين وتأهيلهم. ومن ناحية أخرى فإن علم المصطلح والترجمة يدرسان بوصفهما مادتين مساعدتين في كثير من الأقسام والشعب الجامعية. ونرمي هنا إلى تأكيد نقطتين: أولهما إن المصطلحيين بحاجة إلى دراسة نظريات الترجمة وتقنياتها التطبيقية، والثانية، أنه ينبغي على معاهد الترجمة تضمين دروس كافية في علم المصطلح والمعجمية في مناهجها، لا ليعرف المترجم قواعد توليد المصطلحات وتوحيدها فحسب، وإنما لكي يعرف كذلك خصائص المعاجم العامة والمتخصصة واختيار المعاجم الملائمة لعمله في ضوء خصائص كل معجم وبنيته.

الخلاصة

وخلاصة القول إن علم المصطلح ونظرية الترجمة علمان مستقلان ولهما ميدانان مختلفان مع وجود بعض التداخل بينهما. وعلى الرغم من أن تكوين المصطلحي وتدريبه يختلف عن تأهيل المترجم وإعداده فإن المصطلحي يحتاج إلى الإلمام بنظرية الترجمة وأصولها كما أن المترجم بحاجة إلى معرفة بقواعد علم المصطلح وطرائقه.

الهوامش

(1)-عثمان بنطالب " علم المصطلح بين المعجمية وعلم الدلالة" في **وقائع الندوة الدولية الأولى لجمعية اللسانيات بالمغرب**، إعداد عبد القادر الفاسي الفهري وآخرون (الرباط: منشورات عكاظ).

(2)-توصية المنظمة العالمية للتقييس بجنيف رقم 1087 المعدلة من قبل اللجنة الكندية الاستشارية من خبراء دائرة اللغة الفرنسية بكندا، المثبتة في كتاب علي القاسمي ، **مقدمة في علم المصطلح** (بغداد: الموسوعة الصغيرة 1985).

(3)-انظر مقالنا " النظرية العامة والنظرية الخاصة في علم المصطلح" ،**مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس**، عدد خاص 4، (1988) ص 15-19.

(4)- Alain Rey, **La Terminologie: Noms et Nations** (Paris: Puf, 1979).

(5)- Ali M. Al-Kasimi ,**Linguistics and Bilingual Dictionaries.**

(6)- مصطفى الشهابي، **المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث**(دمشق: المجمع العلمي العربي، 1965).

(7)- ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي ، في **مجلة اللسان العربي**، مجلد 18 جزء 1 (1980) ص 175-178.

(8)- John Hay Wood, **Arabic Lexicographie** (Leiden: E.J. Brill, 1960) P.5.

(9)- Charles Morris, Signs, **Language and Behaviour** (New York Prentice-Hall,1906).

(10)- George Miller, **Language and communication**(New York: Mc Graw- Hill, 1951).

(11)- محمد عجينة، " نظريات الترجمة " في **الترجمة ونظرياتها** (تونس: بيت الحكمة، 1989) ص 253-287.

(12)- من هذه النظريات ما ورد في عدد من المؤلفات الغربية التي ترجمت إلى العربية مثل:

- يوجين نيدا ، **نحو علم للترجمة**، ترجمة ماجد النجار (بغداد: وزارة الإعلام، 1976).
- جي سي. كاتفورد، **نظرية لغوية للترجمة** ، ترجمة عبد الباقي الصافي (البصرة: جامعة البصرة 1983).
- بيتر نيومارك، **اتجاهات الترجمة** ، ترجمة محمود إسماعيل صيني (الرياض: دار المريخ 1986).

(13)- Ogden, C.K. and I.A. Richards, **The Meaning of Meaning** (London,1923).

(14)- عبد الكريم غلاب، **من اللغة إلى الفكر** (الرباط 1993) ص 145.

(15)- علي القاسمي ، **علم اللغة وصناعة المعجم** (الرياض: جامعة الرياض، 1975) ص 2، 1991.

(16)- انظر مثلا:

- محمد عبد الغني حسن، **فن الترجمة في الأدب العربي** (القاهرة 1966).
- صفاء خلوصي، **فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة** (بغداد: وزارة الثقافة والإعلام ، 1982).

(17)- رشيد الجميلي، **حركة الترجمة والنقل في العصر العباسي**(قاريونس: جامعة قاريونس 1986).

(18)- عبد العلي الودغيري، **قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي** (الرباط: عكاظ، 1989) ص 288-290.

بيت الحكمة مهد العصر الذهبي للترجمة*

الأستاذ أحمد الشاوني بنعبد الله

باحث بمعهد الدراسات والأبحاث للتعريب /الرباط

تقديم

قلما تناول كاتب، أو مؤلف، الحديث عن حركة الترجمة والنقل عند المسلمين في القرون الأولى للدولة الإسلامية وتطرق إلى النهضة العلمية عند العرب، أو أشاد بالحضارة الرفيعة التي بلغها المسلمون في العصر الذهبي، و لم يذكر بيت الحكمة، أو دار الحكمة كما يسميها البعض، وما كان له من أهمية بالغة في تنشيط حركة الترجمة وتوطين العلوم اليونانية والفارسية والهندية وغيرها في المملكة الإسلامية، وما قام به من إتاحة الفرصة للعرب والمسلمين كي ينهلوا من العلوم الأجنبية التي أنتجها الفكر البشري والعبقرية الإنسانية إلى ذلك الحين.

وقد يذكر هؤلاء المؤلفون والكتّاب، بكثير من الفخر والاعتزاز، استعداد العرب والمسلمين آنذاك للمساهمة في إعلاء شأن العلوم والحضارة التي تلقوها عن طريق الترجمة، وقيامهم بالدراسة وبعرض المعارف التي توصلوا إليها على محك البرهنة والتجريب من أجل استخلاص ما كان صالحا منها لتنميته وتعميقه والإبداع فيه. لقد استطاع العرب أن يستثمروا التراث الذي تسلموه من الشعوب العريقة في الثقافة والحضارة، وأن يسلموه إلى الشعوب الأوربية عن طريق الاتصال والترجمة من العربية إلى اللاتينية التي نشطت فيما بعد، ابتداء من القرن الثاني عشر الميلادي، في مدينة طليطلة الأندلسية، وفي غيرها من البلاد الإسلامية.

إن العرب يحنون اليوم إلى قيام مؤسسة شبيهة ببيت الحكمة لتنشط من جديد حركة ترجمة العلوم والتقنيات الحديثة إلى اللغة العربية،وتدفع بهم قدما في مجال الدراسة والبحث ومسايرة الركب الحضاري السائر بسرعة الصواريخ والاتصالات السلكية واللاسلكية.

ولكن ماذا نعرف عن بيت الحكمة،أو دار الحكمة، هذا؟ بقدر ما يكثر الحديث عند القدماء والمحدثين، في التآليف العربية والأجنبية، عن بيت الحكمة وعن الدور الهائل الذي قام به في تنشيط الترجمة العربية وفي نشر العلوم والمعارف الأجنبية، بقدر ما يبرز اختلافهم في موضوع إنشائه، وفي اسم الخليفة الذي قام بتأسيسه،والمكان الذي كان يوجد فيه،وفي نظامه، بل وحتى في هيكلته وتسميته(1).

1- بيت الحكمة نشأته وتطوره:

بالرجوع إلى مختلف الأقوال والشهادات التي وردت في شأن بيت الحكمة، وبعد معارضة بعضها ببعض، يمكننا أن نرسم الملامح العريضة لهذه المؤسسة المجهولة الخالدة.

ففي عهد الخليفة هارون الرشيد قام الإيراني أبو سهل

(*) بحث تم تقديمه بمعهد الدراسات والأبحاث للتعريب في إطار موسمه الثقافي لسنة 1992-1993.

ابن نوبخت، بتعاون مع ابن ماسويه وما شاء الله اليهودي، بإنشاء مدرسة بغداد (الحاملة لاسم) « بيت الحكمة »(2). وقد أصبح ابن نوبخت فيها قيما على « خزانة بغداد» التي أطلق بعضهم عليها اسم «خزانة الحكمة» نظرا إلى أهمية كتب الفلسفة والعلوم الدنيوية، من طبّ وتنجيم وغيرها، التي كانت تحتوي عليها.

وبالفعل فإن الرشيد قد جلب إلى هذا« البيت »جميع الكتب التي وجدها في بلاد الروم وغيرها من البلاد التي فتحها المسلمون. ذكر ابن القفطي أن الرشيد « ولى يوحنا بن ماسويه ترجمة الكتب القديمة لما وجدها بأنقرة وعمورية، وسائر بلاد الروم(..) ووضعه أمينا على الترجمة، ورتب له كتّابا حذّاقا يكتبون بين يديه »(3). وذكر ابن النديم أن أبا سهل بن نوبخت« كان في خزانة الحكمة »(4)؛ وكان مترجم كتب التنجيم من الفهلوية إلى العربية(5)، بل كان « ينقل من الفارسي إلى العربي ما يجده من كتب الحكمة الفارسية،ومعوله في علمه وكتبه على كتب الفرس»(6).

وهكذا نرى أن بيت الحكمة، منذ عهد هارون الرشيد كان يتوفر على مكتبة بها كتب جلبت من بلاد الفرس وغيرها وكانت تدعى « خزانة الحكمة ». وكان في هذا البيت من يقوم بنسخ الكتب،« وهو عيلان الشعوبي(..) وينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة »(7)، ومن يقوم بالترجمة إلى العربية حيث كان هناك رئاسة واختصاص. فيوحنا بن ماسويه، الطبيب وابن صيدلاني في جنديسابور، يشرف على ترجمة الكتب الواردة من بلاد الروم وغيرها والمكتوبة بالسريانية واليونانية، وأبو سهل بن نوبخت يختص بالتآليف المكتوبة بالفهلوية والفارسية.

فلما تولى المأمون الخلافة وجد مؤسسة قائمة منذ أكثر من عشر سنوات(8). وكان بيت الحكمة هذا، في مفهومه وبخزانته ومترجميه، يساير حب المأمون لعلوم الفلسفة ورغبته الأكيدة في التعرف على التراث العلمي اليوناني وغيره.

والراجح أن حب المأمون الفطري، والذي وجد الرعاية في نشأته وتربيته في أحضان البرامكة الفرس، قد وجد مبتغاه في الفلسفة وعلومها التي كانت لديه وسيلة لإصلاح أمور الدولة ونشر المعارف العلمية ومقاومة البدع والأفكار الهدامة من زندقة وما إليها.

هب المأمون لتوسيع بيت الحكمة وإعطاء نفس جديد لتنظيماته ومهامه، فبرز هذا البيت وكأنه أنشئ لأول مرة؛ وحجب بنشاطه العلمي والترجمي، وبوفرة كتبه واتساع نشره للمعرفة،ما كان قد عرف عن بيت الحكمة في عهد الرشيد. وهكذا تحدث المؤلفون عن إنشاء المأمون لبيت الحكمة، ولمدرسة الترجمة... وذكر بعضهم سنة 215، أو سنة 117 للهجرة، تاريخا لإنشاء هذه المؤسسة(9).

لقدكان الرشيد قد حمل إلى بيت الحكمة ما نقل إلى العربية من كتب الطب والتنجيم وما إلى ذلك، وأضاف إليه ما ألف في العلوم الإسلامية، وما جمعه يحيى البرمكي من كتب الهند، وما أخذه الرشيد من كتب الروم وغيرها من البلاد المفتوحة.

فلما تولى المأمون شؤون هذا البيت جمع فيه كتب

العلم في لغاتها، وفيها اليونانية والسريانية والفارسية والهندية والقبطية. وجلب أصنافها من جزيرة قبرص ومن بلاد الروم وغيرهما(10). وعلم الناس بحبه للكتب، ورغبته في الحصول عليها، فأتوه بها على اختلاف موضوعاتها وتعدد خطوطها... وبذل المأمون، بعد الرشيد، كل غال ونفيس، ومن جملته الترغيب والترهيب وفدية الأسرى، والفتوح والهدايا السخية، للحصول على كل مكتوب موجود في بلاد العرب والعجم؛ فتجمعت لديه ذخائر لم يتح لها أن تجمع من قبل عند العرب والمسلمين.

ولم تكن خزانة واحدة كافية لاحتواء هذه الثورة الفكرية الهائلة. فقد تحدث ابن نباتة عن خزائن الحكمة(11) حيث يبدو أن بيت الحكمة كان يضم مجموعة خزائن، كل خزانة تشتمل على مجموعة من المؤلفات مصنفة حسب الخليفة الذي عمل على جمعها (12). وكانت الكتب داخل كل مجموعة، وبالنسبة إلى تصنيف المجموعات، مرتبة بصفة عامة حسب مادة الكتب من طب وفلك ورياضيات وفلسفة.. ولغة وأدب وفقه، وكتب يونانية وفارسية الخ.. حتى يسهل التعرف عليها والاستفادة منها إما بالمطالعة أو بالنقل من لغاتها إلى اللغة العربية.

لقد وردت في التآليف عدة أسماء لمسؤولين عن بيت الحكمة، سواء في عهد الرشيد أو في أيام المأمون. ويظهر تعدد هذه الأسماء أن هذا البيت كانت له مرافق مختلفة وأن بعض من تولوا الإشراف على هاته المرافق كانوا إما متعاصرين، كل حسب اختصاصه، أو متعاقبين. وفي كل الأحوال كانت بعض المهام، مثل الترجمة، تتطلب تعاونا وتخصصا.

2- بيت الحكمة والترجمة:

إن أهم ما ميز بيت الحكمة، وما قام به من أعمال جليلة، قد تمثل في نشر العلوم والمعارف عن طريق جمع المؤلفات العلمية والثقافية وتشجيع الناس على مطالعتها والاستفادة مما ورد فيها. ولتقريب هذه الكتب المتنوعة المادة، والمختلفة اللغة، عمل الرشيد، ثم المأمون، على نقلها إلى اللغة العربية.

لقد كان الرشيد قد طلب نقل الكتب التي حملها من البلاد المفتوحة إلى لغة القرآن الكريم؛وانصب اهتمام النقلة في عهده خصوصا على الطب والتنجيم وعلى بعض المؤلفات اليونانية مثل كتاب إقليدس في الهندسة وكتاب«المجسطي» لبطليموس القلوذي في الحساب.

هذه الترجمات وغيرها أعيدت في مجملها في عهد المأمون لرداءتها أو لاكتشاف أصول يونانية أكثر دقة من التي تم اعتمادها قبل المأمون، خصوصا وأن بعض التآليف كانت نقلت عن ترجمة سريانية أو فارسية وليس عن أصل يوناني.

وهكذا أصبح بيت الحكمة، كما سماه بعضهم، « أكاديمية الترجمة»(13). وما كانت هذه الخزانة العامة لتصل إلى هذه المكانة الثقافية لولا أن المأمون وفر لها جميع الوسائل الضرورية، وغير الضرورية، لجعلها تقوم في مجال الترجمة والنقل، وفي المجالات الثقافية الأخرى، بطفرة عملاقة تحقق بها جميع الرغبات.

3- بيت الحكمة ووسائل النقل:

الترجمة نشاط فكري متميز، يحتاج ككل نشاط ثقافي إلى مقومات ووسائل تؤهله وتساعده على تلبية المتطلبات والمواصفات التي يقتضيها الإنجاز المنتظر. وقد عمل المأمون، في بيت الحكمة، على إيجاد كل الوسائل والظروف التي من شأنها أن تعمل على قيام نشاط ثقافي علمي شامل تعود فوائده على الفئات المجتمعية المسلمة وغير المسلمة التي لها رغبة في تعاطي العلوم وممارسة الثقافة إفادة واستفادة وكان من جملة هذه الوسائل ومن أهمها:

أ- مادة النقل:

تتكون هذه المادة من عناصر أساسية، وعناصر مساعدة، ومن أعمال إضافية تحسينية. فالنقل إلى اللغة العربية، والترجمة بصفة عامة، لا يمكن مزاولته إلا إذا كانت هناك مادة ثقافية مكتوبة بلغة ثانية ومتيسرة(14). وقد كانت هذه المادة الثقافية موجودة في بيت الحكمة، ومتجسدة في مجموعات الكتب التي كان الرشيد قد عمل على توفيرها في خزائن الحكمة، وفي المذخرات الفلسفية والعلمية المصنفة باليونانية واللاتينية والسريانية والفارسية والهندية والقبطية وغيرها، التي كان المأمون قد جلبها من مختلف أصقاع المعمور المعروفة آنذاك، مستعملا لهذا الغرض جميع وسائله الضخمة بما فيها الترغيب والترهيب.

هذه المادة الأساسية، التي كان الخليفة يطلب نقلها إلى العربية كلما تم حملها إلى بغداد واستيداعها بيت الحكمة، كان القائمون بترجمتها إلى السريانية قبل العربية أو بنقلها مباشرة إلى لغة الخليفة، قد يحتاجون إلى مراجعات في المواد العلمية التي كانت ضرورة لاستيعاب معلومات الكتاب الذي تتناوله الترجمة. فلا يكفي أن يكون المترجم طبيبا ليعرف كل ما جاء في كتب الطب ويستطيع ترجمة أي كتاب في هذه المادة؛ كما يمكن أن يحتاج الناقل إلى مراجع في اللغة المترجم منها مثل كتب اللغة والنحو وما إلى ذلك. وقد يحتاج الناقل إلى عدة نسخ من المخطوط الذي يريد ترجمته وذلك من أجل تحقيق المعلومات والتأكد من صحتها ونسبتها إلى مؤلف المخطوط. ويبدو أن ذلك كان متوفراً في بيت الحكمة حيث ذَكر حنين بن إسحاق، رئيس الترجمة، أنه كان يقوم بمعارضة النصوص المختلفة قبل نقلها إلى العربية.

أما المادة الإضافية التي كانت تتطلب تصحيحا وتحسينا فكانت تتمثل في الترجمات التي سبق أن نقلت إلى العربية كتبا يونانية منقولة إلى السريانية، أو في مؤلفات ما زالت في لغاتها الأصلية(15).

ب- العنصر البشري المؤهل للنقل:

جمَع المأمون في بيت الحكمة فئة من العلماء المقتدرين الذين أبانوا، في مجال النقل والتأليف، عن دراية واسعة ومؤهلات كبيرة. وكان منهم الطبيب يوحنا،أو يحيى (16)، بن ماسويه الذي كان الرشيد قد جعله أمينا على الترجمة.

وترجع أكبر الأعمال التي قام بها بيت الحكمة شأنا إلى مجهودات تلاميذ يوحنا هذا، وخصوصا إلى أبي زيد حنين بن إسحاق العِبادي(17) الذي كان متمكنا من اللغات اليونانية والسريانية والفارسية والعربية، وكان أبرزَ عالم في بيت الحكمة حيث كان يقوم بالنقل إلى السريانية والعربية، وبالتأليف، وبالإشراف على المترجمين الذين كان يصحح ما قاموا به من أعمال.

واجتمع مع حنين في بيت الحكمة ابنه إسحاق، الذي خلفه بعد وفاته، وابن أخته حبيش الأعسم الدمشقي وغيرهم. وكان يساعدهم أشخاص آخرون منهم من يقوم، مثل عيلان الشعوبي، بنسخ الكتب، أو بالكتابة، أو بالترجمة الأولى التي كان حنين يتصفحها ويصلح ما قد يكون فيها من خطأ.

ج– أدوات الترجمة:

كل عمل علمي، سواء كان ترجمة أو دراسة أو غير ذلك، محتاج إلى لغة مضبوطة وكتابة واضحة(18) ووسائل مساعدة. فالترجمة محتاجة إلى كتابة صحيحة تسجل الأفكار المنقولة بأمانة وصدق، وتكون مقروءة دون لبس أو إشكال. وكانت الكتابة العربية، زمان بيت الحكمة، قد قطعت مراحل حاسمة في حياتها منذ أن سجلت، قبل حوالي قرنين، كتاب الله العزيز. ثم تخلى العرب والمسلمون تدريجيا عن استعمال الذاكرة، كما كان يستعملها الأجداد قبل الإسلام وفي فجره، لحفظ ما توصلوا إليه من معارف دينية ودنيوية(19).

وساعد على انتشار الكتابة بين مختلف الأوساط الثقافية والمجتمعية إدخال النقط لتمييز الحروف عن بعضها، وإثبات علامات الشكل عند الاقتضاء، وتعاطي الناس للعلم، واستعمال الورق الذي كانت جماعة من أسرى الحرب الصينيين قد نقلته إلى سمرقند سنة 751 ميلادية(134هـ). ثم قامت في البلاد الإسلامية صناعة نشيطة للورق. وقد بنى يحيى البرمكي، وزير هارون الرشيد، أولى مطاحن الورق في بغداد سنة 794 ميلادية (178هـ)(20).

والترجمة محتاجة كذلك إلى لغة تعبر عن مفاهيمها بدقة ووضوح؛ وهي أحوج ما تكون، بصفتها تعبيرا عن أفكار وتجارب جاهزة مذكورة بلغة ثانية، إلى توفر اللغة المستهدفة على مصطلحات وتراكيب مكافئة لما ورد في لغة الانطلاق التي حملت الأفكار المعروضة للترجمة. وكانت اللغة العربية قد بلغت في العصر العباسي درجة عليا من الدقة والمرونة.

وكان على الناقلين إلى اللغة العربية أن يكونوا على اطّلاع كافٍ باللغة العربية التي كانت، بالنسبة إليهم، لغة تعلم ودراسة. وقد ساعدهم في هذا المجال تقدم الدراسات العربية على يد مسلمين غير عرب في أغلبهم. وكان هؤلاء المترجمون يتعلمون اللغة العربية والنحو العربي اللذين كانا قد وصلا، في عهد المأمون وبمساعدته وتشجيعاته، إلى مرحلة التدوين والنضج، بل إلى ما يشبه الكمال.

لقد فهم المأمون أن النهضة العلمية شيء متكامل، لا يمكن القيام، لإذكائها، بجانب دون آخر، أو بعلم دون بقية العلوم، وأن لا ترجمة دقيقة في مصطلحاتها وتراكيبها دون العناية بالنحو وعلوم اللغة، ولا ترقية ترجى لعلوم اللغة دون الاستفادة من وسائل العلوم العقلية ومناهجها ومعارفها.

في نطاق هذا الترابط بين العلوم، وتيسيرا لتعلم العربية لغير العرب، وحتى للعرب الذين كانوا أخذوا يفقدون سليقة اللغة الفصيحة، ومساعدةً للسريان ولغيرهم الذين كانوا يقومون بالترجمة والنقل، كان المأمون يشجع جميع المتعاطين للعلوم سواء كانت دينية،

أو لغوية، أو عقلية، أو طبيعية...

لقد طلب المأمون من الفراء(21)، مثلا، أن يجمع «أصول النحو، وأن يجمع ما سمع من العرب؛ وأفرد له حجرة من حجر قصره، ووكل إليه من يخدمه، وجعل بين يديه خزائن كتبه، وجعل له الوراقين (22) يكتبون بين يديه؛ فعكف على ذلك وألفّ الكتب، وضبط النحو وفلسفه، فألف فيه التعاريف كحد المعرفة والنكرة،وحد النداء،وحد الترخيم الخ »(23).

ونظرا إلى أن وسائل الاستنساخ، من مراقن وطابعات ضوئية وما يقوم مقامها، لم تكن بعد موجودة فقد نشطت آنذاك طريقة نسخ الوثائق والكتب بمختلف أحجامها باليد. وكان، مما وفره المأمون في بيت الحكمة، وراقون ونساخ محترفون يقومون بالكتابة وبنسخ الكتب وغيرها لمساعدة القائمين بالترجمة وغيرها في تأدية مهامهم في أحسن الظروف.

د– الظروف الملائمة:

يراد بالظروف الملائمة كل ما من شأنه أن يساعد الناقل على أداء مهمته خير أداء ويجعله يندفع في عمله وهو مطمئن البال، مرتاح الخاطر، فرح بما يقوم به. وأهم ما يطمئن الإنسان شعوره بضمان حريته البدنية والتعبيرية وبأمانه على ممتلكاته ومعتقداته ورضاه عما يتقاضاه من أجر ومكافأة.

وقد حرص العرب، منذ بداية الفتوحات الإسلامية، على احترام معتقدات أصحاب الديانات السماوية والحفاظ على ممتلكاتهم المادية والثقافية(24). وترك بنو أمية المدارس الكبرى المسيحية والصابئية والفارسية قائمة في الأسكندرية وبيروت وأنطاكية وحرّان ونصيبين وجنديسابور لم يمسوها بأذى؛ فاحتفظت هذه المدارس بأمهات الكتب في الفلسفة والعلم، معظمها في ترجمة السريانية(25).

وامتاز عصر العباسيين، وعهد المأمون بصفة أخص، بقلة الفتوحات والفتن، وبإكرام الوافدين من العلماء والمثقفين على بغداد من أطراف المملكة الإسلامية وغيرها. فاطمأنت النفوس، وخمدت جلبة المنازعات، والتحق السريان وغيرهم بالعاصمة التماسا للرزق؛وتيقنوا أن الفلسفة والعلوم والترجمة هي أحسن وسيلة للتقرب من الخلفاء ونيل رضاهم وصلاتهم؛ فطفقوا يتسابقون في درس لغة العرب والتضلع فيها(26)،وأقبلوا على ترجمة ما لم ينقل بعد إلى لسانهم من الكتب اليونانية. وكانت أديرة رهبانهم حافلة بالباحثين وبخزائن الكتب النفيسة المنقولة من عدة لغات.

لقد كان تسامح المأمون من الأساليب التي جعلت بيت الحكمة يستقطب العلماء والأطباء والنقلة والمفسرين من أجناس وديانات متباينة لا فرق بين هذا وذاك إلا ما اختص به كل واحد في مجال العلم والمعرفة؛ فاجتمع من العلماء الأكفاء عدد كبير ينقلون مباشرة من اليونانية أو عن طريق السريانية.

أما تشجيعات المأمون لهؤلاء العلماء والنقلة فما نعتقد أن أحدا قبل المأمون أو بعده، في الحاضر أو المستقبل، يمكنه أن يقوم بما قام به هذا الخليفة تشجيعا ومكافأة. فقد وقف على بيت الحكمة الأموال للذين يريدون أن ينقطعوا إلى نقل الكتب إلى العربية. فانقطع رهط من العلماء السريان والفرس وغيرهم إلى الدراسة والنقل ومطالعة كتب الحضارات الأخرى واختيار ما

يصلح للعصر لينقل للأجيال في صورة علمية لائقة(27).

لقد رغب العباسيون النقلة من أهل العراق والشام وفارس والهند، وبالغوا في ذلك ، وجعلوا لهم الرواتب والجواري الحسان(28). وبز المأمون غيره في هذا المجال، فقد اختار حنين بن إسحاق العبادي للإشراف على النقل، وجعل بين يديه كتابا نحارير؛ فكان حنين ينقل ذخائر العلم اليوناني، ويراجع نقولات من يعمل في حقل الترجمة عامة. وكان يتقاضى زنة ما ينقل من الكتب ذهبا(29).

و لم يكتف المأمون بإحاطة العلماء والنقلة بالعناية والرعاية، ويمنحهم جميع ضروريات الحياة، وكمالياتها كذلك، بل كان يشاركهم مشاركة علمية فيما كانوا يقومون به من أعمال.

هـ – مشاركة المأمون في الأعمال العلمية:

من المعروف لدى المسؤولين في المصالح العمومية والخاصة أن أحسن وسيلة لإنجاز الأعمال اليدوية والثقافية، ولإتقان العمل، والإسراع به، أن يشارك المسؤول في التخطيط والدراسة والإنجاز. وكلما كانت رتبة المشرف عليا كان حضوره مدعاة لجلب السرور والهيبة والمنافسة وإظهار الطاعة والتضحية والتقرب بالعمل لدى المشتغلين.

لعل المأمون لهذه الأسباب،ولغيرها، كان يسهر بنفسه على إنجاز النقول والأعمال العلمية. لقد كان الخليفة نفسه من أساطين العلماء،« واختار أصحابه ورجال الدولة من الصفوة الأفذاذ في الشرق والغرب. هذا إلى جانب الأساتذة والمشيرين والمترجمين والمفكرين»(30).

كان المأمون وسط هذا الحشد من العلماء والأدباء يجسد الرئيس العالم الذي يهب العلم وقته ورعايته، والعلماء عطفه وعنايته، والفكر والقياس تسيير أموره وتوجيه حياته وثقافته؛ فكان يخلو بالحكماء ويأنس بلقياهم ومناظرتهم، ويلتذ بمذاكرتهم(31)؛وكان يخصص يوما في الأسبوع للاشتراك في المناقشات العلمية والفلسفية(32)،وكان لشدة عنايته بحركة النقل يضع علامته على كل كتاب يترجم له (31).

هكذا نرى أن المأمون لم يكتف بإصدار الأوامر للنقلة والعلماء، وبتحديد المواضيع والأولويات، بل كان يوجه تنفيذ المهام، ويعايش المشتغلين بالترجمة و الثقافة، ويمارس الأعمال ممارسة فعلية حيث كان يبدي رأيه شفويا أثناء المناظرات وجلسات العمل التي كان يعقدها مع العلماء؛ وكتابة عند وضعه علامته على الترجمات التي كان يراها تستحق التأشير والانتشار.

كان هذا الخليفة العالم لا يشجع العلم ويعمل على ترقيته والنهوض به لمجرد إرضاء رغبة خاصة في المعرفة مع احتكار العلوم لنفسه ولطبقة محدودة تشمل حاشيته وجملة من أفراد دائرته؛ لقد كان يسعى إلى نشر العلوم على أوسع نطاق، وبأنجع الوسائل المتوفرة.

4– بيت الحكمة: منتدى علمي ومدرسة للترجمة

لم يقتصر دور بيت الحكمة على إتاحة الفرصة للعلماء وطلاب المعرفة للنهل من ذخائر الكتب والمؤلفات في مختلف العلوم والاختصاصات في لغاتها الأصلية وفي ترجماتها إلى اللغة العربية بل كانت اهتمامات العلماء والباحثين والنقلة في هذا البيت، وفي غيره مما له ارتباط بالثقافة،متجهة نحو الاستفادة والإفادة

والتعليم.

فقد كان الفراء مثلا يرمي، فيما ألف من كتب التعاريف، إلى تقريب النحو إلى أذهان الصبية والأجانب. وكان رهط من العلماء قد انقطع في بيت الحكمة إلى الدرس والنقل والنسخ ومطالعة كتب الحضارات الأخرى واختيار ما يصلح للعصرلينقل للأجيال في صورة لائقة.وتذكر« مقالة في الجبر»،من تأليف محمد بن موسى، في مقدمتها« أن محمد بن موسى كان يحثه الخليفة المأمون العباسي على أن يجمع في كتاب واحد ما تناثرخلال كتب الرياضة من مبادئ الحساب الجبري» (33).

بالإضافة إلى ذلك كان بيت الحكمة مؤسسة حقيقية للتعليم والتثقيف حيث شكل الأتباع الذين عملوا مع حنين بن إسحاق، في مجال الترجمة والنقل، مدرسة ذات طابع متميز. « والمدرسة هنا نشأت داخل العمل الذي ترأسه حنين، والذي انبثق عن الدولة أصلا. وربما جاءت الإشارات التي أوردتها الكتابات المختلفة لتؤكد أن قوام التلاميذ الذين التفوا حول الأستاذ وعملوا معه يتراوح عددهم بين التسعين والمائة» (34).

ولعل هذا الاهتمام التعليمي كان ملحا على حنين حين كان ينقل الكتب إلى اللغة العربية. فقد ذكر ماهر عبد القادر محمد، عند حديثه عن مخطوطات حنين التي أشار إليها ماكس مايرهوف في مقالته عن(العلوم والطب) قائلا: « أما أسلوبها فسهل المتناول خال من التعقيد إذا ما قورن بأصله اليوناني، مع دقة في التعبير وخلو من الحشو والركاكة»(35).

وكان لحنين طريقة خاصة في مقابلة النسخة اليونانية، أو السريانية، التي كان يقوم بنقلها؛ وكان له قواعد خاصة يلتزم بها في الترجمة. ولا شك أنه كان يعلم تلامذته وزملاءه هذه الطريقة وهذه القواعد. بل« لاشك أن تلامذة حنين وزملاءه الذين عملوا معه في بيت الحكمة فرض عليهم الالتزام بتلك القواعد. خاصة وأن الأستاذ حنين كان يراجع كل ما ينجزه الآخرون؛ ومراجعته تلك تعدّ بمثابة صك اعتماد إنجاز هذا المترجم أو ذاك »(36).

لقد وسّع المأمون بيت الحكمة وملأه كنوزا علمية وثقافية، وجعله مستقرا للنقلة والمترجمين، ومجمعا للعلماء والباحثين والمتناظرين، وموئلا لطالبي العلم الوافدين إليه من كل حدب وصوب؛ وحرض الناس على قراءة الكتب الموجودة بهذا البيت، وما يتم نقله منها إلى العربية؛ فحبب إليهم بذلك العلوم الأجنبية والإسلامية، وحبب إليهم الكتب التي هي مستودع معارف الأجيال وتجارب الأمم، والترجمة التي تنقل الثقافة والعلوم، وتجمع بين العقول والأفكار الإنسانية في مختلف البقاع والعصور.

نشطت، نتيجة لذلك، الحركة الثقافية والعلمية والأدبية والدينية؛ وبلغت حركة الترجمة ونقل التراث الفلسفي والعلمي والتقني(37) اليوناني والفارسي والهندي وغيره إلى اللغة العربية ذروتها اتساعا وعمقا. وصار بيت الحكمة قدوة في نشر الثقافة والعلوم، ومنتدى لاجتماعات العلماء من مختلف الديانات والجنسيات والاختصاصات، ومقصد طلاب العلم ومتعلمي الترجمة حتى صار المؤلفون والمؤرخون لحركات العلم والفكر والترجمة والنقل يرون فيه تلك « الأكاديمية

الكبيرة »(38)، و«مدرسة الحكمة»(39)، و«أكاديمية الترجمة»(40)، و«مدرسة الترجمة»(41)، و«أول مكتبة عامة»، و«المعهد العظيم»(42)،و«مدرسة للعلماء»(43)،و«مجمع علمي ومرصد فلكي ومكتبة عامة»(44).«هذه المؤسسة شكلت مختبرا حقيقيا للترجمة»(45) وكانت «أكاديمية الحكمة» (46).

لقد قام بيت الحكمة، بالفعل، بدور منتدى العلماء، وأكاديمية الآداب والعلوم، ومدرسة النقل والترجمة، ودار الثقافة، تنشر إنتاجاتها العلمية والترجمية عن طريق خزانتها العامة وروادها المتناظرين المعلمين والمتعلمين.

وبذلك ازدهر البحث والنقل والتحصيل في مختلف فروع العلم والمعرفة، ونضجت الأبحاث العربية، وارتقت علوم الدين واللغة، واستفادت العلوم من بعضها البعض، وأفادت جميعها من العلوم ومناهج الدراسة التي أتاحت حركة الترجمة والنقل فرصة الاطلاع عليها وتجريبها واستعمال الصالح منها في مختلف مجالات الدرس والتأليف.

وهكذا أصبح علم الكلام، مثلا، ينتهج ، بصفة عامة، طريقة الجدل اليوناني؛ وصار النحو وكذلك الشعر والأدب اللذان، وإن احتفظا بالقوالب العربية من عروض ونظم، فقد أخذا، في مجملهما، ينفران من ألفاظ البداوة «الخشنة» وينحيان منحى البساطة اللفظية والروح المتأثرة بالحضارة الراقية، وبالأفكار العلمية والفلسفية..حيث سرى التأثير إلى سائر العلوم الإسلامية والعربيةوكان منطلق علوم عقلية وحضارة خالدة الذكر.

5-بيت الحكمة وحركة النقل بين الازدهار والاندثار:

بلغت حركة الترجمة والنقل، برعاية المأمون، أوج إنتاجيتها وإفادتها فدخلت بذلك عصرها الذهبي الذي كتب لها به التاريخ أنصع الصفحات، وخلد أمجد الذكريات، وجعل الناس لحد الآن يذكرونه حنينا والتماسا للقدوة والاستعادة، سواء عند الكتابة والتأليف أو في المؤتمرات والحلقات الدراسية(47).

كانت هذه النتيجة تتويجا لتظافر جهود المأمون ومن سبقه وعاصره وسار على نهجه من الخلفاء والأعيان وأصحاب المكانة المرموقة في عالم السياسة والأعمال، وحصيلة مساهمة فعالة قام بها المسؤولون الإداريون ورجال الثقافة والفكر والدين والأدب واللغة من مختلف المراتب والمشارب والتخصصات والجنسيات.

وقد انتقل العرب والمسلمون تدريجيا من مرحلة استخدام المعارف المترجمة إلى العربية للاستئناس وأخذ فكرة عامة عن موضوع معين- مع الاكتفاء بالرجوع إلى ما هو موجود من الكتب المنقولة في بيت الحكمة وغيرها من المكتبات العمومية والخصوصية- إلى البحث عن الكتب الأجنبية، واليونانية منها بوجه أخص، والتي يمكن أن تقدم معلومات جديدة، أو وجهة نظر طريفة ، أو طريقة تناول من شأنها أن تغني البحث أو تلقي ضوءا مغايرا على بعض جوانبه أو اتجاهاته.

وشارك في إثراء حركة الترجمة والنقل، وإبلاغها هذه المكانة المتميزة، وجهاء وعلماء ونقلة لم يقوموا بالضرورة بنشاطهم الترجمي والعلمي في إطار الانتماء إلى بيت الحكمة. وكان من بين هؤلاء، على سبيل المثال، أبناء موسى بن شاكر الثلاثة محمد وأحمد والحسن الذين كان المأمون يخصهم برعاية أبوية والذين قدموا للحركة

خدمات جلى تمثلت خصوصا في إيفاد الرسل على نفقتهم الخاصة إلى الإمبراطورية البيزنطية بحثا عن المخطوطات الفلسفية والفلكية والرياضية والطبية القديمة، ودفع المبالغ الطائلة لشراء الآثار اليونانية وحملها إلى بيتهم قرب باب التاج ببغداد حيث كان يعمل لنقلها الى العربية دون إبطاء فريق كبير من المترجمين من أنحاء البلاد(48)، تماما كما كان يفعل المأمون في بيت الحكمة قبل وفاته.

وكان النقل عند بني شاكر، وعند غيرهم من الدارسين والمهتمين بعلوم ودراسات معينة، وسيلة لاستكمال المعارف والتنقيب عن أفكار وتجارب واستنتاجات أنجبتها عقول نيرة تنتمي لشعوب وأجيال متباينة متباعدة. وبذلك بدأت حركة الترجمة والنقل تؤتي أكلها وتنفح من روحها وحركيتها في حركة علمية جديدة على العرب استمدت نشأتها وتطورها من المعارف والعلوم التي أخذت تكتسي طابعا عربيا بعد نقلها إلى لغة العرب وتحصيلها واستساغتها من لدن من يتقنون هذه اللغة.

وقطعت العلوم « الأجنبية» مرحلة جديدة وحاسمة حينما أخذ العرب(49) يعتبرون نتاج النقل إلى العربية مجرد توفير لمعطيات أولية تعرض على محك الدراسة والمقارنة والتجريب من أجل اختبار صحتها وصلاحيتها وإمكانية تنميتها وبلورتها والاستفادة منها في المجالين النظري والتطبيقي.

فقد أفسح المأمون لفلكييه دارا في أعلى ضاحية من بغداد، بقرب باب الشماسية(50)، لرصد النجوم رصدا دقيقا، وإجراء قياسات مثيرة للإعجاب كانت تقارن بغيرها في جنديسابور، ثم بأخرى كانت تجري في دار ثانية تقع على جبل قرب دمشق. وكان علماء الفلك يعملون مجتمعين على وضع جداول الفلك« المجربة» أو « المأمونية» كما يدعونها، وهي مراجعة دقيقة لجدول بطليموس القديمة(51). يضاف إلى هذا الرصد وهذه القياسات إرسال الخليفة لبعثة مؤلفة من فلكيين لقياس محيط الأرض. وكانت طريقة العرب في هذا الشأن مغايرة لطريقة إيراتوستيناس(Eratosthenes) الذي كان أول من حاول قياس الأرض بواسطة زاوية أشعة الشمس(52).

وتوالت عمليات الرصد وإجراء القياسات. وشارك في العملية الخواص من أمثال أبناء موسى الذين أنشأوا مرصدا لهم في منزلهم الخاص. وانصرف محمد، أكبرهم، إلى إجراء حساباته وقياساته وأرصاده ودراساته دون أن يبخل عليها بتعب أو يضن عليها بوقت أو بمال؛ بينما انصرف أحمد إلى صنع آلات ميكانيكية عديدة وتقديم «الاختراعات العملية ذات المنفعة البيتية التي تحسد عليها كل ربة بيت حديثة وكل فلاح ريفي »(53). أما أخوهما الحسن فقد برع في علم الهندسة التي قدم فيها أعمالا لم يسبق إليها.

إن حياة أبناء موسى تظهر أن رعاية العلوم لم تعد مقصورة على الخلفاء. وكان ممن بذلوا المال في نقل العلوم محمد بن عبد الملك الزيات، وعلي بن يحيى المعروف بابن المنجم، ومحمد بن موسى بن عبد الملك، وإبراهيم بن موسى الكاتب، وغيرهم من الوجهاء والأطباء، وكثير من أمراء المسلمين المستقلين عن الخلافة.

وتعكس حياتهم كذلك ما طرأ على المجتمع العربي من تحولات عميقة ساعدت العلومُ« الأجنبية» في نشأتها واتجاهها وجهة علمية، مع ظهور أثر هذه العلوم في سائر مقومات الثقافية العربية الإسلامية.

وكلما كانت حركة النقل تزداد استيعابا واستنفادا للمعارف القديمة كانت العلوم المرتبطة بهذه المعارف تزداد نهضة وازدهارا وكان المجتمع الإسلامي يزداد إقبالا على هذه العلوم، وتقصيا لثقافة الأجانب، ودراسة وتجريبا واستنباطا لأفكار ونظريات ومعارف جديدة (54).

واكتملت، تدريجيا، معارف « العرب »الذين كادوا يحيطون بكل ما كان للأجانب من علوم وثقافة، ونضجت أفكار المسلمين ودراساتهم، وبلغت النهضة العلمية أوجها في القرن الرابع الهجري الذي يعتبر العصر الذهبي للحضارة العربية(55).

وكان استنفاد المعارف القديمة، بالإضافة إلى عوامل التمزق والضعف السياسي والاقتصادي الذي أصاب المجتمع الإسلامي، من الأسباب التي أدت إلى إخفات حركة الترجمة والنقل العباسية، واندثار بيت الحكمة الذي أهمَل المعتصم شأنه؛ « ومع ذلك ظل يقاوم إلى أن داهم التتار بغداد، وقتل هولاكو المستعصمَ آخر الخلفاء العباسيين. فانتهى مع الأسف دور هذا المعهد العظيم، واندثرت خزانة الكتب وعفت آثارها »(56).

وهكذا انتهى دور بيت الحكمة،وانتهت معه حركة النقل العباسي بعد أن أمدت الحضارة العربية بذخائر التراث الإنساني القديم، ومهدت لها وسائل دخول العصر الذهبي. « وكانت هذه الدورة من نهضة الإسلام من بعض نواحيها تحريرا للشرق الأدنى من سيطرة اليونان العلمية»(56)، وذلك قبل أن يصبح نتاج حركة الترجمة العباسية، مضافا إليه ما أبدعته العبقرية العربية، مادة تنتقل بدورها عبر آلاف الكتب التي ترجمت من اللاتينية إلى العربية، وتأثيرا إسلاميا ينتقل إلى بلاد الغرب عن طريق التجارة والحروب الصليبية وانتقال العلماء الأجانب إلى الأندلس والمغرب وغيرهم من البلاد الإسلامية، وبواسطة الشبان المسيحيين الذين أرسلهم آباؤهم الإسبان إلى بلاط الأمراء المسلمين ليتربوا ويتعلموا الفروسية، والاتصالِ الذي كان دائما بين المسيحيين والمسلمين في بلاد الشام ومصر وصقلية وإسبانيا..(57).

****

هوامش

1-لقد تساءل قبلنا أحمد أمين حيث قال(«ضحى الإسلام»، ص16/2):« وكان أكبر مكتبة نقل إلينا خبرها في ذلك العصرخزانة الحكمة أو بيت الحكمة،ومن الغريب أن هذه الخزانة أو البيت تحوط بغموض شديد، لم يعثر الباحثون عنه إلا على نتف قليلة، فهل كانت مكتبة فقط أو مكتبة ومعهدا، ومرصدا؟ وهل أنشأه الرشيد أم المأمون؟ وما نظامه؟ وماذا يقوم به من الأعمال؟ كل هذه الأسئلة ونحوها من العسير الإجابة عنها ولما يصل إلى أيدينا ما نستطيع أن نتخذ منه جوابا شافيا».

2-مادة«الإسلام- الفلسفة الإسلامية»،في **الموسوعة العالمية** ،ص160/9(بالفرنسية).

3- علي يوسف القفطي، «إخبار العلماء في أخبار الحكماء»،ص380.

4-«الفهرست»،ص382، استعمل القرآن الكريم لفظ«حكيم» صفة للقرآن وأسماء الله الحسنى،أما الحكمة التي وردت في التنزيل عشرين مرة فجاءت مقترنة بالوحي أو هي الوحي نفسه؛ وتدل على العلم بحقائق الأمور،وعلى الهداية الربانية.ثم أطلق المسلمون لفظ الحكمة على الفلسفة(اليونانية) التي كانت في رأيهم ترشد الإنسان وتطلعه على حقائق الأشياء، وأخذت الكلمة نفس التوسع في المعنى الذي أعطي لكلمة فلسفة.

5-مادة «الإسلام-الفلسفة الإسلامية»،في **الموسوعة العالمية**،ص160/9(بالفرنسية).

6- القفطي، المصدر السابق، نفس الصفحة.

7-ابن النديم، المصدر السابق، ص153-154.

8- لعل بيت الحكمة كان، في عهد الرشيد،قليل النشاط أو عديمه حيث جهله كثير من المؤلفين وذكروا أن المأمون أسس بيت الحكمة.

9-انظر:إسماعيل مظهر، « تاريخ الفكر العربي»،ص36،و: ماكس مايرهوف،ترجمة عبد الرحمن بدوي،في: «التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية»،ص57،و: ويل ديورانت، «قصة الحضارة- عصر الإيمان»،ص177-178،و: «الإسلام- الفلسفة الإسلامية»، في: **الموسوعة العالمية**، ص156/9.

10-انظر:ابن نباتة، «صرح العيون»،ص132،و:ابن النديم، «الفهرست»،ص339،و:خير الدين الزركلي، «الأعلام»، «المأمون العباسي»، ص287/4.

11-ابن نباتة، المصدر السابق، نفس الصفحة.

12- تحدث ابن النديم في«الفهرست» مرة عن خزانة الحكمة لهارون الرشيد(ص382) وأخرى عن خزانة الحكمة للمأمون (ص174).

13- زيغريد هونكه، «شمس العرب تسطع على الغرب»، الترجمة العربية، ص379.

14- هنا يكمن خطأ بعض الذين ينادون بالتعريب في العصر الحاضر دون اهتمام بمادة الترجمة وضرورة حصول العرب على هذه العلوم في لغاتها المختلفة، وعلى تكوين متين في علوم العربية وتقنيات الترجمة؛ وذلك لكون العرب لا يحق لهم أن يطمعوا، في الوقت الراهن،في قيام الأجانب بالنقل لصالحهم كما كان الأمر في العصر العباسي.

15- كان ابن مطر،مثلا، قد قام بنقل كتاب أقليدس في الهندسة نقلة هارونية؛ ثم قام بإعادة نقله نقلة مأمونية-وقام حنين ورفاقه بتصحيح ترجمات سابقة وبإعادة نقلها مرة ثانية.

16- يلاحظ أن اسم John كان يترجم حينا باسم يوحنا وآخر باسم يحيى. كذلك فعل العرب وأكثر المترجمين(انظر: إسماعيل مظهر، «تاريخ الفكر العربي»،ص63).

17- هو حنين(194-264هـ)(مع اختلاف في تاريخ الوفاة) مسيحي نسطوري سرياني طبيب ومؤرخ ومترجم. انتهت إليه رئاسة العلم ببغداد بين المترجمين، وجعله المأمون رئيسا لديوان الترجمة(انظر:خير الدين الزركلي، «الأعلام»،ص325/2).

18- توجد في عصرنا الحاضر وسائل عديدة للتسجيل من أشرطة متنوعة وأنواع التصوير المختلفة والحواسيب.. ومع ذلك فالكتابة ما زالت تحتفظ بمكانة مرموقة بين هذه الوسائل.

19- لقد أدخل الإسلام الكتابة في عادات العرب فأنزل الله سبحانه وتعالى«القرآن» و«الكتاب»و«بعث في الأميين رسولا منهم»و«علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم»، وألح على الكتابة في التعامل(الآيتان 282و383 من سورة البقرة).لقد وردت مادة« ك ت ب» في القرآن الكريم 319 مرة، ومادة «ق ر أ» في صيغة الفعل 17 مرة؛ أما في صيغة الاسم فقد وردت على وزن فعلان،وهو وزن نادر للمصادر العربية.

20- انظر:زغريد هونكه، «شمس العرب تسطع على الغرب»، الترجمة العربية،ص.ذكرت المؤلفة أن جهودا ركزت على تحسين هذه الصناعة وترقيتها،وأصبح الكتان والقطن عماد صناعة الورق الأبيض الناعم.

21- انظر: أحمد أمين، «ضحى الإسلام»،ص207/2 :«هو يحيى بن زياد (..) أعلم الكوفيين،جمع إلى علم الكوفيين علم البصريين(..) هو بحر في اللغة، ونسيج وحده في النحو».قال ثعلب: «لولا الفراء ماكانت اللغة لأنه حصلها وضبطها». أما اهتمام المأمون برجال الأدب والدين من معتزلة ومتكلمين فشيء مشهور في التاريخ.

22- الوراقون هنا: الذين يشتغلون بالأوراق ويهيئونها ويقومون بالكتابة وما إلى ذلك.

23- أحمد أمين، «ضحى الإسلام» ،ص308/2.

24- ذلك لا ينفي ما كان يقع بسبب الحروب أو في حالات خاصة من التعسف واستغلال النفوذ.وقد بلغ من عدل العباسيين في أول دولتهم وإطلاق حرية الأديان لرعاياهم حتى كثيرا ما كان هؤلاء يوسطونهم في فض الخلاف بين طوائفهم أوأساقفتهم (انظر:موسى يونان مراد غزال. «حركة الترجمة والنقل في العصر العباس»، ص25).

25- انظر: ويل ديورانت، «قصة الحضارة»، ج2م4: «عصر الإيمان»، الترجمة العربية،ص177.

26- انظر: موسى يونان مراد غزال، المصدر السابق،ص37. ويضيف الكاتب: «حتى أصبح العامة من السريان في القرن العاشر الميلادي أعرف بالعربية منهم بالسريانية، الشيء الذي حمل إيليا بن شينا النصيبيني على شرح كتابه في النحو السرياني بالعربية».

27-انظر: ماهر عبد القادر محمد،«حنين بن إسحاق العصر الذهبي للترجمة»،ص47-48.

28- موسى يونان مراد غزال«حركة الترجمة والنقل في العصر العباسي»،ص124.

29- يقول ابن أبي أصيبعة(«عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، ص270-271):إن هذه الكتب كان يكتبها الأزرق، كاتب حنين، بحروف كبار وخط غليظ في أسطر متفرقة على ورق غليظ، «وكان قصد حنين بذلك تعظيم الكتاب وتكثير وزنه». ويعلق ماهر عبد القادر محمد (المصدر السابق،ص48-49) على ذلك بأن ابن أبي أصيبعة لم يدرك «أن الورق الغليظ اعتمد رسميا في مختلف البلدان وقتئذ حفاظا على ما يدوّن ويكتب».وبالفعل كانت كتابات حنين ما زالت موجودة حين ألف أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة كتابه سنة 643هـ، أي ما يقرب من أربعة قرون وربع قرن بعد وفاة المأمون».

30- هوجز. نقله عنه د.عبد الحليم منتصر، «تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه»،ص 52. وقد أضاف المؤلف في نفس الصفحة: «ويقول السيد أمير علي:إن بلاط المأمون كان يموج بجمهرة عظيمة من رجال العلم والأدب والشعراء والأطباء والفلاسفة الذين استدعاهم المأمون من جهات متعددة من العالم المتمدن وشملهم جميعا بعنايته مهما اختلفت مشاربهم أو جنسياتهم.

31- انظر جرجي زيدان، «تاريخ التمدن الإسلامي»،ص161/3.

32- انظر: حسين حمادة، «تاريخ العلوم عند العرب»،ص 21.

33- يرى إسماعيل مظهر(«تاريخ الفكر الإسلامي»،ص50) أن هذه المقدمة، التي قد توحي بأن محمد بن موسى جمع عناصر كتابه وليس مبتكرا فيه، ليست من عمل المؤلف رغم وجودها في النسخة من الأصل العربي التي ما تزال محفوظة في مكتبة «بودلي» بجامعة أكسفورد.

34-د.ماهر عبد القادر محمد، «حنين بن إسحاق العصر الذهبي للترجمة»،ص148.

35- المصدر السابق،ص140؛وقد نقل عن ماكس مايرهوف، « العلوم والطب» مقالة في تراث الإسلام،ص454-456.

36- المصدر السابق،ص138.

37- كانت هناك نقول لتقنيات متعددة كانت تندرج تحت اسم «علم الحيل» أو ما يسمى حاليا بالميكانيكا.

38- إسماعيل مظهر، «تاريخ الفكر العربي»،ص39.

39- المصدر السابق،ص 61.

40- زيغريد هونكه، «شمس العرب تسطع على الغرب»، الترجمة العربية،ص379.

41-موسى يونان مراد غزال، «حركة الترجمة والنقل في العصر العباسي»،ص 123.

42- عبد الحليم منتصر «تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه»ص59.يذكر المؤلف(ص55) أن المؤرخين اتفقوا على« أن هذه المكتبات كانت تؤدي ما تؤديه معاهد العلم والجامعات والجميعات العام في الوقت الحاضر».

43-ماهر عبد القادر محمد، المصدر السابق، ص47.

44- ويل ديورانت، « قصة الحضارة» -« عصر الإيمان»، الترجمة، ص177.

45- أو.ي.، « الإسلام- الفلسفة الإسلامية» ،في: **الموسوعة العالمية**،ص159/9(بالفرنسية).

46- غ.فييت، «عرب- الأدب العربي»،في: **الموسوعة العالمية**،ص205/2 (بالفرنسية).

47- يمكن الرجوع مثلا إلى ما جاء في الوثيقة النهائية لمؤتمر التعريب الرابع الذي انعقد في أبريل(نيسان) سنة 1981 بطنجة (بالمغرب الأقصى)حيث ورد في «المنطلقات» إشارة إلى عصر الترجمة الذهبي: «اللغة العربية هي اللغة التي صنعت تاريخ العرب الحضاري، وهي التي اتسعت لكل ضروب التفكير الإنساني، في مجالات العلم والأدب، في ميادين العمل أو النظر».

48- كان أبناء موسى يدفعون شهريا لكل مترجم يعمل عندهم مبلغ خمسمائة دينار(ما يعادل سبعة آلاف وخمسمائة مارك ألماني من العملة الذهبية). وقد تفتحت في بيتهم عبقرية ثابت بن قرة الذي أدخلوه دارهم لطلب العلم والذي ساهم مع حنين بن إسحاق وابنه إسحاق وحبيش بن الحسن في الترجمة لبني موسى حيث نقل لهم إلى العربية عددا كبيرا من الأعمال الفلكية والرياضية والطبية، ووضع 150 مؤلفا عربيا و10 مؤلفات بالسريانية(انظر: زيغريد هونكه، «شمس العرب تسطع على الغرب»، الترجمة العربية ،ص124-126).

49-«الأجنبية» أي ذات الأصل الأجنبي لأنها أصبحت بعد نقلها وإبداع العرب في أكثرها تعتبر جزءا من التراث العربي الأصيل. «العرب»أي الذين اتخذوا في المجتمع العربي اللغة العربية لغة لحديثهم وكتابتهم.

50-اختلف المؤلفون في مدى انتماء هذا المرصد لبيت الحكمة.

51-انظر: زيغريد هونكه، «شمس العرب تسطع على الغرب»،ص 119. استقى العرب معلوماتهم الفلكية من الهنود كذلك، مثل كتاب «السند هند» .

52- انتقل فريق عربي ناحية الشمال وآخر إلى الجنوب لمراقبة صعود «التيس الفتي» وهبوطه ثم حساب قياس خط الطول بواسطة قياس المسافة بين الفريقين،وكانت النتيجة دقيقة للغاية(انظر: المرجع السابق،ص119-120).

53- زيغريد هونكه، المصدر السابق، ص121. قدم المسلمون في هذا المجال اختراعات ذات أهمية كبيرة.

54- ساعد على هذا التقصي إتقان بعض العلماء للغات أجنبية مثل البيروني، وابن سينا،الخ.

55- انظر آدم متز، «الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام»، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة،نشر دار الكتاب العربي، بيروت،ط4، جزءان،1967.

56-د. عبد الحليم منتصر، «تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه»،ص59. في المؤلف «عفيت»عوض عفت.

57- انظر: ويل ديورانت، « قصة الحضارة-عصر الإيمان»،الترجمة العربية،ص387.

منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي وتوحيده

(قراءة استيعابية نقدية ومقارنة)

الاستاذ جواد حسني سماعنـــه

خبير بمكتب تنسيق التعريب بالرباط

توطنـــة:

عرفت العقود الأخيرة من القرن العشرين ازديـاداً ملحوظاً ومضطرداً في حجم الأعمال المصطلحية معاجم (1)ودراسات،مما يبشر بمستقبل واعد للغة العربية بإذن الله.

إن الرصيد المعزز باتجاهات الرأي العلمي السائد في ندوات ومؤتمرات وحلقات التعريب والبحث المصطلحي ليبشر أيضا بأن ثمة علماً للمصطلح العربي في طريقه إلى الظهور فتيّا وقويا. ونحن هنا لانلفّق النتائج تلفيقاً ولكن نعزز رأينا بمصادر حجة وآراء نزيهة لايطعن في مصداقيتها.

وقد اعتبر البعض من المختصين والمطلعين على النظريات المصطلحية الغربية ومؤلفات أشهر روادها كفوستر وفيلبر ونيدوبيتي وأمثالهم أن كتاب المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث للأمير مصطفي الشهابي) (2) (رحمه الله) ينافس مؤلفات فيلبر (3) الحديثة في المصطلحية، والذي يعتبر مصدرا أساسيا من مصادر البحث المصطلحي في أيامنا هذه (4) .

ويرى الأستاذ العلامة أحمد شفيق الخطيب (5) أن منهجية وضع المصطلحات العلمية الجديدة قد تحققت(بشكل مرضٍ وشبه متكامل في نصف القرن الماضي،بعد أن بدأت بوادرها منذ بداية عصر النهضة) (6)،وقد توضحت معالم هذه المنهجية وقواعدها وأساليبها من وضع وقياس ونحت وتضمين وتركيب وتعريب بالترجمة أو بالاقتباس اللفظي على مراحل في محاضر ومنشورات مجامع اللغة، وندوة منهجية مكتب تنسيق التعريب المنعقدة سنة1981م.

للبحث المصطلحي،حضرات السادة،مجالان أساسيان هما ركنا علم المصطلح الحديث،وهما: النظرية المصطلحية العامة والنظرية الخاصة،ويدخل في إطار النظرية العامة البحوث والقرارات والمناقشات التي تتحدث عن منهجية وضع المصطلحات ومبادئها وقواعدها، بكل ما تمتلكه من قضايا، وهي مدونة ضخمة تبدأ بدراسات الشدياق (1804–1887)، وناصيف اليازجي (1800–1871) ورفاعة الطهطاوي وأحمد عيسى في(المذهب في أصول التعريب) (1923)،ومحمد شرف وهو أول من طرح من

---

*بحث ألقي في معهد الدراسات المصطلحية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز – فاس(جامعة سيدي محمد بن عبد الله)15 أبريل/نيسان(سلسلة المدارسات الشهرية).

التطبيقيين موضوع المنهجية في مقدمة مؤلفه الشهير (معجم انجليزي -عربي في العلوم الطبية والطبيعية). وهكذا تتوالى الأسماء اللامعة: كعبد القادر المغربي، ويعقوب صروف والأب أنستاس الكرملي...لتنتهي إلىقرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة وندوتي منهجية وضع المصطلح العلمي العربي اللتين عقدهما مكتب تنسيق التعريب(1981) و (1993)في كل من الرباط وعمان.

وفي النظرية الخاصة التي تتناول حقلاً مصطلحيا معينا أو قائمة من المصطلحات بالبحث والدرس والتمحيص نجد قائمة من الأسماء تكاد لاتنتهي كأمين المعلوف صاحب (معجم الحيوان) والأمير مصطفى الشهابي صاحب (المعجم الزراعي)، وهو في الحقيقة منظّر وتطبيقي في آن واحد، وحسن حسين فهمي صاحب (المرجع في تعريب المصطلحات العلمية والفنية والهندسية) نُشر في أواخر الخمسينات بمقدمة للدكتور طه حسين، ومحمد يوسف حسن عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة وأستاذ الجيولوجيا بجامعة عين شمس، وجميل الملائكة عضو المجمع العلمي العراقي المتخصص بالهندسة الميكانيكية وأحمد شفيق الخطيب رئيس قسم المعاجم بمكتبة لبنان وعضو مراسل لأكثر من مجمع عربي، وغير هؤلاء من أسماء مازالت تعيش بين ظهرانينا أمدّ الله في أعمارهم جميعا.

إن من يشهد الصراعات بين اللغويين المجمعيين سلفيين ومحدثين حول تراتبية وسائل الوضع المصطلحي (الشيخ أحمد الاسكندري العدو الأزرق للتعريب في مواجهة عبد القادر المغربي صاحب الرأي المتفتح جدا في التعريب، كمثالين فقط من الرواد المجمعيين) ليظن أن القضية خلاف ما أبديته في السطور الأولى من هذا البحث. والحقيقة إن هذه الخلافات لاتطعن فيما ذهبت إليه، بل إنها أقرب إلى التأكيد على ديمقراطية المناقشات وجديتها في محافل المجامع العربية اللغوية والعلمية. واتسام أعضائها بروح المسؤولية والمغامرة المحسوبة. فالصراع اللغوي مظهر من مظاهر تطور اللغة وحركيتها ، قديم حديث وسيظل كذلك إلى الأبد، نشأ وترعرع مع بداية حركة التقعيد اللغوي وجمع اللغة والتأليف المعجمي، كما دارت على هامش هذا الصراع معارك لغوية مازلنا نشهد آثارها الحميدة نحن أحفاد أولئك القدامى. بل إن الخلاف الحديث ازداد حدة بين طائفتين أكثر اتساعا،وهما: اللغويون، والعلميون التطبيقيون وهو أمر يمكن تبريره كما قلنا خاصة ونحن نشهد عصراً جديداً يضجّ بهدير الآلات وصنع المكتشفات وتفجر الطاقات العلمية. فالخلاف لم يكن أبدا على مبادئ اللغة وقواعد وضع مصطلحاتها، ولكن على بعض من تفاصيلها وعلى كيفية تطبيقها.أجل، إنها الاستثناءات التي تؤكد المبدأ وتؤيد النظرية كما هو معروف في النظريات العلمية التطبيقية(7).

إن معظم الجهود المصطلحية فردية كانت أو مؤسساتية تصب في بوتقة منهجية واحدة، ربما لاتكون مكتملة، وبحاجة من ثم إلى معالجة تفاصيلها ومحاورة عناصرها...ولكنها على كل حال حرية بأن يؤخذ بها في الوضع المصطلحي للخروج من حالة الأمر الواقع التي فرضتها أشكال من التبعية لاتحصى. ولكي نبرهن على وحديتها كان لابد لي من عرض لهذا التعدد المنهجي في

قراءة استيعابية مقارنا وناقدا ما استطعت إلى ذلك سبيلا في هذه الورقات القليلة.

أولاً: المنهجية الفردية

(منهجية الدكتور محمد شرف(1890-1949)

نموذجا للمقارنة)

يؤرخ معظم المصطلحيين بداية العمل المنهجي في المصطلحية العربية بنهاية الربع الأول من هذا القرن ، وتحديداً في عمل معجمي للدكتور محمد شرف بعنوان (معجم انجليزي، عربي في العلوم الطبية والطبيعية) (70.000مصطلح ، ط 1 ، 1924 م) (8).وأهمية هذا المعجم تكمن في أنه أول معجم علمي مختص يصدر بمقدمة واسعة شاملة (42ص) تتضمن منهجية المؤلف في وضع المصطلحات وترجمتها، في التاريخ الحديث على الأقل (9).وتعكس المقدمة وعياً كبيراً باللغة العربية وحساً مرهفاً يغبط عليه رجل طبيب عالم على شاكلته، وحرصا أكيداً على سبر التراث بأناة وصبر منقطعي النظير (10).

وقد ضمّن المؤلف معجمه منهجية محددة ظلت مرجعا موثوقا به لكل من جاء بعده من مؤلفي المعجمات المختصة والمنظرين والمصطلحيين (11)،وهذه أهم قواعدها:

أولا: اللجوء إلى المصطلح الأصيل في كتب التراث لاعتماده مقابلا للمصطلح الأجنبي،كاستعمال لفظة (حُبْسة)مقابلاً لِ aphasiaو(الشدف) لِ defolation (12) وفي حالة شيوع اللفظ الأجنبي فضل إثباته بالرسم العربي مع ذكر مقابله العربي حتى لو لم يكن شائعا، وربما وضعه بين قوسين نحو: تليفون (مسرة)، وتلسكوب (مرصد، مرقاب)، وبارومتر (مرواز)(13).

ثانيا: اللجوء إلى الاشتقاق من الصيغ القياسية العربية المتعارف عليها، وتقييس الصيغ غير المتعارف عليها توسعاً منه في هذا الباب (أي الاشتقاق) على رأي أبي علي الفارسي:كل ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب.

ومن تلك الصيغ التي استعملها :(فعال) و(فعل) للدلالة على المرض نحو: كُباد ورُحام وبَرص ونمش ؛ ومن ذلك أيضا صيغة (فَعُول) للدواء نحو: لَعوق وسفوف ورَقوء وهي مصطلحات تراثية محض(14).

وقد ذهب محمد شرف بالاشتقاق اللغوي إلى أوسع مدى اقتناعا منه بأن متطلبات العصر الحديث تبرر ذلك. ومن مظاهر هذا التوسع لجوؤه إلى الاشتقاق من المعرب جريا على سنن العرب في ذلك، وجعله قياسيا نحو: (بستر) في Pasteurize و(أكسد) في oxidate (15).

ثالثاً: اللجوء إلى الترجمة المباشرة للمعنى نحو:(آكل النمل) فيMellivorousو (مخروط الوجه) في leptoporosopic جرياً على سنن العرب في هذا الأسلوب مثل قولهم (كثير الأرجل) و(لسان الثور) و(آذان المعز) وهي أسماء نباتات أجنبية ترجمت بمعانيها(16).

رابعاً :المحافظة على رسم الأعلام المعربة في التراث العربي ، أما أسماء الأعلام الحديثة فقد دونها كما يتلفظ بها أهلوها أو بأقرب صورة ممكنة لذلك النطق (17).

خامساً: المصطلحات العلمية الأجنبية النكرة التي لايوجد لها مقابل عربي قديم أو لا يوجد لها معرب قديم يحافظ على ما اتفق عليه حديثا إن وجد نحو (أكسجين

وهيدروجين)، أما في حالة عدم وجود اتفاق على ذلك قديما أو حديثا يلجأ إلى التعريب اللفظي لهذه المصطلحات العلمية وفقا لاصطلاح اللغات العالمية على ذلك، خاصة في شيوع المصطلحات العلمية بين عدد من اللغات مراعاة للمواصفات الدولية... نحو الأسماء الكيميائية التي تلحقها كواسع مثل: سلفوريك وسلفوروز.

ويدخل في ذلك المصطلحات الحيوانية والنباتية مراعاة لوحدتها العالمية وأسوة بسنة علماء التراث كأبي حنيفة الدينوري وابن البيطار (18).

سادساً: أما المعاني حقيقية كانت أو مجازية فيوضع لها المصطلح العربي بالطرق والقواعد المألوفة.

سابعا: إعادة المصطلحات العلمية الحديثة إلى جذورها الأصلية إذا ما اقتبست أصلا منها. فمثلا هناك الكثير من المصطلحات المأخوذة أصلا من اللغة العربية وجرى عليها بعض التغيير في اللغة المنقولة إليها نحو (sirop)و(Alenbec) ، فعند ردها إلى العربية ينبغي أن تعود إلى نطقها الأصيل وهو: شراب وإنبيق (19).

ثامنا: فيما يتعلق بالمصطلح الأعجمي أو الأجنبي:

- يؤخذ به مادام ليس له مايقابله في العربية حتى لوكان هذا اللفظ غير متطابق مع الأوزان العربية، أو غير مأنوس الاستعمال، نحو: سريس، وقنطاريون.
- اختيار المصطلح الأجنبي حتى مع وجود مقابل عربي له، ولكن شريطة أن يكون هذا الأجنبي أدلّ على المعنى المراد من نظيره العربي مع ذكر العربي كمرادف من الدرجة الثانية. وفي هذه الحالة فضّل الدكتور شرف المصطلح (بريتون) على المصطلح المعرب سابقا ب (الهُرْب) كما فضل (الأنتيمون) على (الإثمد) العربية(20).
- وقد وضع المؤلف لنفسه منهاجا في تعريب الأصوات الأجنبية وحروفها سليمة كانت أو معلولة، كما وضع خطة لكتابة الألفاظ التي تبتدئ بساكن أو يكون فيها التقاء ساكنين، نحو (إغريق) في Greek وغَرانيت (بفتح الغين) فيGranite (21).

وتلخيصاً لمنهجية محمد شرف يمكن أن نذكر بقواعدها حسب الآتي:

- استخدام المصطلح التراثي
- اللجوء إلى الاشتقاق
- الترجمة الدلالية المباشرة واستخدام المجاز
- اللجوء إلى التعريب اللفظي.

فإذا وضعنا هذه المنهجية في موضع المقارنة مع منهجيات معاصريه من العلماء أو الذين جاؤوا بعده لوجدنا شبها كبيرا بينهما، بل لوجدنا هذا الشبه بين منهجيته والمنهجية المجمعية التي تعتبر آخر صورة في هذا المجال.

ومن بين الأصول المصدرية التي يمكن وضعها في ضوء المقارنة مع منهجية شرف نذكر منها منهجية الأمير مصطفى الشهابي وفق تجلياتها في كتابه الشهير (المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث) (ط.1،1955)والتي طبقها على وجه الخصوص في مجال النبات والحيوان.

ويؤكد الشهابي على الطريقة التي اتبعها العرب القدامى في عصور الازدهار في وضع المصطلحات، وهي

الطريقة ذاتها التي اتبعها كل من شرف في منهجيته التي تحدثنا عنها،والشهابي في مصطلحاته الزراعية والنباتية.

يذكر في تعداده الطرق التي اتبعها العرب:(22)

أ-تحوير المعنى اللغوي القديم للكلمة العربية وتضمينها المعنى العلمي الجديد.

ب-اشتقاق كلمات جديدة من أصول عربية أو معربة للدلالة على المعنى الجديد.

ج – ترجمة كلمات أعجمية بمعانيها.

د – تعريب كلمات أعجمية وعدّها صحيحة.

ويرى الشهابي أن هذه الطرق مازالت صالحة حتى يومنا هذا ، فقام بتطبيقها في مجال النبات على النحو التالي:(23)

أ – استقراء التراث بحثاً عن لفظ عربي يؤدي معنى اللفظ الأجنبي.

ب – إذا كان اللفظ العلمي الأعجمي جديدا وليس له ما يقابله في لغتنا ترجمناه بمعناه كلما كان ذلك ممكنا، أو اشتققنا له لفظا عربيا مقاربا بالعودة إلى وسائل الوضع المعروفة وهي: الاشتقاق والمجاز والنحت والتركيب المزجي.

ج – في حالة تعذر هذه الوسائل نعمد إلى التعريب وفق قواعده.. هذا إضافة إلى الشروط المطلوبة في اختيار المصطلح العربي التي وضعها مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

ويرى الشهابي أن مجال التعريب في أسماء الأعيان الأعجمية هو الأنسب، ذلك أن هذه الأسماء ، قد تكون منسوبة إلى أعلام، أو تكون في منزلة أسماء الأعلام كأسماء الكثير من الآلات العلمية والأدوية والعقاقير والمركبات الكيماوية؛أو كأسماء الأطعمة والأشربة والألبسة الخاصة الأعجمية(24).

ومن ذلك أيضاً الأسماء المنسوبة إلى إقليم نحو (أذْنيه) أي نسبة الى مدينة (عدن)؛ أو إلى قبيلة مثل Ananas و cacaoyer (كاكاو) نسبة إلى قبائل أمريكية قديمة؛ أو إلى عالم بعينه مثل (دَرْوينيه Darwinia)؛ أو إلى إله قديم نحو مركوريالسMercurialis ؛ أو إلى غير ذلك من أعلام (25). أما أسماء الأجناس النباتية الدالة على صفة بارزة من صفات النباتات فتترجم إلى العربية بمدلولات معانيها نحو (أذن الدبّ) للنبات المسمى (أركتوتيس) Arctotis وقد اتبع العرب القدامى هذا الأسلوب في قولهم: آذان الفأر وكثير الأرجل وعين البقر (26).

هذه المنهجية التي تدعّم منهجية محمد شرف لم تحد مبدئيا عن عناصرها عندما طبقها العلماء الآخرون كالدكتور أحمد عيسى في (معجم أسماء النبات) والدكتور المهندس حسن حسين فهمي في كتابه القيم (المرجع في تعريب المصطلحات العلمية والفنية والهندسية). بيد أن ثمة انحرافات عن هذه المبادئ تتجلى في فهم التفاصيل أو في تقديم وسيلة لغوية على أخرى في وضع المصطلح وهذا أمر طبيعي تعرفه معظم اللغات، ولايخلّ كثيرا في القيمة المعيارية للمنهجية المصطلحية.

ومن هذه الاختلافات التي يدور حولها النقاش موضوع الترادف، الذي حُبِّرت فيه عشرات المؤلفات قديما وحديثاً. ومن المعاصرين من لم يروا فيه خطرا على المصطلح العربي، ومن هؤلاء محمد شرف الذي دافع عن

الترادف في مقدمة معجمه، وأحمد شفيق الخطيب، ذو الرأي الوسط، وجميل الملائكة ومحمد يوسف حسن الذين لايعفون منه لغة من اللغات . يقول الأستاذ جميل الملائكة في آراء من يضعون العقبات إزاء حركة التعريب ومنها مسألة المصطلح الموحد ، يقول: (إنهم على أية حال يبالغون في أهمية هذا التوحيد والإدعاء بأنه العقبة الكأداء في درب التعريب. فقد يبقى في الاستعمال مصطلحان لمعنى علمي بعينه زمنا طويلا دون أن يزيح أحدهما الآخر، بل قد يبقى عديد من المصطلحات للمعنى الواحد ولايكون كبير ضير في ذلك)(27).

فالمصطلح Perivative ألغى Fluxion لمعنى (المشتقة) في مجال الرياضيات،وزال مصطلح (مال) وبقي لدينا المصطلح (مربع) للدلالة على حاصل تربيع العدد.

ولا تنجو لغة من اللغات العلمية من قضية الترادف ، ففي (هندسة التعدين) يطلقون في المعجم الانجليزي على الخرزة التي تلبّس حول الحافة الداخلية للشباك المنزلق، لمنع جزئه الداخلي من التأرجح إلى داخل الغرفة:Guard beadو Guide bead و Inner bead و window Batonو Inside stop و stop head و (27).

ومنهم من يذهب إلى أن المصطلح العلمي الأجنبي ينبغي أن يترجم بمقابل عربي واحد ودقيق في دلالته على المعنى، فاللغة تحتمل الترادف في مجال ولاتحتمله في المجالات العلمية المحضة(28).وهذا الرأي الأخير ذهب إليه حسن حسين فهمي في (المرجع في تعريب المصطلحات العلمية والفنية والهندسية) على طريقة أبي هلال العسكري في (الفروق اللغوية)، ويرى أنه ما من لفظ مترادف إلاّ وله دلالة تميزه عن نظيره مهما ضؤلت! ومن ذلك ألفاظ (الآلة) و(الأداة)و(الماكينة) يستخدمها البعض مرادفات لمعنى واحد، وهي في الحقيقة ألفاظ يختص كل منها بمعنى خاص. ففي الإنجليزية على سبيل المثال يتم التمييز بين: Engineو Instrument و Tool و Machine و Motor (29).

ومن بين الاختلافات كذلك اختلافهم في المدى الذي يمكن الذهاب فيه بوسيلتي التعريب اللفظي والنحت؛ فتجد بعضاً من أهل الاختصاص من يؤيد التعريب مطلقاً وفتح باب النحت على مصراعيه كبعض الكيميائيين والفيزيائيين، والبعض الآخر يحاول أن يكون معتدلا في هذا الاتجاه فيأخذ من هنا وهناك.

ثانيا : المنهجية المجمعية

(مجمع اللغة العربية بالقاهرة نموذجاً)

تلخص تجربة مجمع اللغة العربية بالقاهرة(30) الجهود المجمعية والفردية الأخرى، ويعتبرها الجميع بلا خلاف القاسم المشترك الذي يمكن الركون إليه.وتتجلى منهجية المجمع في جملة كبيرة من القرارات ، طالعتُ منها أربعة وتسعين قرارا(31) وهي تشكل في معظمها حدا طيبا لنظرية في المصطلح العربي، ناهيك عن استوائها في منهجية رائعة لو طبقت فعلاً.

لهذا، أردت أن ألمع إلى مضمون هذه القرارات،على عجل، وفي قائمة من التجليات لتحديد منهجية المجمع أولاً،والتأكيد على النظرية المصطلحية ثانيا.وتتمحور موضوعات هذه القرارات في المظاهر التالية:

أولا : المظهر الصوتي، و يركز على:

أ - سهولة اللفظ وخفّته وطواعيته للاشتقاق.

ب - جواز التعريب على سنن القدماء في ذلك.

ج - وضع منهجية لتعريب ونقل الأصوات وحروف اللغات الأجنبية إلى العربية.

ثانيا :المظهر الصرفي:

وتصب معظم قرارات المجمع في هذا المظهر، وخاصة باب الاشتقاق لأسباب لاتخفى على أحد. ومن ضمن تجليات هذا المظهر:

أ - التوسع في الاشتقاق وإعطاء المزيد من العناية لموضوع القياس في اللغة وتجويز السماع من المحدثين. ومن ذلك تجويز المجمع لقياسية سبع صيغ لاسم الآلة وماشابهها من أدوات، وهي: مِفعل (مِشْرط)، ومِفْعلة (مروحة)، ومِفعَال (مفتاح)، وفعّالة (حصّادة)، وفِعال (حزام)، وفاعلة (ساقية)، وفاعول (ساطور).

ب - نضيف إلى ذلك ، تجويز المجمع الاشتقاق من أسماء الأعيان (للضرورة)، ومن الجامد كذلك.

لقد قدّم المجمع باختصار، تيسيرا كبيرا للمصطلحيين في مجال الصيغ الإسمية والمصدرية والأبنية الفعلية،مما مكّن الواضع من التصرف في وضع المصطلح وسكه على نحو مُرضٍ.

ج - تسامح المجمع في موضوع النحت والتركيب المزجي في المواد العلمية إلى حد أجاز فيه قياسيتهما بعد تردد. فقد جاء القرار الأول مصحوبا بجواز نسبي (للضرورة العلمية)، بينما ألغيت في القرار الثاني هذه الضرورة (32).

بيد أن المجمع لم يعط العناية الكافية لموضوع السوابق واللواحق، وقد أُخِذ عليه أن القرارات التي ظهرت حول هذا الموضوع على قلّتها لم يطبقها المجمع نفسه تطبيقاً ملائما. وربما عاد ذلك إلى كثرة هذه الأدوات اللغوية الأوروبية الأصل وعدم ملاءمتها للغة العربية ذات الطابع الاشتقاقي.

ثالثاً :المظهر الدلالي، وتتجلّى فيه عناية المجمع ب:

أ -موضوع المجاز وجواز استخدامه في وضع المصطلح.

ب-مراعاة الدقة الدلالية بين المصطلح ومفهومه العلمي

ج-اختيار المصطلح الواحد للمفهوم الواحد ما أمكن ذلك.

د - قبول المولّد من القدماء والمحدثين.

هـ - تعريف المصطلح تعريفا دقيقا.

رابعاً :المظهر الاستعمالي والاجتماعي:

أ- وضع أسلوب منهجي لوضع المصطلحات وتوحيدها ونشرها.

ب -قبول السماع من المحدثين والاستئناس برأي أهل الصناعة والحرف.

والواقع أن هذه المظاهر لاتوجد مصنفة أو مبوّبة في هيئة دليل مصطلحي تمكن العودة إليه، ولو فعل المجمع ذلك، معززاً هذا العمل بأمثلة تطبيقية شتى، لقدم خيرا عظيما لقراراته المفيدة.

ثالثا: تجربة مكتب تنسيق التعريب في التوحيد المنهجي والمصطلحي.

يُعنى مكتب تنسيق التعريب بتنسيق المصطلح وتوحيده وليس بوضع المصطلح العربي، وفق ماشرعت له مؤسساته الدستورية والاستشارية. وقد قام هذا المكتب بجهود خيرة

في مجال تطوير المنهجية المصطلحية وتوحيد المصطلح العلمي العربي في محورين هما: ندوات منهجية وضع المصطلح العلمي، ومؤتمرات التعريب. فقد عقد بالتعاون مع عدد من المجامع والمؤسسات المختصة بوضع المصطلح العربي ندوة (توحيد منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي)(الرباط 1981) ، وصدرت عنها وثيقة مهمة في هيئة مبادئ (18 مبدأً) وجملة من الاقتراحات ربما لم تكن بمستوى مضامين قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة المتنوعة نوعا وكما.

وتنفيذا لاقتراح الندوة بأن يتم السعي إلى تطوير هذه المنهجية، عقد المكتب ندوة ثانية في رحاب مجمع اللغة العربية الأردني (1993) تحت عنوان (ندوة تطوير منهجية وضع المصطلح العلمي العربي وبحث سبل نشر المصطلح الموحد وإشاعته). وأستطيع القول إن الموضوعات الجديدة التي أضافتها ندوتا الرباط وعمان إلى المنهجية العامة للمصطلحات، تكمن في المجالات التالية:

أولاً :في وضع المصطلح وتنسيقه وتعلم تقنياته (33):

(1)-مسايرة المنهج الدولي في اختيار المصطلحات العلمية:

أ -مراعاة التقريب بين المصطلحات العربية والعالمية لتسهيل المقابلة بينهما للمشتغلين بالعلم والدارسين.

ب - اعتماد التصنيف العشري الدولي لتصنيف المصطلحات حسب حقولها وفروعها.

ج - تقسيم المفاهيم واستكمالها وتحديدها وتعريفها وترتيبها حسب كل حقل.

د-اشتراك المختصين المستهلكين في وضع المصطلحات.

(2)-في علم المصطلح ، جاء مايلي:

أ - التعاون مع لجنة المصطلحات التي شكلتها المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس في وضع قواعد علم المصطلح تمهيدا لنشرها مواصفات عربية ووطنية (34).

ب - تدريس المصطلحية في الجامعات:

جاء في البند الثالث من تقرير ندوة عمان النص على تدريس المصطلحية وتقنياتها كمتطلب تخرُّج في كل كلية من كليات الجامعات، ويتناول هذا الوسائل المختلفة لوضع المصطلح المناسب، كما يتناول ترجمة النصوص العلمية العربية، واستعمال الآليات والتقنيات المعلوماتية وكل ما يهيء الطالب للتمكن من الأداء العلمي السليم باللغة العربية.

جـ : بنك المصطلحات : وتأسيساً على ماسبق، طالبت الندوة البند (رقم 13) بإنشاء مركز عربي على هيئة بنك مشترك للمصطلحات به وسائل استقصاء وجمع للمصطلحات كما يكون في هذا البنك وسائل تخزين وتوثيق تشمل جميع المصطلحات المعربة.

(3)-في أسلوب العمل المصطلحي ونظام وضعه،جاء ما يلي:

لايعهد بوضع المصطلحات العلمية إلاّ إلى مصطلحيين تتوافر فيهم الشروط الآتية:

أ - إجادة اللغة التي يترجمون منها أو ينقلون عنها.

ب - إجادة اللغة العربية.

ج - أن يكونوا متخصصين في العلم الذي يترجمون عنه.

د - أن يكونوا ممارسين عمليا لعلوم اختصاصهم.

هـ - أن يكونوا على دراية تامة بمفهوم المصطلح العلمي وأساليب وضعه في تخصصاتهم والتخصصات القريبة منه.

ويشارك في وضع المصطلح العلمي كذلك اللغويون المختصون والمترجمون الخبراء والمعلوماتيون والمستفيدون من المصطلح العربي وتطبيقه.

ثانيا : توحيد المصطلح:

وهو المجال الذي يوليه المكتب عناية خاصة ويكاد يماثل في منهجه هذا الإجراءات العملية المتبعة في مجمع اللغة العربية بالقاهرة من حيث مراحل جمع المادة وعرضها على اللجان المتخصصة، فعلىمؤتمر للتعريب لإقرارها، وأخيراً عرض هذه المادة النهائية على المختصين والمستهلكين في الوطن العربي لإبداء الرأي فيها. قلت إن هذا السنن يكاد يكون متشابها بين المكتب والمجمع، لكن مايتميز به المكتب هو المشروعية (غير الملزمة) التي يستند إليها في هذه المؤتمرات والممثلة غالبا في وزارات التعليم العالي والبحث العلمي.

إن ما تهدف إليه المجامع والجامعات والمؤسسات المصطلحية ومنها مكتب تنسيق التعريب هو بالطبع توحيد المصطلح العلمي، وهذه هي تحديداً رسالته والغاية من تأسيسه؛ والهدف الذي يسعى إليه في ندواته ومؤتمراته. وكانت آخر المحاولات المنهجية الجادة في مجال توحيد المصطلح أن طلب من الأستاذ الدكتورمحمد رشاد الحمزاوي وضع منهجية مخصصة لتوحيد المصطلح، على أن يعرضها في ندوة عمان (1993). وقد لبى الأستاذ الفاضل هذا المطلب، فقدم عرضا منهجيا رائعا في الموضوع، في رحاب مجمع اللغة العربية الأردني، فقبلت خطته ضمن التوصية(رقم 4) التالي نصها:

(اقتراح لتحديد منهجية لتوحيد المصطلح بطريقة عملية تقويمية ترتكز على أربعة عناصر هي:(36)

أ - الاطراد والشيوع.

ب - يسر التداول (قلة حروف الكلمة).

ج - الملاءمة (تفرع المصطلح إلى ميادين مختلفة).

د - التوليد (كثرة الاشتقاق من المصطلح).

على أن يتفق على مقياس لرصد درجات لكل عنصر، ويختار المصطلح كمصطلح موحد على أساس تلك الدرجات ويتكفل مكتب تنسيق التعريب بتقديم مشروع في هذا الشأن لمؤتمر التعريب لدراسته وإقراره).

وقد عرضت المنهجية المشار إليها ثانية على مؤتمر التعريب السابع بالخرطوم (1994) وجاء في تقرير لجنة البحوث تعديل طفيف في بعض عناصرها وهو:

-إيثار الكلمة التراثية على الكلمة المستحدثة.

-إيثار اللفظ العربي على اللفظ العامي والأجنبي وتعريبه عندما يتعذر وضع المصطلح العربي.

وفي نظري أن هذا التعديل لايدخل في صميم منهجية الأستاذ الحمزاوي التي قبلتها ندوة عمان، لأن المبدأين اللذين يتضمنهما التعديل من مبادئ وضع المصطلح العامة وليس توحيده.ذلك أن (المقياس) المشار إليه والذي كرّسه الباحث لمنهجيته وعرضه على أعضاء الندوة لاينطبق على هذين المبدأين. وقد طبق الحمزاوي مقياسا إحصائيا مناسبا على أكثر من مثال؛من ذلك لفظة(هاتف)وما يرادِفُها من ألفاظ نحو:(تليفون ومسرّة وأرزيز ومِقْوَل) . واعتمد في

مقياسه الإحصائي الرياضي على أربعة عناصر هي : الاطراد، ويسر المعالجة، والملاءمة، والتوليد، انطلاقا من خمسة مصادر، وبحساب درجات محدودة لكل عنصر. فوجد أن كلمة (هاتف) تحتل المرتبة الأولى إذ أن مجموع درجاتها = 34 درجة، من خلال عناصر:الاطراد = 9 درجات ، يسر المعالجة=8 درجات،والتوليد =8 درجات، الملاءمة = 9 درجات.

في حين جاءت لفظة (تليفون) بمجموع 28 درجة، ومسرّة =14 درجة،وأقلّها (تلغراف ناطق) =4 درجات (37).

تقويم عام:

يلاحظ إذن في هذا التدرج بمنهجيات وضع المصطلحات وتوحيدها، أن ثمة إجماعا وقاسما مشتركا تلتقي حوله الآراء، لكن الخلاف المثار حولها يكمن في تطبيق مبادئها وليس على مبادئها تحديداً. وهذا الخلاف طبيعي ومبرر إذا أخذنا في الاعتبار مدى طواعية العلوم الحديثة للتكيف مع قواعد اللغة العربية ومناهجها اللغوية، فتطبيقها على حقل معرفي كالفلسفة أو علم النفس يختلف عنه في الكيمياء او الفيزياء. لهذا أُخِذ على المجامع اللغوية والعلمية كونها تحاول جرّ العلوم عنوة نحو اللغة وليس العكس، مما حدا بالبعض إلى المناداة بإصلاح اللغة إصلاحاً جذريا: نحويا وصرفيا وتقنيا، لتكون في خدمة العلم. هكذا توسع هامش الخلاف، فأخذ بعض المحدثين من أهل الاختصاص منحى مغايرا سعوا فيه إمّا إلى الانكفاء على اللغات الأوروبية والتأليف بها ، أو اللجوء إلى وسيلة التعريب اللفظي، والنحت والتركيب كملاذ أخير.

والواقع أن المجامع عملت الكثير من أجل تيسير اللغة، فقدمت سلسلة من القواعد المنهجية على جانب كبير من المرونة، دون أن يمنع هذا من المناداة إلى تطوير المنهجية والعمل على مراجعتها بشكل دوري. فمما لا شك فيه أننا بحاجة إلى منهجية شاملة للعمل المصطلحي لاتأخذ بالاعتبارات اللغوية فحسب ولكن بالقضايا التقنية والاجتماعية وكل ما له صلة بالعمل المصطلحي. فثمة إقرار جماعي بمجموعة من المشكلات التي تقف عوائق أساسية إزاء تلك المنهجية الشاملة نحو:

أ - الآليات والأساليب المتبعة في تنفيذ العمل المصطلحي داخل المؤسسات العربية، والتي هي بحاجة إلى مراجعة دائمة وبأسلوب العصر الحديث تلبية لمصالحنا القومية.

ب - عدم وجود آلية شفافة تمكن كل مؤسسة من الاطلاع على ما لدى الأخرى من خطط وبرامج وأهداف في مجال العمل المصطلحي.

ج - اتباع الوسائل اليدوية في العمل المصطلحي مما يقتضي الانتقال إلى مرحلة أخرى تستعمل فيها أجهزة الحواسيب الحديثة تلبية لمطالب علم المصطلح وموضوعاته.

د - عدم وجود مؤسسة مصطلحية قومية ملزمة لتنفيذ القرارات.

هـ - عدم تنفيذ التوصيات الصادرة وعدم تحديد الجهات المعنية بالالتزام بهذه التوصيات.

و - عدم وجود سياسة شاملة لنشر المصطلح الموحد وإشاعته.

ي - عدم اهتمام الجامعات العربية بموضوع علم

المصطلح واتجاهاته.

وفي هذه المناسبة نرفع أجل التهاني إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة سيدي محمد بن عبد الله التي بادرت إلى إنشاء معهد الدراسات المصطلحية الذي جاء تدشينا لمرحلة طالبت باجتيازها جل مؤتمرات التعريب وندوات البحث المصطلحي. تذكرني هذه التهنئة، حضرات السادة، بقضيتين نتمنى أن يتبنّاهما معهدكم الموقر بالتعاون مع مؤسسات البحث المصطلحي المعنية بهذا الموضوع،وهما:

أولا : قضية التراث المصطلحي العلمي: وأشير هنا إلى تجربتين فذّتين في هذا الموضوع، الأولى تبناها الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح مدير معهد الدراسات الصوتية بالجزائر بعنوان (الذخيرة اللغوية)، والثانية أكاديمية تزعمها أولاً أستاذنا الكبير الدكتور أمجد الطرابلسي في كليتي الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط وفاس، ثم سار على دربها وعمّقها تالياً أخونا الدكتور الشاهد البوشيخي في إشرافه على مجموعة كبيرة من الأطروحات المصطلحية الجامعية ، ناهيكم عن توجهه المكمّل داخل هذا المعهد الموقر.

نبشّر في هذا المقام أيضاً بمشروع وليد متدرج يعدّ له الآن في مكتب تنسيق التعريب ويتضمن استخلاص جانب من المصطلحات العلمية التراثية بادئين بمجال طب العيون أولاً. ونرى أن التعاون بين معهدكم هذا من جهة وبين مكتب تنسيق التعريب ومعهد الدراسات الصوتية في الجزائر، بل وأية مؤسسة أخرى تعمل في هذا المجال ، من جهة أخرى، هو واجب قومي وضرورة علمية لا بد منها كيلا تتعارض المهام وتتشتت الجهود.

ثانيا :علم المصطلح

إن علاقة المصطلحية العربية بعلم المصطلح وبالتقنيات الحديثة ضعيفة على الرغم من بعض التجارب الوليدة التي مازالت تحبو في بعض المؤسسات العربية المصطلحية المختصة. وقد بدأت إحدى مؤسسات التوحيد المصطلحي وهي المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس بجهد مشكور لم ينته إلى ما كانت تطمح إليه نظرا لتوقف أعمالها في منتصف الثمانينيات. وكانت هذه المؤسسة قد وضعت دليلا للمصطلحيين يأخذ في الاعتبار منهجيات مجامع اللغة العربية ومكتب تنسيق التعريب ، وترجمت كذلك جزءاً مهما من توصيات المنظمة العالمية للتقييس إيزو (ISO). كما عقدت عدة ندوات مع المعهد القومي للمواصفات والملكية الصناعية بتونس فعملا معا على إصدار مجموعة من مشروعات المواصفات العربية المصطلحية. ومن هذه المشروعات: معجم مفردات علم المصطلح، ومبادئ التسمية، ومشروع بتصميم المعاجم المصنفة متعددة اللغات، ودليل تحضير المعاجم المصنفة، ومشروع الرموز المعجمية للاستعمال الخاص بالمعاجم المصنفة للمفردات المعرفة... وهي كلها مترجمة عن مواصفات أقرتها المنظمة العالمية للتقييس(ايزو)، ويمكن أن تصلح لكل اللغات(38).وإنها لفرصة جديرة بالاهتمام أن يتابع معهدكم الموقر مسيرة هذه المهمة الجليلة، فيقوم بالاتصالات الضرورية بالمعهد القومي للمواصفات والملكية الصناعية (اللجنة الفنية (رقم 5) لعلم المصطلح) بتونس، لإحياء ذلك الجهد الذي كان يصب في تدويل

المصطلحية العربية، وجعلها رافدا من روافد المصطلحية العالمية.

أعترف أن المهمة صعبة للغاية، ولكن نتائجها العظيمة أجل من أن يعرّف بها، الأمر الذي يجنبنا الوقوع في التكرار الممل الذي تورطت فيه الكثير من المؤسسات المصطلحية. أكرّر تهنئتي وشكري لمدير هذا المعهد صديقي الدكتور الشاهد البوشيخي ولزملائه الأعزاء على دعوتهم إياي، لإلقاء هذا العرض الذي آمل أن يكون لامس بعضاً مما صبوت إليه، وما التوفيق إلاّ من عند الله.

شكراً لإصغائكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

هوامش:

(1)للتعرف على حجم العمل المصطلحي، انظر: ببليوغرافيا المعاجم المختصة، إعداد: د.علي القاسمي وجواد حسني سماعنه، اللسان العربي. مكتب تنسيق التعريب، ع:20(1983)ص ص 135-177 و ع:21 (1983) ص ص157-205. انظر كذلك: وجدي رزق غالي وحسين نصار: المعجمات العربية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1971.

(2)صدرت طبعته الأولى سنة 1955 بالقاهرة.

(3)من رواد مدرسة فينا المصطلحية، ويعمل في مركز الدراسات المصطلحية (انفوترم) INFOTERM.

(4)هذا الرأي أدلى به الدكتور علي القاسمي في معرض بحث له في ندوة (تطوير منهجية وضع المصطلح العربي وبحث سبل نشر المصطلح الموحد وإشاعته) عمان (1993)، مجمع اللغة العربية.

(5)هو مدير قسم المعاجم بمكتبة لبنان، وصاحب (معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية) ومؤلفات شهيرة أخرى، وذو حضور مكثف في المجال المصطلحي النظري والتطبيقي.

(6)منهجية وضع المصطلحات العلمية الجديدة مع ترجمة للسوابق واللواحق الشائعة ، اللسان العربي ع19 ،1982 ص37.

(7)نشير هنا إلى رأي للأستاذ محمد رشاد الحمزاوي ورد في كتابه القيم (المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنسيطها) ينفي فيه وجود منهجية شاملة للعمل المصطلحي العربي، عازيا السبب إلى تشتت الجهود وتكاثرها وتفرد المؤسسات المعنية بوضع المصطلحات بمنهجية خاصة بكل منها. ويمكن تبرير هذا الرأي فقط في حدود توحيد المصطلح العلمي العربي الذي كان قوام كتاب الباحث وليس المنهجية بشكل عام. يشار إلى أن الباحث هو أصلا من صانعي هذه المنهجية ،حيث شارك في إعداد وثيقة(ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي)الرباط(1981)وندوة تطويرهذه المنهجية(عمان 1993).

(8)يذكر محمد شرف في مقدمة معجمه الهامة أن أحدا لم يسبقه إلى ذلك(أي التنظير المنهجي)، ففي القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كان أسلوب المعربين آنذاك يختلف باختلاف الشخص، وكانت طرق الوضع غير قويمة ولاتتفق في شيء مع قوام العربية(ص14 - المقدمة).

(9)لاأستطيع هنا ، أن أقطع برأي إن كان ثمة طرح منهجي لمعجم مختص في المرحلة التراثية، اتبعه مؤلفه في وضع المصطلحات أو ترجمتها وتعريبها.

(10)ينظر في ذلك تعليق المؤلف على مكابدته الصعاب في قراءات واسعة جدا في جمع المادة وتمحيصها.

(11)جاء في مقدمة المعجم إن وزارة المعارف المصرية عينت لجنة لفحص المعجم، بعد إلحاح خيّر من كبار العلماء، قبل اعتماده وطبعه، وجاء في تقريرها: (أنه أحسن قاموس طبي عمل لغاية الآن في اللغةالعربية، وتوصي اللجنة باقتنائه وتوزيعه على جميع طلاب مدرسة الطب والصيدلة).

(12)معجم انجليزي-عربي للعلوم الطبية والطبيعية،المقدمة ص 39 والشدف هو القطع؛قطع الشيء شدفه شدفة.

(13)المصدر نفسه، ص 21.

(14)المصدر نفسه، ص32-34.

(15)المصدر نفسه، ص 13.

(16)انظر مقدمة المصدر نفسه.

(17)المصدر نفسه.

(18)المصدر نفسه.

(19)المصدر نفسه ، ص 23.

(20)المصدر نفسه، ص20-22.

(21)في منهاجه الذي وضعه لرسم الأصوات، والحروف الأجنبية ثمة حد منهجي أدنى، ذلك أن منهجية الأصوات ما زالت إلى يومنا هذا مثار نقاش حاد. فالحرف (C) استخدمه كافا وقافا، والحرف G جيما وغينا،والحرف (K) قافا وكافا، والحرف (P) باء فارسية...هذا و لم تختلف منهجية شرف في ذلك كبير اختلاف عن منهجية مجمع اللغة العربية في تعريب الأصوات والحروف الأجنبية.

(22)المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ط 2(منقحة)، 1965. ص 24.

(23)المصدر نفسه، ص 93.

(24)المصدر نفسه، ص 93 (الحاشية).

(25)المصدر نفسه، ص84-87.

(26)المصدر نفسه، ص 89.

(27)الصعوبات المفتعلة على درب التعريب،اللسان العربي، ع27(1986)،ص32 ،وانظر كذلك ص ص 31-39.

(27 م) المصدر نفسه، ص 33.

(28)المرجع في تعريب المصطلحات العلمية والفنية والهندسية،مكتبة النهضة المصرية،ط 1958 وط1961(أوصى بنشره مجمع اللغة العربية بالقاهرة مع مقدمة للدكتور طه حسين)ص ص 289 - 290.

(29)المصدر نفسه ، ص 187.

(30)نشأ سنة 1932 وزاول أعماله المصطلحية سنة (1934).

(31)مرقون أصدره المعهد القومي للمواصفات والملكية الصناعية (تونس) الأمانة الفنية للجنة العربية رقم (5) لعلم المصطلح، والمنظمة العربية للمواصفات والمقاييس ، عمان ، ديسمبر / كانون الأول 1986.

(32)صدر القرار سنة 1965، ونشر في مجلة المجمع ع 7 ص 158.

(33)وثيقة توصيات ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي، (الرباط 1981)، المبدأ الخامس.

(34)المصدر نفسه ، الاقتراح (رقم 7).

(35)وثيقة توصيات (ندوة تطوير منهجية وضع المصطلح العلمي العربي وبحث سبل نشر المصطلح الموحد وإشاعته)،عمان(1993)البند رقم (15).

(36)انظر بالتفصيل: المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها، منشورات دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ط1، 1986.

(37)المصدر نفسه . ص 67، للتوسع بالأمثلة انظر ص ص63-68.

(38)وزعت مرقونة: ديسمبر / كانون الأول (1986م).

مصادر البحث ومراجعه

1-حجازي ، محمود فهمي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، مكتبة النهضة، القاهرة ، 1993.

2- الحمزاوي، محمد رشاد: المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها، منشورات دار الغرب الإسلامي، ط 1 ، 1986.

3-الحمزاوي، محمد رشاد: أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط 1، 1988.

4-الخطيب ، أحمد شفيق: التقييس والتوحيد المصطلحيان في الوطن العربي.(من محاضرات التقييس والتوحيد المصطلحيين في النظرية والتطبيق)تونس 13-17 آذار / مارس 1989،مكتبة لبنان ، بيروت.

5-الخطيب، أحمد شفيق: اللسان العربي، ع 19، 1982،(منهجية وضع المصطلحات العلمية الجديدة مع ترجمة للسوابق واللواحق الشائعة).

6- شاهين، عبد الصبور: العربية لغة العلوم والتقنية،دار الاعتصام، القاهرة ، ط 2 ، 1982.

7-شرف، محمد: معجم انجليزي عربي للعلوم الطبية والطبيعية / ط 1924، القاهرة.

8-الشهابي ، مصطفى: المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث،مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ط 2 (منقحة)1965.

9-فهمي، حسن حسين: المرجع في تعريب المصطلحات العلمية والفنية والهندسية،مكتبة النهضة المصرية ط 1 1958، و 1961، القاهرة.

10-القاسمي ، علي: المصطلحية: مقدمة في علم المصطلح دار الحرية للطباعة ، بغداد، 1989.

11-مجمع اللغة العربية، مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، مج 3، مارس 1962، مطبعة التحرير.

12-المعهد القومي للمواصفات والملكية الصناعية، تونس: مجموعة قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة (مرقون) ديسمبر / كانون الأول 1986.

13-المغربي ،عبد القادر: كتاب الاشتقاق والتعريب،القاهرة ، ط 2 ، 1947.

14-مكتب تنسيق التعريب ، قرارات مؤتمرات التعريب الأول (1961)، الثاني (1973)، الثالث (1977)، الرابع (1981)، الخامس (1985)، السادس (1988)، السابع (1994).

15-الملائكة، جميل: الصعوبات المفتعلة على درب التعريب، اللسان العربي ، ع 27(1986).

16-ندوة تطوير منهجية وضع المصطلح العلمي العربي وبحث سبل نشر المصطلح الموحد وإشاعته،مجمع اللغة العربية الأردني ومكتب تنسيق التعريب؛1993 عمان(وثيقة مرقونة).

17-ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي / الرباط (1981) (وثيقة مرقونة).

18-هـ ، فيلبر : اللغة والمهن: اللغة الخاصة ودورها في الاستعمال، ترجمة:محمد حلمي هليل وسعد مصلوح، اللسان العربي ، ع 33 (1989).

أهمية معاجم المعاني في استنباط المصطلح العلمي

د.محمد خليفة الأسود

أستاذ علم اللغة بقسم اللغة العربية

بجامعة السابع من أبريل- الزاوية- ليبيا

مقدمة:

إن المعاجم من أهم الوسائل التي تسهل التعريب، والإطلاع عليها،ودراستها تجعل المُعَرِّبَ قادراً على استنباط المصطلح العلمي الدقيق. لهذا يجدر بالمهتمين بالتعريب دراسة المعاجم والتمييز بين أنواعها المختلفة. ويتناول هذا البحث نوعا خاصا من أنواع المعاجم يجد المُعرّب فيه ضالته إذ يستطيع أن يتحصّل على مفردات كثيرة جدّا يمكن أن يستخدمها كمصطلحات للعلوم التي يبحث فيها، ويعرف هذا النوع **بمعاجم المعانيّ** وهي تخالف المعاجم العادية التي نستخدمها من حيث إنها تذكر فيها المعاني على هيئة أبواب ثم ترد فيها كل المفردات المتعلقة بتلك المعاني، ونحن نعرف أن المُعرِّبَ له معانٍ كثيرة يريد لها مفردات وهذا النوع من المعاجم يورد المعنى وله مفردات كثيرة يمكن استخدامها لمعانٍ مقاربة للمعنى التي وردت فيه ومن هذه المعاجم **المخصص** لابن سيده، **والألفاظ الكتابية** لعبدالرحمن بن عيسى الهمذاني.

وسيتناول هذا البحث التعريف بمعاجم المعاني والتنويه بأهميتها كوسيلة ناجعة في استنباط المصطلح العلمي، كما أنه سيعطي أمثلة من الموضوعات الواردة في معنى واحد والتي يمكن استخدام مفرداتها كمصطلحات في معانٍ جديدة مقاربة للمعنى الذي وردت فيه، ثم الوصول إلى أسلوب وطريقة يمكن بواسطتها تعريب المصطلح العلمي بالاستعانة بهذه المعاجم وذلك بتصنيف مفرداتها على حسب المعاني المستحدثة في مختلف العلوم.

1- المعاجم:

المعاجم جمع مفردها معجم، والمعجم كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها وتفسير معانيها على أن تكون مواده مرتبة ترتيبا خاصاً إما على حروف الهجاء أو على المواضيع، وأكمل المعاجم ما يضم كل كلمة في اللغة مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نطقها وشواهد توضح مواضع استعمالها(1).

ا- المعاجم عبر التاريخ:

من الأمم التي سبقت العرب في تأليف المعاجم الأشوريون والصينيون واليونان، وحيث إن الكشوفات الحديثة أثبتت أن الأشوريين هم العرب القدماء إذن فإن أجداد العرب هم أول من ابتكر المعاجم، وقد ألف الأشوريون معاجم بلغتهم السومرية القديمة وقد وضعوا هذه المعاجم في قوالب من الطين وحفظت في مكان يشبه المكتبة،وقد توصل إليها الكشف والبحث العلمي المعاصر واعتبرت من أم مصادر تاريخ الأشوريين.

وقد ألف الصينيون معاجم قبل العرب،ومن هذه المعاجم: معجم " يوبيان" الذي ألفه كوي ونج، ثم معجم شوفان الذي ألفه هوشن ،وهذان المعجمان هما الأساس الذي بنيت عليه معاجم اللغة الصينية واليابانية.

أما اليونانيون فقد ذكرت لهم مؤلفات كثيرة

وصفت بأنها معاجم ولكنها مفقودة لم تصل إلينا. والذين اهتموا من اليونان بتأليف المعاجم هم علماء الأسكندرية(2) في القرن الثاني قبل الميلاد نظراً لاهتمامهم باللغة لاشتهار الشعر والخطابة بينهم. وأشهر معجم يوناني هو معجم " يوليوس پولكس" وهو معجم مرتب على حسب المعاني والمواضيع، أما معجم" فاليروس فيلسكس فهو قريب من المعجم المعاصر وعنوانه " في معاني الألفاظ".

ب- بداية التأليف المعجمي عند العرب:

ورد في (مقدمة الصحاح) إن أول من استخدم كلمة المعجم رجال الحديث، وأول من عرّف(لفظ معجم)كان في القرن الثالث. فقد جاء في صحيح البخاري عنوان من تعبيره وهو قوله" باب تسمية من سمي من أهل بدر في الجامع الذي وضعه أبو عبد الله على حروف المعجم "(3). والجامع أحد كتب البخاري ويريد بأبي عبد الله نفسه. وللبخاري (التاريخ الكبير) رتب فيه أسماء الرجال على حروف المعجم مبتدئاً بالمحمدين. وأول كتاب أطلق عليه أسم المعجم هو " معجم الصحابة" لأبي معلى أحمد بن علي الموصلي المتوفى سنة307هـ،وقد ارتدفه أبو القاسم عبد الله بن محمد عبد العزيز البغوي المتوفى سنة 307هـ وسمى كتابيه اللذين ألفهما في أسماء الصحابة (المعجم الكبير) و(المعجم الصغير). ثم كثر إطلاق هذا اللفظ واستعماله بين من ألّفوا في الحديث وعنهم أخذه اللغويون.

وما يجب ملاحظته هنا التفريق بين بداية التأليف المعجمي عند العرب وإطلاق كلمة معجم على الكتب المؤلفة لحصر المفردات وبيان معانيها فتأليف هذا النوع من الكتب بدأ من القرن الثاني الهجري وذلك بوضع الخليل بن أحمد أول كتاب في حصر المفردات العربية وترتيبها وهو كتاب العين وتوفي الخليل بن أحمد سنة 175هـ.

أما إطلاق كلمة معجم على هذا النوع من التأليف فقد جاء متأخراً أي في القرن الرابع الهجري على أيدي أصحاب الحديث.

جـ- المعاجم العربية:

من خصائص اللغة العربية أن معظم ألفاظها يتكون من ثلاثة أصول، ومن خصائصها أيضاً إمكانية التصرف في تلك الأصول الثلاثة بحيث يتولد منها عدد غير قليل من الكلمات التي تدور في محيط واحد من المعنى وذلك ما يعرف عند اللغويين بالاشتقاق.وقد استفاد مصنفو المعاجم من هذه الخاصيّة استفادة كبيرة، فالخليل بن أحمد وهو أول من وضع معجما في اللغة العربية استطاع بواسطة الاشتقاق الأكبر" التقليب" أن يميز المهمل من المستعمل في اللغة فيدرج المستعمل في معجمه ويطرح المهمل.

وقد تنوعت المعاجم العربية في الترتيب والأهداف فهناك معاجم المفردات وهي المعاجم التي ترتب فيها المفردات ترتيباً خاصاً ثم يبحث عنها وعن معانيها بناء على الترتيب المعين، وهناك معاجم المعاني وهي التي يوضع فيها المواضيع المشتملة على مفردات كثيرة ويستفيد منها الكاتب والمُعَرِّب والمترجم.

د- معاجم المعاني:

إن معاجم المعاني هي المعاجم المرتبة على حسب الموضوعات فهي تعقد أبواباً وفصولاً للمسميات التي

تتشابه في المعنى أو تتقارب، وتورد كل المفردات المتعلقة بالموضوع، والعلاقة بين هذه المفردات هي أنها ذات معنى واحد أو في محيط واحد من المعنى، ومؤسس هذه الطريقة من طرق المعجم العربي أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة224هـ بتأليف معجمه(الغريب المصنّف).

ولما ألّف أبو عبيد (غريبه) فتح للناس باباً في التأليف اللغوي والتأليف المعجمي لم يكن مطروقا من قبل واتبع كثير من المؤلفين طريقته واتفق في اتباعه القدماء والمحدثون المعاصرون على السواء، اتبعه من القدماء أبو الحسن الأزدي في كتابه (المنجد فيما اتفق لفظه واختلف معناه) واتبعه ابن سيده في المخصص،وتوسع فيه كثيرا ومن المعاصرين مؤلف كتاب (الإفصاح).وبنظرة سريعة إلى واحد من معاجم المعاني تظهر لنا طريقتها في التأليف المعجمي، ففي بداية معجم المخصص لابن سيده يتناول المفردات المختصة بخلق الإنسان فيورد المواضيع الآتية:

1) خلق الإنسان.
2) الحمل والولادة.
3) أسماء ما يخرج مع الولد.
4) الرضاع والفُطام والغذاء وسائر ضروب التربية.
5) الغذاء السيء للولد.
6) أسماء أول ولد الرجل في الشباب والكبر.
7) أسنان الأولاد وتسميتها من مبدأ الصغر إلى منتهى الكبر.
8) اللذة والنزب.
9) ذكر شخص الإنسان وقامته.
10) الرأس.

وقد استغرقت المواضيع المتعلقة بالإنسان الجزء الأول من معجم المخصص الذي ضم أربعمائة وثلاثين موضوعاً تتعلق بالإنسان في سبعمائة وستة وسبعين صفحة تضم هذه المواضيع مفردات يمكن تصنيفها على حسب المعاني الأساسية المتعلقة بالإنسان، وهي كما يأتي:

1) خلق الإنسان وما يتعلق بخلقه إلى اكتماله.
2) أسماء أعضاء الإنسان المختلفة.
3) صفات الكلام وأعضاء النطق في الإنسان.
4) الصفات الغريزية في الإنسان.
5) الصفات المتعلقة بالنساء.
6) أسماء وأنواع لباس الإنسان.
7) أسماء وأنواع طعام الإنسان.
8) أسماء وأنواع الأمراض التي يتعرض لها جسم الإنسان.
9) أسماء وأنواع البيوت التي يقطنها الناس.(4)

2- المصطلح العلمي والجهود التي بذلت في صقله وتنسيقه:

المصطلح في أبسط صوره اسم لعلم من العلوم أو اسم لآلة تستخدم في وظيفة معينة فهو من حيث الوظيفة اللغوية مثل الاسم العَلَم يجب أن يعين مسماه بدون واسطة أخرى فبمجرد إطلاقه يجب أن ينصرف الذهن إلى ذلك العلم أو تلك الآلة، وحتى يؤدي المصطلح العلمي هذه الوظيفة لابد من أن يكون في استنباطه تحرٍّ لكل الملابسات التي قد تجعله غير دقيق وذلك مثل اختلاف أصوات اللغة المنقول منها المصطلح عن أصوات اللغة العربية أو الخطأ في الدلالة أو غيرها من الأشياء التي تؤثر في تحديد معنى المصطلح العلمي.

والاهتمام بتعريب المصطلح العلمي بدأ في الوطن العربي منذ بداية هذا القرن. ففي سنة 1920م أنشئت كلية الطب بدمشق وكان التدريس فيها باللغة العربية، وفي سنة 1938 بذلت في مصر جهود لتعريب المصطلحات العلمية،وكانت (مجلة رسالة العلم) التي تصدرها جمعية خريجي كليات العلوم منذ يناير سنة 1934 قد أخذت تنشر ما يتم ترجمته من المصطلحات في أعدادها كما أنها كانت بمثابة مدرسة تمرّس فيها الأساتذة بالكتابة العربية في الموضوعات العلمية الحديثة، وكانت قد نشرت في عددها الأول استفتاء حول تدريس العلوم باللغة العربية،وكان من رأي بعض الأساتذة أن يبدأ التدريس فورا باللغة العربية وأن هذه الطريقة هي الوحيدة السريعة لتعريب العلوم.

وكان مجمع اللغة العربية قد أنشىء كذلك في الثلاثينيات وكان للمصطلحات العلمية نصيب موفور من جهود أعضائه ولجانه، وقد استعان المجمع بخبراء من أساتذة الجامعات يضعون التعريف الدقيق للمصطلح العلمي، وكانت مهمة المجمع منحصرة في وضع الصيغة العربية الصحيحة لترجمة المصطلح أو تعريبه.وقد قطع المجمع في هذا المجال شوطا كبيراً وبلغت مجموعات المصطلحات التي قام بتعريبها وترجمتها إحدى عشرة مجموعة تضم بضع عشرات من الألوف من المصطلحات،وكان مرور المصطلح في لجان الخبراء في مجلس المجمع ثم في المؤتمر كفيلا بصقله ووضع أحكم الترجمات وأصلحها وأصحها(5).

وكان عقد المؤتمر العلمي الأول في الأسكندرية في سنة 1953 فرصة مواتية لعرض مشكلة المصطلحات العلمية على المؤتمرين من العلماء العرب، وقد عرضت المشكلة مرة أخرى بصورة أوضح في المؤتمر العلمي العربي الثاني الذي عقد في القاهرة سنة 1955 حيث أعدت قوائم لبضعة آلاف من المصطلحات العلمية باللغات الأجنبية وأمامها الترجمات العربية المستعملة في بعض الدول العربية مثل سوريا والعراق ولبنان والأردن ومصر كما عرض أمام بعضها الترجمة التي أقرها مجمع اللغة العربية.

وعندما عقد المؤتمر العلمي العربي الثالث في بيروت سنة 1957 اتفق على توحيد الترجمة العربية لبضعة آلاف من المصطلحات،كما عرضت على المؤتمر العلمي العربي الرابع الذي عقد في القاهرة سنة 1961 مجموعة من المصطلحات في العلوم الكيميائية والطبية والجيولوجية والنبات والحيوان والحشرات والرياضيات تبلغ نحو خمسة عشر ألف مصطلح.

وقد حظيت مشكلة المصطلحات العلمية في المؤتمر العلمي العربي السادس الذي عقد بدمشق سنة 1969 بعناية فائقة وكان تنظيم ندوات المصطلحات مما حقق أكبر الفائدة وأتاح الفرصة للقاء المختصين لمناقشة مجموعات المصطلحات من رياضية وطبيعية وكيميائية وجيولوجية ونباتية وحيوانية وحشرتية وطبية وغيرها.

وقد تبين للمؤتمرين أنه ما زال هناك خلاف على ترجمة بعض المصطلحات وأنه لا بد من توزيعها على المختصين ليدلي كل برأيه ثم جمع المصطلحات المختلف في ترجمتها لعرضها في لقاءات أخرى قصد الاتفاق على ترجمتها أو تعريبها(6)،لأن من الأهمية بمكان توحيد الترجمة العربية للمصطلحات العلمية كما تبينت ضرورة

إتاحة فرص اللقاء بين المختصين في العلوم والمجمعيين في اجتماعات دورية شفوية مما يمكن أن يؤدي إلى نتيجة حاسمة في أقل مدة يمكن أن تنتهي بمعجم علمي عربي موحد تلتزم به الهيئات العلمية والتعليمية في البلاد العربية كافة. كما طالب المؤتمر الدول العربية بأن تنشيء لجاناً للتعريب تتعاون مع المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الرباط على أن يرسل الاتحاد العربي ما أنجزه في حقل المصطلحات إلى الهيئات العلمية في البلاد العربية.

وهناك جهود لهيئات وأفراد في هذا المجال لا بد من الإشادة بها فهي قد أضافت لبنات بنّاءة في تعاريب العلوم فقد أشرف المجلس الأعلى للعلوم في مصر على ترجمة بعض الكتب العلمية وقد قام على الترجمة هنا وهناك عدد من الأساتذة المختصين بذلوا في ذلك جهودا مقدورة مشكورة خاصة وقد ذيلوا هذه الكتب بقوائم للمصطلحات العلمية التي وردت في هذه الكتب. كذلك أشرفت جامعة الدول العربية على إصدار المعجم العسكري الموحد وهويضم نحو ثمانين ألف مصطلح وبه، إلى جانب مصطلحات العلوم العسكرية، مصطلحات في الطب والطبيعة والهندسة والرياضيات وغيرها. وهناك كذلك معجمات رائدة في هذا المجال مثل (معجم شرف) و(معجم الأمير الشهابي) و(معجم المعلوف).

ونظراً لأن المصطلح العلمي يكون في الغالب وافداً إلى اللغة العربية من لغات أخرى مختلفة لهذا لابد لنا من توضيح الوسائل والطرق التي يفد بها هذا المصطلح إلى لغتنا. ومن هذه الطرق والوسائل " التعريب" و" الترجمة"، فسنتناول ماهية ومجال كل منهما وأولوية أحدهما على الآخر وكيفية الترجمة وأشهر المترجمين مع الوقوف على شروط الترجمة الصحيحة والانتهاء بتحديد ما يجب ترجمته.

3- التعريب والترجمة:

التعريب يختص بالألفاظ دون الأفكار، فهو يقصد به تعريب المفردات الأعجمية على صيغ عربية أو نقلها إلى العربية بإيجاد مقابل لها في اللغة العربية يحمل معناها الأصلي أو يقرب منه.

ونظرا لأن التعريب قد يدخل ألفاظا غريبة في اللغة واشتقاقات متكلفة فقد أثار جدلا كبيراً بين علماء اللغة، ومن ذلك الجدل ما دار في نادي دار العلوم، ففي سنة 1908 أقيم في هذا النادي جمع هام لمناظرة حول موضوع وضع ألفاظ جديدة للكلمات الأجنبية الوافدة على البلاد العربية بحكم اتصال الحضارات والثقافات بين الشرق والغرب وبين العرب وغير العرب، وذهب الناس في هذا الموضوع مذاهب شتى إلا أن الموضوع حدد في مسألتين: أتعرّب الألفاظ الأعجمية الجديدة على صيغ وأبنية توافق البناء العربي؟ أم توضع لها كلمات عربية جديدة تدل على معانيها الأصلية في لغاتها، فالرأي الأول يرى أن استخدام التعريب في هذه المرحلة أولى لأننا في أمس الحاجة إلى تعريب المصطلحات والإسراع في ذلك، والرأي الثاني يرى أن الترجمة أولى بالرغم مما قد تأخذه من وقت.

فكان من أنصار الترجمة في هذه المناظرة اللغوي محمد الخضري إذ وقف إلى جانب التعريب وعرفه بأن يؤخد من المخترع للشيء المسمى واسمه بعد أن يصقلوه بألسنتهم حتى يكون خفيفا عليها مناسبا للهجتها، ورأى الخضري أن هذا هو الطريق المعقول الذي اتبعه العرب

منذ عصر الترجمة واتبعته كل أمة من أمم العالم (8). أما حفني ناصف فكان من المضادين للتعريب المطلق وهاجم سياسة إثراء اللغة العربية بألفاظ معربة ووسمها بسياسة الباب المفتوح.

وانتهت المناظرة بين الفريقين إلى اتخاذ قرار يجعل للترجمة المكان الأول على أن يجيء التعريب بعد ذلك إذا كان الوضع غير متيسّر، واشترط لذلك أن يعتمده مجمع لغوي يؤلف لهذا الغرض. وعند انتهاء المناظرة وصل المناظرون إلى القرار الآتي: بعد سماع ما قاله جميع الخطباء في موضوع تسمية المسميات الحديثة قرر " نادي دار العلوم" أن يكون العمل على النحو الآتي:

يبحث في اللغة العربية عن أسماء للمسميات الحديثة بأي طريقة بين الطرق الجائزة لغةً فإذا لم يتيسّر ذلك بعد البحث الشديد يستعار اللفظ الأعجمي بعد صقله ووضعه على مناهج العربية ويستعمل في اللغة الفصحى بعد أن يعتمده المجمع اللغوي الذي سيؤلف لهذا الغرض(19).

وقد عرّف التعريب أحد أشهر المترجمين في العصر الحديث وهو أنيس المقدسي بقوله " التعريب أن يتفوّه العرب باللفظ الأعجمي على مناهجهم كقولك " بوتقة" لما يذيب به الصائغ المعادن،و" مهرجان" عيد كبير، ودينار وقيصر وطاولة وتلغراف وأمثالها، ولا يكون ذلك عادة إلا في المفردات"(10).

ا– تعريف الترجمة:

لقد ورد لفظ الترجمان في القاموس المحيط بضم التاء والجيم " تُرْجُمان" وبفتح التاء وفتح الجيم ومعناه المفسّر للسان،وهو مأخوذ من مادة "ت.ر.ج.م" وهذه المادة يطلق عليها الصرفيون اصطلاح " الفعل الرباعي المجرّد" عندما تكون في الصيغة الفعلية " ترجم" ومصدر هذا الفعل " ترجمة". فإذن الترجمة هي التفسير للسان والمقصود باللسان الكلام الأعجمي " غير العربي"، والترجمة عند الإطلاق تعني النقل من لغة إلى أخرى كما أنها تطلق ويراد بها تاريخ حياة الإنسان ومنها سميت الكتب التي تتناول شخصيات تاريخية بكتب التراجم.

وقد تعرض الجوهري في صحاحه إلى لفظ "ترجم" على المعنى الأول فقال" ويقال قد ترجم كلامه بلسان آخر ومنه الترجمات والجمع تراجم"(11).وعرّف أنيس المقدسي الترجمة بقوله" الترجمة نقل الأفكار من لغة إلى لغة؛أو هي تفسيرالكلام بما يقابله في لسان آخر" (12).

ب–مجال كل من الترجمة والتعريب:

للتعريب والترجمة مجالان رئيسيان هما مجال الآداب والعلوم. فالتعريب يختص بمجال العلوم مثل الكيمياء والطبيعيات والاقتصاد والأحياء، ويضم مجال الآداب الشعر والخطابة والمحاضرات ،كما أن هناك مجال ثالث يمكن عده ضمن مجال العلم هو مجال المعاملات التجارية والاقتصادية. فالتعريب أليق بها من الترجمة. وقد بين مجالات التعريب والترجمة اللغوي المشهور أنيس المقدسي في بحثه في مجلة المقتطف عدد مارس (1929) بعنوان: "أصول الترجمة والتعريب"، ويمكن لنا تلخيص ذلك فيما يلي:يقول أنيس المقدسي" للتعريب والترجمة منطقتان رئيسيتان منطقة الآداب ومنطقة العلوم، فالمنطقة الأولى تضم الشعر والخطابة والرسائل والمحاضرات أو كل كلام نفيس يصلح أن تحفظه الأجيال لجماله أو لتأثيره.ولما كان المنهاج الأدبي العالي لا يتسع للمصطلحات

والأوضاع الغربية كانت الأولوية في هذه المنطقة للترجمة دون التعريب وذلك بديهي فإن الأدب يتناول جمال المؤثرات في النفس وتدوين أقدرها بطريقة شائقة أو هو كما قال بعضهم تجسيم الجمال المطلق بالألفاظ،ومصادر الجمال لا تنحصر في جيل أو قطر ولكن أثرها النفسي يختلف باختلاف الأفراد والجماعات وبالتالي يظهر في كل أمة على منهاجها الخاص. فالمبدأ الأساسي في منطقة الأدب إذن أن يعمد الكاتب إلى الكلام الأعجمي فيترجمه بكلام عربي فصيح يسوقه على منهاج العرب،ويتناول الفصيح هنا من غير العربي الصميم ما عربه الأقدمون واستعمله كتابهم وشعرائهم.

أما المنطقة الثانية فتتناول ما حقق ونظم من المعلومات الطبيعية والاجتماعية كأصول الكيمياء والفلك والطبيعيات والطب والاقتصاد والآثار وعلوم النفس والأحياء، وغاية العلم التوصل إلى الحقيقة المثبتة ولذلك ترى أربابه يتوخون في ما يفعلونه الدقة لأداء المعنى خاليا من التعقيد والإلتباس، على أن ما ينقلونه لا يتعدى أحد أمرين: مجرّد وهو الاسم المعنوي ، ومحسوس وهو اسم الذات، فإن كان الأول مثلا مندوحة في الأغلب من الترجمة لأن أسماء المعاني الغربية تضيق حوصلة اللغة عنها، أما إذا كان المنقول في باب أسماء الذوات فله أحكام ومبادئ منها:

1) إذا كان للاسم مرادف في العربية،أصيلاً كان ذلك المرادف، أو دخيلا، فاستعمال مرادفه أولى من تعريبه ككثير من الأوضاع النباتية والحيوانية والطبية والفلكية التي وضعها من سبقنا من علماء العرب.

2) كل ما يستطاع نقله إلى اللغة ويسهل عليها هضمه وتمثيله بحيث يدل تماماً على ما كان يدل عليه من قبل فترجمته أولى مثل" طيارة" "سفير" "مدمرة" "مؤتمر".

3) كل ما ألفت ترجمته وجرى في مجاري اللغة فيجب المحافظة عليه لأنه أصبح من مادة اللغة،ومن الخطأ استبدال ترجمة جديدة به إلا إذا كانت أوضح دلالة وأسهل استعمالاً،ومن أمثلة ذلك"نواة"و"مذهب النشوء".

4) كل ما ليس له صورة أو مثال في العربية أو كل ما يسهل إدخاله في نصاب اللغة ولا سيما إذا كان في ترجمته تكلف ومشقة قد تضيع بها الحقيقة المنشودة فتعريبه أولى، وعلى هذا جرى الأقدمون وتاريخ كل لغة شاهد بصحته، ومن ذلك المصطلحات الآتية" أكسجين" "هيدروجين" " جيولوجيا" " بكتيريا" .

أما المنطقة الثالثة للتعريب والترجمة والتي يمكن ضمها إلى منطقة العلوم هي منطقة المعاملات التجارية والصناعية والزراعية وما يشابه ذلك من أنواع العلاقات بين الناس، ويجب أن يتوخى في هذا المجال الاقتصاد والسهولة والبعد عن التأنق الأدبي، ولذلك فإن التعريب قد يستخدم في هذا المجال أكثر من الترجمة ، ولاتستخدم الترجمة في هذا المجال إلا في الألفاظ الأعجمية التي يعسر التلفظ بها أو مما يبعد عنه المنهاج العربي أولا يكون لهذه الألفاظ مقابل في العربية ككاتب بدل سكرتير أو أن تكون هذه الألفاظ من باب المجرّدات والصفات كقولنا "شركة ضمانة الحياة المحدودة".

ج- أسبقية التعريب للترجمة:

تاريخيا قد سبق التعريب الترجمة، ففي تراثنا العربي لم تترجم المعارف والعلوم إلا بعد تعريب الدواوين، يقول محمود رزق سليم في كتابه "تاريخ الأدب العربي في عصر

بني أمية والعصر العباسي": حولت دواوين الخراج إلى اللغة العربية في شتى البلاد الإسلامية وكانت من قبل تكتب بلغة الإقليم التي هي فيه فهي في العراق بالفارسية وفي الشام بالرومية وفي مصر بالقبطية فتحوّلت دواوين العراق إلى العربية في عهد عبد الملك بن مروان كما حولت دواوين الشام من الرومية إلى العربية في عهد عبد الملك بن مروان أيضاً وكان الذي حولها له في الشام إلى العربية سليمان بن سرور فدبّ الحزن إلى قلب سرجون الكاتب بالرومية حتى قال لمن معه من كتاب الروم: اطلبوا الرزق من غير هذه الصنعة فقد قطعها عنكم.ولما حول صالح بن عبد الرحمن السجستاني للحجاج دواوين العراق إلى العربية أراد كتّاب الفرس أن يحولوا بالمال بينه وبين ذلك فبذلوا له مئتي ألف درهم على ألا يفعل فأبى فقالوا: قطع الله أصلك من الدنيا بعد أن قطعت أصل الفارسية؛ ومنذ ذلك الحين نقل ديوان العراق وكان الذي يتولى الكتابة فيه زادان فروج بن بيري.

أما ديوان مصر فقد حوله عبد الله بن عبد الملك بن مروان أمير مصر من قبل الوليد بن عبد الملك،وكان يقوم بالكتابة فيه بالقبطية: انتناش القبطي، فصرفه عبد الله وأقام مكانه يربوع العنزاري(13). فتعريب الدواوين وتعريب المصطلحات المختصة بها سبق الترجمة إذ أن التعريب كان في الدولة الأموية، والترجمة نشأت وازدهرت في العصر العباسي. ونظراً لأن التعريب لا ينقل الفكر وإنما ينقل اللفظ الأعجمي ويجعله عربيا لهذا لم يهتم العلماء به اهتمامهم بالترجمة.

د- كيفية الترجمة:

للترجمة من اللغات الأخرى إلى العربية طريقتان أنشأهما علماء التراث واتبعهما المترجمون المحدثون مع قليل من التهذيب والتطوير. وهما طريقة المترجم يوحنا ابن البطريق وطريقة المترجم حنين بن إسحاق.

يقول الصلاح الصفدي؛ للترجمة في النقل طريقتان: إحداهما طريقة يوحنا بن البطريق وابن ناعمة الحمصي وغيرهما، وهو أن ينظر إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى فيأتي الناقل بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها وينتقل إلى أخرى كذلك حتى يأتي على ما يريد تعريبه،وهذه الطريقة رديئة لوجهين، **أحدهما**:أنه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع كلمات اليونانية ولهذا بقي في خلال التعريب كثير من الألفاظ اليونانية على حالها. **ثانيهما**: إن خواص التركيب والنسب الإسنادية لا تطابق نظيرها في لغة أخرى دائما،وإنما يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهي كثيرة في جميع اللغات.

الطريقة الثانية هي طريقة حنين بن إسحاق والجوهري وغيرهما وهو أن يأتي المترجم بالجملة فيحصل معناها في ذهنه ويعبر عنها في اللغة الأخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الألفاظ أم خالفتها وهذه الطريقة أجود.

وقد مزج المترجمون المحدثون بين الطريقتين وترجموا لنا الكثير من العلوم والمعارف والفنون والآداب.

ومن رواد الترجمة في العصر الحديث يعقوب صَرُّوف واختص بترجمة العلوم،وأحمد حسن الزيات واختص بترجمة الآداب.

1- يعقوب صَرُّوف:

يعقوب صروف هو محرر مجلة المقتطف التي أنشئت

سنة 1876 ، واختصت هذه المجلة منذ نشأتها بالترجمة والتعريب وذلك لاهتمامها بنقل علوم الغربيين وفنونهم وصناعاتهم ووسائل تقدمهم العلمي إلى الوطن العربي وفي هذه المجلة تعرّض يعقوب صَرُّوف إلى طريقة الترجمة فقال: تنقسم المعاني المراد ترجمتها إلى اللغة العربية إلى أربعة أنواع:

ا-معاني على سبيل الحقيقة المألوفة.

ب- معاني على سبيل المجاز المألوف.

جـ-معاني على سبيل المجاز غير المألوف.

ويرى أن المعاني التي على سبيل الحقيقة المألوفة مثل: ركوب الخيل، وشرب الماء، وهذه المعاني تترجم إلى ما يدل على معناها في العربية فنقول ركب الفرس وشرب الماء، أما المعنى الذي لم يُؤْلَف لدينا بل هو طارئ على معانينا وأفكارنا فنترجمه بلفظه وما يقاربه فنقول اطلِق المدفع فإن الإطلاق لم يكن معروفاً لدى العربي على صورته الحاضرة،والمعنى المجازي مثل" أيقظ الفتنة وفرّق الشمل" فليس هناك صعوبة في إيجاد المعنى الذي يرادف ذلك في العربية، والمعنى المجازي غير المألوف في العربية مثل:"لعب فلان دوره" و "ذَرّ الرماد في العيون".فطريقة ترجمة هذه الاستعارات والعبارات المجازية التي من هذا القبيل أن نفتش أولاً عما يرادفها أو يقاربها من الاستعارات العربية فإن لم نجده وصادفت العبارة الافرنجية منّا استحساناً لها لخفة لفظها وسهولة إدراك معناها أبقيناها على حالها.

2- أحمد حسن الزيات:

يعتبر أحمد حسن الزيات من أشهر المترجمين المحدثين المتخصصين في ترجمة الآداب والفنون وبيّن لنا طريقته في الترجمة بقوله:" أما كيف أترجم فإني أذكر لك أولا مذاهب العرب في الترجمة ثم أذكر لك المذهب الذي ارتضيته واتبعته".وبعد ذكره للطريقتين اللتين أشار إليهما الصلاح الصفدي وهما طريقة ابن البطريق وطريقة حنين ابن إسحاق قال هذان مذهبا التراجمة في الإسلام ولا ثالث لهما عندهم، وأن الذي اتبعته في كل ما ترجمت توفيق بين المذهبين، يجمع ما فيهما من المحاسن.

وينفرد الزيات في ترجمة الآثار الأدبية بمزية لم يمتز بها المترجمون الأولون لأنهم لم يعالجوا إلا ترجمة العلوم والفلسفة عدا ابن المقفع، تلك المزية هي استشعار التجربة العاطفية التي شعر الكاتب أو الشاعر ليكون التعبير عنها قوياً صادقاً، فهو يقول عن نفسه" إنني أنقل النص الأجنبي إلى العربية نقلاً حرفيّا على حسب نظمه في لغته ثم أعود فأجريه على الأسلوب العربي الأصيل فأقدم وأؤخر دون أن أنقص أو أزيد ثم أعود ثالثة فأفرغ في النص روح المؤلّف وشعوره باللفظ الملائم المجاز المطابق وأنسق المنتظم فلا أخرج في هذه المراحل الثلاث إلا وأنا على يقين جازم بأن المؤلّف لو كان كتب قصته أو قصيدته باللغة العربية لما كتبها على غير هذه الصورة، ومن هنا كانت الترجمة على هذا النحو أشق وأتعب لأن المؤلّف ينقل مباشرة من ذات نفسه إلى ذات قلمه، أما المترجم فإنه ينقل من لغة تخالف لغته كل الاختلاف في تأليف الجملة ونظم الأسلوب"؛فالزيات قد بين أن طريقته في الترجمة هي الطريقة التي اتبعها علماء التراث إلا أنه أضاف إليها استشعار التجربة العاطفية التي شعر بها مؤلف النص ثم أشار إلى أن مهمة المترجم أصعب وأشق من مهمة المؤلف لأن المترجم يحاول تطويع لغة عصية لمعان غريبة عنها أما

المؤلف فهو يستعمل لغته السهلة لنقل أفكاره.

هـ- شروط الترجمة الصحيحة:

إن أول من تكلم في فن الترجمة ووضع شروط لها الجاحظ حيث يقول؛ لا بد للمترجم من أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها حتى يكون فيها سواء وغاية.ورأى نفس الرأي أحد المترجمين المحدثين حيث يقول فالفهم يسبق النقل ولابد لفهم المتن المراد نقله من إجادة اللغة التي ينقل إليها النص إذن يجب أن يكون المترجم حاذقاً للعلم الذي يترجمه، عالماً باللغتين المنقول منها والمنقول إليها.

وحذق الأفكار شرط كذلك في الأعمال الأدبية المنقولة إذ يرى أحد الباحثين المعاصرين أن المترجم الذي يوفق في ترجمة الشعر لابد أن يكون شاعراً في اللغة التي ينقل إليها،ولابد للمترجم من ملاحظة الأشياء الآتية لتكون ترجمته دقيقة وسليمة، وهذه الأشياء هي:

ا) الأسلوب.

ب)طريقة الأداء.

جـ) ذوق اللغة المنقول إليها.

ويجب على المترجم أن يضع نصب عينيه ما قيل من أن إدراك مظاهر الجمال سواء بين الأمم وإنما اختلافهم في الشعور والتأثر النفسي بهذا الجمال.ولهذا اختلفت الثقافات ووجب أن تكون الترجمة ملائمة لثقافة اللغة المنقول إليها.

وقد أكد المترجمون على ضرورة المحافظة على نقل روح النص فقد قال أحد المترجمين والكتاب المشهورين في جملة مقتضبة: قال: لن يتسنى للقارئ أن يكوّن فكرة صحيحة عن كاتب ما إلا إذا روعيت الحرفية الدقيقة في ترجمته آثار ذلك الكاتب دون إخلال بروح النص فضلا عن حرفه، وكذلك يؤكد المترجمون ضرورة تطويع اللغة المنقول إليها. وقد استعمل أحمد حسن الزيات هذه العبارة في مقام الكلام على الفرق بين التأليف والترجمة من حيث المشقة والتعب فالمؤلف ينقل مباشرة من ذات نفسه أما المترجم فينقل من لغة تخالف لغته كل الاختلاف من نواح كثيرة، فجهد المترجم تطويع اللغة العصية لقبول المعاني الأجنبية قبولا لا يظهر فيه شذوذ ولا نشوز، وهذا التطويع وهذه المراعاة للأسلوب اللغوي لا يأتيان إلا من تمكن المترجم في لغته التي ينقل إليها، فإذا كان متمكنا من ناصيتها سهلت عليه عملية التطويع للعصي من المعاني الأجنبية، وقد أشار المترجمون المحدثون إلى أنه لا بد قبل النقل من إجادة اللغة التي ينقل إليها النص فإذا قصدت اللغة بالناقل عز عليه أن يترجم ترجمة صحيحة يعول عليها وجاء كلامه مهلهلاً لا يضبط معنى ولا يؤدي رسالة محدودة الأهداف، ومن شروط الترجمة الصحيحة للألفاظ أن يستغني قدر الإمكان عن ترجمة اللفظة الأجنبية بجملة قد تقصر أحيانا وقد تطول بعض الحين،والإيجاز البليغ شرط في صحة الترجمة وجودتها.

و- ماذا نترجم؟:

قد أجاب المترجمون المحدثون على هذا السؤال بقولهم إن الاهتمام الأول في الترجمة ينبغي أن ينصرف إلى الكتب التي تعد مراجع ومصادر قبل الكتب التي تعد ترفا فكريا فلا نزال نشكو صعوبات كثيرة عند ترجمة الكتب العلمية بسبب افتقار اللغة إلى المصطلحات المتفق عليها التي تنقل إلى القارئ العربي المعاني العلمية المصطلح على

أسمائها باللغات اللاتينية، وكل كاتب يتصدى للترجمة يسعى إلى وضع تعبيرات وألفاظ تروق له وقد لا تروق لغيره بل لعلها تجانب الصواب وتدل على سوء فهم،ولسن ينقذنا من هذا إلا ترجمة كتب المراجع أي أمهات الكتب في أبواب المعرفة جميعا. ففي الفلسفة يترجم لسقراط وأفلاطون وأرسطو وديكارت وهيجل ووليم جيمس ودارون وآخرين ، وفي علم النفس يترجم لفرويد وأولر وبقية المتأخرين،وفي التاريخ يترجم لونستن تشرتشل وهكذا. فترجمة هؤلاء العلماء الأعلام تمكننا من أن نستقر استقراراً واضحاً على أسس الأدب والعلوم والفنون،ومتى عرفنا الأسس والأصول فقد يهون علينا أن ننتقل إلى الفروع والنتائج.

4- المصطلح العلمي بين النقل والتعريب:

النقل هو أن ننقل المصطلحات العلمية أيا كانت اللغة المكتوبة بها بحروف عربية تؤدي أصوات حروف اللغة المنقول عنها.

أما التعريب فهو نقل المصطلحات العلمية إلى اللغة العربية مغيرة في الحروف والأوزان إلى حروف العرب وحدها وإلى أوزان كلمهم أو ما يقاربها وأنها لا تنقل أبدا كما ينطقها أهلها (14).

فالتعريب قد يبعدنا عن نطق المصطلح نطقا صحيحا حيث إن حروف اللغة العربية وطريقة اشتقاقاتها تبعد المصطلح العلمي عن لغته، فعند الرجوع إليه بلغته قد يجد الباحث فرقا شاسعا بين المصطلح الأصلي والمصطلح المعرب، ولهذا فإن النقل قد يكون أفضل من التعريب مع إجراء بعض التعديلات في أصوات المصطلح المراد إدخاله إلى اللغة العربية، فإذا توسعنا في دراستنا لأصوات حروف الأبجديات الأخرى قديمة وحديثة وحاولنا إضافة أصوات جديدة على هذه الدراسة بقصد إنشاء أبجدية عربية خاصة بنقل المصطلح العلمي إلى العربية استطعنا النقل بيسر وسهولة على أن يكون القيام بهذا العمل الكبير جماعياً.

5- مقترح حول نقل المصطلح العلمي:

أرى أن تتبنى هيئة عامة في أي قطر عربي،ولتكن على سبيل المثال أمانة الثقافة أو مؤسسة معنية بالدراسات اللغوية العربية، الاهتمام بنقل المصطلحات الأجنبية فتدعو عن طريق وسائل الإعلام العلماء العرب المتخصصين في سائر لغات الأمم المتقدمة القديمة والحديثة الشرقية والغربية ليوفوا هذه الهيئة المقترحة بأبحاث في أصوات حروف الأبجدية التي تخصص فيها كل منهم مثل الأبجدية العربية والعبرية والفارسية واليونانية القديمة واللاتينية والأردية والسريانية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية وغيرها، على أن يسهم علماء الأصوات العربية بعامة بأبحاث يضمنونها أسلوبهم وتجاربهم الصوتية في تأدية أصوات حروف اللغات التي ينقلون عنها.وعندما تتجمع هذه الأبحاث تحاول الهيئة المقترحة دعوة من استجاب إلى طلبها حيث تناقش الدراسات المختلفة وتنسق أصوات الأبجديات المختلفة وتحدد الأصوات التي تقصر الأبجدية العربية عن أدائها والاتفاق على رموز صوتية جديدة تمكن الأبجدية العربية من النقل الدقيق السليم، ومن الممكن تسمية هذه الرموز " الرموز الصوتية العربية لنقل المصطلح العلمي" ثم تنشر هذه الرموز الصوتية،في كافة أنحاء الوطن العربي،في كتب تكون في متناول الباحث والمترجم على غرار أصوات

الأبجدية العالمية.

وهذه الأبجدية الصوتية سيكون لها كيانها الخاص المستقل بوصفها مرشدا للباحث أو المترجم العربي ولن يترتب على ذلك أي مساس بأبجديتنا العربية التي يجب أن تبقى على حالها الذي ورثناه وعرفناه كتراث قوي غير خاضع للتغيير والتبديل، فهذه الأبجدية الصوتية ذات هدف خاص هو نقل المصطلح العلمي نقلا سليما بحيث يستطيع الباحث أن ينطقه في المحافل الدولية والمؤتمرات نطقا صحيحا ويكتبه كتابة صحيحة لتكون بحوثه مفهومة من قبل العلماء والمتخصصين في مجاله في جميع أنحاء العالم (15).

6- وسائل استنباط المصطلح العلمي:

بعد أن درسنا المصطلح العلمي من حيث النقل والتعريب واطلعنا على ماهية كل من الترجمة والتعريب ومجاليهما يمكننا الآن تصور أسلوب وطريقة نستطيع بواسطتها استنباط المصطلح العلمي الذي يمكن أن يذاع وينتشر، وهي كما يلي:

1) عند اختيار المصطلح العلمي علينا البحث عنه أولاً في معاجم المعاني وذلك باختيار الموضوع المناسب للمعنى الذي في ذهن المُعَرِّب ثم اختيار أنسب الألفاظ التي وردت في ذلك الموضوع.

2)أن تقوم الهيئات اللغوية المختصة بدراسة صوتية لاستنباط أبجدية خاصة بتعريب المصطلحات العلمية ولو بإضافة أصوات غير موجودة في العربية من لغات أخرى مثل الفارسية خاصة بالمصطلح العلمي.

3)أن يكون المُعَرِّب متعمقا في اللغة العربية وفي اللغة الناقل منها.

4) أن تساهم هيئة قومية في تعريب المصطلح العلمي يشترك فيها كل قطر عربي له رغبة في تعزيز اللغة العربية وتقوية الدراسات العلمية في قطره.

هوامش

1) انظر **مقدمة: صحاح الجوهري**، حول تاريخ الحركة المعجمية.

2) Introduction to theoretical linguistics ,John Lyons , Cambridge University press.p.8-10.

3) **مقدمة الصحاح**.

4) **المخصص**، أبو الحسين علي بن إسماعيل بن سيده، دار الفكر- ج1 ص15.

5) انظر مجلة **العربي**، تعريب العلم في البلاد العربية، ع.141، أغسطس،1970،ص34.

6) المصدر السابق. نفس البحث.

7) **فن الترجمة في الأدب العربي**، محمد عبد الغني حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة،ص19.

8) المصدر السابق، ص11-12.

9) المصدر السابق، ص13.

10) مجلة **المقتطف**، أصول الترجمة والتعريب، أنيس المقدسي، عدد مارس 1929 ، ص 271.

11) **تاج اللغة وصحاح العربية**، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، مادة الترجمة.

12) مجلة **المقتطف**، عدد مارس 1929.

13) مجلة **المقتطف**، عدد مارس 1929.

14) مجلة **العربي** ، التعريب هل يؤدي حقاً إلى تدني المستوى العالي،ع 284 ، يوليو 1982 ،ص50.

15) مجلة **العربي**، أسماء الأعلام والمصطلحات العلمية والأجنبية بين النقل الملتزم والتعريب،عدد 238 ،سبتمبر 1978،ص58.

مشروع منهجية خاصة بتعريب المصطلح الطبي وإنجاز المعجم الطبي العربي

الأستاذ إدريس بن الحسن العلمي

خبير سابق بمكتب تنسيق التعريب

توطئة

من كل القواعد والضوابط والملاحظات والاقتراحات المتعلقة بمنهجية تعريب المصطلح العلمي عامة والطبي خاصة، والمتفرقة أشتاتا في عدة مراجع والمقتبسة من توصيات بمختلف المؤتمرات اللغوية والعلمية والتعريبية، ومن قرارات مجامع اللغة العربية ومقالات ومؤلفات أساطين اللغة والتعريب،نقول من كل ما تقدم (كما جاء في كتابنا " مدخل لتعريب الطب ") رأينا من المفيد أن نستخلص مشروع منهجية لتعريب المصطلحات يجمع كل هذه الأشتات في ثلاثة مناهج:

I) المنهاج اللغوي

II) المنهاج التقني

III)المنهاج الإداري

وارتأينا أن نرمز في بداية أو نهاية كل قاعدة أو ضابطة من هذه القواعد والضوابط إلى مصدرها أو مرجعها بالرموز والترخيمات التالية:

1)**الرموز:**

(*) مجمع اللغة العربية بالقاهرة

(×)مؤتمرات التعريب

(O)مصدر من مصادر عامة للمشتغلين بالتعريب

() ضابطة في المنهجية الغربية

(=) تواطؤ مصدرين أو أكثر من المصادر المذكورة أعلاه على الضابطة

2)**الترخيمات:**

(مج) مجمع اللغة العربية بالقاهرة

(مؤ) مؤتمرات التعريب

(عم)مصدر من مصادر عامة للمشتغلين بالتعريب

(غر) ضابطة في المنهجية الغربية

1 –المنهاج اللغوي

1– إيجاد المصطلحات العربية العلمية والطبية

أ) **الوضع:**

(=) إذا كان اللفظ الأعجمي يدل على مفهوم علمي جديد وليس له مقابل في لغة الضاد، ترجم بمعناه كلما كان قابلا للترجمة،أو اشتق له لفظ عربي مقارب بوسائل الاشتقاق،والمجاز، والنحت.وإذا تعذر اللفظ العربي بالوسائل المذكورة،عمد إلى التعريب(الاقتباسي) مع مراعاة قواعده على قدر المستطاع(مج)و(عم).

(=) ضرورة وجود مناسبة،أو مشاركة،أو مشابهة بين مدلول اللفظ اللغوي ومدلوله الاصطلاحي، ولا يشترط في المصطلح أن يستوعب كل معناه العلمي(مؤ)و(غر).

(=)وضع مصطلح واحد للمفهوم الواحد،أي المضمون

الواحد ،في الحقل الواحد(مؤ) و(مج) و (عم)و(غر).

(=)تجنب تعدد الدلالات للمصطلح الواحد، في الحقل الواحد، وتفضيل اللفظ المختص على اللفظ المشترك(مج)و(مؤ).

(O) النظر إلى المدلول العلمي للمصطلح الأجنبي قبل معناه اللغوي،فكثيرا ما يكون واضع المصطلح الأجنبي غير موفق كل التوفيق في اختياره،وعندئذ لا يصح أن يترجم المصطلح الأجنبي ترجمة فيقع واضع مقابله العربي في نفس الخطأ.

(O) ينبغي في المصطلح العربي أن تتوافر فيه السلامة في اللغة، والسهولة في الأداء،والوضوح في الفكرة،والدقة في التعبير.

(=) ينبغي للمصطلح المعرب تعريبا اقتباسيا أن يكون منسجما مع الذوق العربي(مج)و(عم).

(=)ينبغي في المصطلح المكون من كلمة مركبة أن تكون هذه الكلمة غير نابية عن الأسماع ولا تبعد عن أصلها أو أصولها.(مج)و(عم).

(*) يجوز الاشتقاق من أسماء الأعيان-للضرورة- في لغة العلوم،ويراعى في هذا الاشتقاق القواعد التي سار عليها العرب.

(*) الأخذ بمبدإ توهم أصالة الحرف عند الضرورة.

(*) الأخذ بمبدإ القياس في اللغة على نحو ما أقره مجمع اللغة العربية بالقاهرة من قواعد، والاجتهاد فيه متى توافرت شروطه.

(*) يصاغ المصدر الصناعي من كلمة بزيادة ياء النسب والتاء عليها مثل:(عصبية=Nervosité)، و(أرجية = Allergie)و(أديسونية=Addisonisme) .

(*) يصاغ للدلالة على الحرفة أو شبهها من أي باب من أبواب الثلاثي مصدر على وزن (فعالة) بالكسر مثل:(جراحة=Chirurgie) و(كِحالة= Ophtalmologie)...الخ.

(*) يقاس المصدر على وزن (فعلان) للفعل اللازم مفتوح العين، إذا دل على تقلب واضطراب مثل (غثَيان = Nausée)و(سَيَلان=Gonorrhée)...الخ.

(*) إن لم يرد في اللغة مصدر ل(فعل)اللازم مفتوح العين، الدال على صوت،يصاغ له قياسا مصدر على وزن (فعال) مثل(صُراخ)أو(فعيل) مثل(شَهيق) يصاغ مصدر على وزن (تفعال) للدلالة على الكثرة والمبالغة.مثل(تهيام)و(تجوال).

(*) تتخذ صيغة(التفاعل)للدلالة على الاشتراك مع المساواة أو التماثل لتؤدي المصطلحات العلمية التي تتطلب هذا التعبير.

(*) تصاغ(مفعلة)قياسا من أسماء الأعيان الثلاثية الأصول للمكان الذي تكثر فيه هذه الأعيان. سواء أكانت من الحيوان،أم من النبات،أو من الجماد.مثل (مزرعة) للمكان الذي يكثر فيه الزرع أو (متوتة) لمكان التوت.

(*) يصاغ قياسا من الفعل الثلاثي للدلالة على الآلة التي يعالج بها الشيء لفظ على وزن(مفعل) أو(مفعلة) أو (مفعال) وتجوز صياغته على وزن (فعالة).

(*) يصاغ (فعال) للدلالة على الاحتراف أو ملازمة الشيء.فإذا خيف لبس بين صانع الشيء وملازمه، كانت صيغة(فعال) للصانع،وكان النسب بالياء لغيره. فيقال(زجاج) لصانع الزجاج و(زجاجي)

لبائعه.

(*) يصاغ (فعال) للمبالغة من مصدر الفعل اللازم والمتعدي مثل (جرّاح = Chirurgien)و (فصّاد = Phlébotomiste) الخ.

(*) يصاغ(استفعل)لإفادة الطلب أو الصيرورة مثل: (استقطب=Polariser) و (استنزف=Exsanguiner).

(*) ينسب إلى جمع التكسير عند الحاجة، كإرادة التمييز أو نحو ذلك مثل:(أحيائي=Biologiste)و (أخلاقي = Ethique).

(*) يصاغ (فعل)للتكثير والمبالغة والتعدية مثل:(حلّل= Analyser)و (لقّح=Vacciner) و (خدّر= Narcotiser).

(=) تفضل الكلمة الواحدة على كلمتين فأكثر،عند وضع اصطلاح جديد إذا أمكن ذلك،وإذا لم يمكن ذلك تفضل الترجمة الحرفية.(مج)و (عم)و (غر).

(*) يفضل اللفظ العربي على المعرب الاقتباسي القديم إلا إذا اشتهر المعرب.

ب) الأساليب:

(=) استقراء وإحياء التراث العربي وخاصة ما استعمل من مصطلحات علمية وعربية صالحة للاستعمال الحديث، وما ورد فيه من ألفاظ معربة تعريبا (اقتباسيا) عن طريق جرد استقصائي شامل لجميع المفردات العربية المدونة في مختلف الكتب العلمية، والفنية، واللغوية.(مج) و (مؤ) و (عم).

(=) استخدام الوسائل اللغوية في توليد المصطلحات العلمية الجديدة باتباع الأفضلية،طبقا للترتيب التالي: التراث فالتوليد. (مج) و (مؤ) و (عم).

(=) تفضيل الكلمات العربية الفصيحة،المتواترة،على الكلمات المعربة تعريبا(اقتباسيا).(مؤ) و (مج) و (عم).

(=) تفضيل الكلمة التي تسمح بالاشتقاق على الكلمة التي لا تسمح به.(مج)،(مؤ)،(عم).

(=) تفضيل الكلمة الشائعة على الكلمة النادرة أو الغريبة. (مؤ)،(مج)،(عم).

(=) عند وجود ألفاظ مترادفة في مدلولها ينبغي تحديد الدلالة العلمية الدقيقة لكل واحد منها، وانتقاء اللفظ العلمي الذي يقابلها.(مؤ)و (غر).

(=) يختار للمصطلح أقرب لفظ من مدلوله العلمي ويخصص به،ولا يشترط فيه الدلالة التامة على معناه. وذلك بتضمين اللفظ العربي معنى جديدا في نطاق علمي،غير معناه اللغوي الأصلي (عم)و (غر).

(=) تجميع المصطلحات الحديثة التي أقرتها المجامع،أو استعملتها الجامعات،أو معاهد التعليم العالي. أو تواضعت عليها الهيئات العلمية،أو جاءت بها المعاجم الجديدة،أو التي جردت واستخرجت من كتب التراث القديم العلمية واللغوية،ثم تصنيفها حسب العلوم، أو الفنون أو المواضيع التي تنتمي إليها،على نحو ما عمل ابن سيده في كتابه(المخصص).(مؤ) و (عم)و (مج).

(=) تفضل الاصطلاحات العربية القديمة على الجديدة إلا إذا شاعت.(مج) و (عم).

ت) المؤهلات:

(O) ينبغي لواضع المصطلحات أن يكتسب الخبرة اللازمة عن طريق التمرس بوضع المصطلحات وتحقيقها.(عم)

(O) ينبغي لواضع المصطلحات العربية أن يمتلك ذوقا أدبيا خاصا يجعله مطلعا حق الاطلاع على مدى الاشتقاق، ومدى التضمين والمجاز، ومدى النحت، ومدى التعريب (الاقتباسي).

(=)ينبغي لواضع المصطلحات أن تكون له المعرفة العلمية اللازمة المتصلة بموضوع الاصطلاح،مع إتقان العربية، والتعمق في اللغة الأجنبية المنتمي إليها المصطلح المقصود بالتعريب.(مج)و(عم).

2- إجراءات لغوية

(×) إيجاد معاجم عربية للمصطلحات الطبية القديمة والحديثة مع شروحها.

(×) إيجاد معاجم طبية انكليزية-فرنسية- عربية.

(×) وضع خطة للنماذج والوسائل الطبية باللغة العربية.

(×) الاهتمام بالتراث العربي الطبي،والمساعدة على تحقيق نصوصه ونشرها على أفضل وجوه النشر.

(×) يطلب من المؤلفين في العلوم الطبية،في البلاد العربية أن يلحقوا بكتبهم العلمية معجما يبين الكلمات التي يرون تبديلها،مذيلة بشروح تبرر أفضلية الألفاظ التي يقترحونها.

(×) تدرس لجنة عليا للمصطلحات ،الألفاظ المقترحة المذكورة في النقطة السابقة، ثم تقرر رفضها، أو قبولها بإثباتها في طبعات المعجم الصادر عن اللجنة التابعة لجامعة الدول العربية، المنصوص عليها في النقطة الأولى في المنهاج الإداري والسياسي من المنهجية الطبية.

() يراعي في تعريب المصطلح الطبي الأجنبي أن يكون هذا المصطلح مطابقا لقرارات الهيئة الدولية أو الوطنية المختصة في ميدان معين.

() إذا لم يوجد أي قرار من تلك القرارات،فإنه يراعى الاستعمال المتداول.

() ينبغي للمصطلح الأجنبي ولمقابله العربي أن يعنيا عين المفهوم وأن يكونا خاليين من كل إبهام.

() ينبغي للمصطلح أن يكون مطواعا يساعد بالخصوص على اشتقاق ألفاظ مفردة ومركبة بحيث يصلح للاستعمال في كل سياق وفي كل غرض،سواء فيما يخص نصوصا،أو عناوين مؤلفات أو جداول..الخ.

() يفضل المصطلح المفرد على المصطلح المركب،وتفضل الكلمة الواحدة على كلمتين.

() ينبغي للمصطلح أن يكون مقتضبا، ومن الأفضل أن يكون من كلمة واحدة، وأن يكون استحضاره سهلا ونطقه سهلا.

(O) ينبغي للمصطلح العربي أن لا يكون خلاسيا،فلا هو عربي ولا هو عجمي.

() القيام بجرد كامل،بقدر الإمكان،للمصطلحات الأعجمية المستعملة في العلوم التي لها صلة بالطب،وذلك باستخراجها من الكتب الأجنبية المعتمدة من الهيئات الطبية الدولية أو من العلماء الذين يعتبرون حجة في علوم الطب،ثم إرفاق كل مصطلح منها بمقابله العربي، وبتعريف يحدد معناه لا كما تفهمه مدرسة بعينها في وقت معين،بل باعتبار الفوارق والتغيرات في الزمان والمكان.

3- قواعد وضوابط لغوية:

(*) عند تعريب أسماء العناصر الكيميائية التي تنتهي بالمقطع(ium) يعرب هذا المقطع بـ (يوم) ما لم يكن

لاسم العنصر تعريب أو ترجمة شائعة فيعرب منتهيا بالمقطع (يوم) إلى جانب تعريبه الشائع.

(*) تستعمل صيغة النسب مع الألف والنون في كل الاصطلاحات الطبية التي تنتهي الكلمة الافرنجية منها بحروف(oide) أو (forme) أو (like) ما لم يتناف هذا الاستعمال مع الذوق العربي.

(*) كل كلمة أجنبية فيها الكاسعة(oide) التي تدل على التشبيه والتنظير تترجم في الاصطلاحات العلمية بالنسب مع الألف والنون مثل:(غرواني، سمسماني) فيما يشبه الغراء والسمسم.

(*) تترجم الكاسعة(oide) بكلمة (شبه) فيقال (شبه غرائي)و(شبه مخاطي) و(شبه ظهاري) مقابلا بها: (Epithélioïde) (Mucoïde) (Colloïde).

(*) تترجم الكاسعة(gène) بكلمة (مولدة) فيقال(مولدة المرسب) و(مولدة المضاد) مقابلا بهما (Precipitinogène) و(Antigène).

(O) تترجم المصطلحات الطبية المنتهية بالكاسعة(gène) عندما تكون تفيد تسبيب الشيء، بصياغة المقابل العربي على وزن(مفعلة) فنقول مثلا (ممرضة لتعريب المصطلح (Pathogène) أو (مسقمة).

(*) تترجم الكلمات المنتهية ب (able) بالفعل المضارع المبني للمجهول،ويترجم الاسم منها بالمصدر الصناعي فيقال (يذاب) و(يؤكل) و(لايذاب) و(لايؤكل) ويقال (المذوبية = Solubilité).

(*) الكلمات الأجنبية المنتهية بالكاسعة (scope) ينظر في معناها فإن استطعنا أن نشق منها اسم الآلة على وزن (مفعال) فعلنا،وتضاف ياء النسب إلى المشتقات منه، وإن لم يمكن اشتقاق اسم الآلة من المعنى،أو حالت دون ذلك صعوبات أخرى،وضع للآلة لفظ(مكشاف) مضافا إلى عمل الآلة. وتكون المشتقات بالنسب إلى المضاف إليه أولا،ثم المضاف.

(*) في ترجمة المصطلحات الأجنبية المبدوءة بالصدر (Hyper) تستعمل كلمة (فرط)في مقابلته، والمبدوءة بالصدر (Hypo) تستعمل في مقابلة كلمة(هبط) فيقال مثلا: (فرط الحاسية) مقابلال (Hypersensitivité).

(*) يترجم الصدر(an) أو (or) أو(a) الذي يدل على معنى النفي بـ (لا) مركبة مع الكلمة المطلوبة فيقال مثلا: (اللاجفن)مقابلا لـ(Ablépharie) و(اللامقلة) مقابلا لـ (Anophthalmie).

(*) تلتزم صيغة واحدة تجري عليها كلمات الجنس الواحد،فما يراد به الكشف وضعنا له صيغة (مفعال) (Scope) وما يراد به القياس،وضعنا له صيغة(مفعل) (Mètre) وما يراد به الرسم وضعنا له صيغة (مفعلة).

(*) بما أن الضرورة العلمية في وضع المصطلحات تقتضي استعمال صيغة(فعل) للداء تجاز اشتقاق (فعال) و(فعل) للدلالة على الداء سواء أورد له فعل أم لم يرد.

أمثلة (فعال): زُكام و سُعال و صُداع ...الخ.

وأمثلة (فعل):"جَرب" و"بَرص" و"رَمد" ...الخ.

(*) إذا أريد صنع مصدر من كلمة يزاد عليها ياء النسب والتاء. ويسمى هذا بالمصدر الصناعي ويصلح لمقابلة جل المصطلحات التي آخرها (isme)،مثل: (مورفونية= Morphinisme) و(قندية=Gonadisme) و(مركزية الذات= Egocentrisme)

(*) تستعمل صيغة (افتعال) مشتقة من العضو،بمعنى المطاوعة،للإصابة بالالتهاب. أمثلة: (اكتباد = Hépatite)و(امتعاد= Gastrite) و(ارتحام = Métrite).

(O) نظرا إلى وجود أمراض التهابية يتعذر صوغ أسمائها على(افتعال) إما لكون أسماء أعضائها من أصل رباعي مثل التهاب (المعثكلة)و(البربخ) و(السمحاق) وإما من أصل ثلاثي فما فوق ولكن لا يتأتى صوغ (افتعال) منه بكفية تساعد على استبانة اسم العضو والمصاب،وذلك مثل التهاب (الشريان)،نقترح استعمال صيغة (افتعلال) بدل (افتعال). وتحذف بعض الحروف من اسم العضو عند اشتقاق اسم مرضه الالتهابي على هاتين الصيغتين إذا ما دعت الضرورة إلى ذلك.

وبناء على ذلك يمكن تعريب المصطلحات التالية كما يلي:

صيغة "افتعلال"	الإنجليزي	الفرنسي
اشتريان	arteritis	artérite
ابترباخ	epididymitis	épididymite
اعتثكال	pancreatitis	pancréatite
استمحاق	periostitis or periosteitis	périostite

II -المنهاج التقني

(*) تكوين هيئة تعمل على إنشاء مركز للمعلومات تسجل فيه جميع المصطلحات العلمية الموحدة بالحاسوب.

(*) إدخال ما وضعته مجامع اللغة العربية والجامعات من مصطلحات في الحاسبات الاليكترونية بهدف نشرها وتوحيدها.

(O) الإفادة من الوسائل التقنية الحديثة في الفهرسة والاسترجاع.

(O) مشروع الذخيرة اللغوية:

يهدف هذا المشروع إلى إنجاز بنك من المعلومات اللغوية على غرار ما أنجز من بنوك المعلومات الاقتصادية، والإدارية،والسياسية وغيرها،وما أنجز من ذلك في ميدان اللغة والمصطلحات العلمية،والتقنية باللغات الأجنبية. وهذا يقتضي أن يدون بكيفية منتظمة كل ما ورد في النصوص القديمة والحديثة ذات الأهمية الكبيرة، كأمهات الكتب في الأدب والعلوم المختلفة،وكل ما استعمل بالفعل بمعنى من المعاني،وأن يستعان على ذلك بالأجهزة الإلكترونية الحديثة المهيأة لهذا النوع من التدوين، وأن توزع الأعمال على فئات من الباحثين والخبراء في مستوى العالم العربي.

والذخيرة اللغوية هي عبارة عن قاموس جامع للألفاظ العربية. ويتميز هذا القاموس عن غيره من القواميس بما يلي:

1)يكون له ثلاثة أشكال:

أ-شكل تسجيل في ذاكرة الرتاب(الحاسب).

ب-شكل مجزة عادية تحتوي على (ميكروفيشات) كل واحدة من 60 صفحة.

ت- شكل كتاب عادي (موسوعة لغوية).

2)يحصر جميع الألفاظ التي وردت في المعاجم العربية، والألفاظ التي استعملت بالفعل في نص من نصوص أمهات الكتب القديمة والحديثة،والآثار الأدبية،والعلمية، والتقنية،منذ العصر الجاهلي حتى عصرنا الحاضر، مع

الإشارة إلى انتماء الكلمة أو العبارة إلى الفصيح المسموع عن الفصحاء السليقيين،أو المولد الذي جاء على قياس كلام العرب.

3)يذكر كل السياقات الحقيقية التي ورد فيها اللفظ،ولا يخترع الأمثلة كما تفعله المعاجم الحديثة بل،يثبت جميع سياقاته من أمهات الكتب،والآثار الأدبية والعلمية التي ورد فيها اللفظ مع ذكر المرجع بدقة،ولا يكتفي بالسياق الواحد.

4) ترتب فيه الأوضاع اللغوية(في ذاكرة الرتابة)شتى الترتيبات:

أ- ترتيب ألفبائي (الانطلاق من الألفاظ).

ب-ترتيب ألفبائي بحسب مجالات المفاهيم (الانطلاق من المعاني).

ت-ترتيب بحسب تواتر الكلمة(عدد المرات التي ظهرت في النصوص).

ث-ترتيب بحسب درجة شيوع الكلمة،أي ذيوعها في البلدان العربية، أي بحسب اتساع رقعة استعمالها.

ج- ترتيب بحسب العلوم والفنون.

هذا، وتنقسم الذخيرة إلى قسمين:

أ- بنك المعلومات اللغوية(وفيه يندمج بنك المصطلحات).

ب- المعجم المحرر.

أما الأول فهو عبارة عن رصيد لغوي ضخم جدا جمعت ورتبت فيه المادة الخام(الألفاظ مع سياقاتها)التي دونها وجردها الباحثون مع ذكر كل المعلومات الإضافية الضرورية (التواتر، والشيوع ،والمرجع،ومصدر الأخذ).

والثاني هو عبارة عن موسوعة يحرر فيها العلماء بحوثا حول كل لفظة.فكل باب أو مدخل من هذا المعجم يحتوي على ما يلي:

1- تحليل دلالي للفظة،انطلاقا من السياقات وحدها، ثم تحديدات علماء اللغة القدامى إن وجدت. وذلك بـ:

- التوضيح الدقيق للمعنى الوضعي للمادة الأصلية (الجذر).

- التوضيح الدقيق للمعنى الوضعي والمعاني الفرعية لكل كلمة اشتقت من تلك المادة(بالتمييز بين المعاني الفنية وغيرها).

-ذكر المقابل الانكليزي والفرنسي لكل كلمة إن وجد،أو ما يقرب منه،مع بيان الفروق التصورية.

2- تعليق نحوي صرفي وجيز (وصوتي وهجائي إن اقتضى الحال) بالاعتماد على ما ذكره علماء اللغة والنحو قديما(مع ذكر المراجع).

3-تعليق تاريخي للمادة وفروعها(انطلاقا من تحليل النصوص أو المقارنة بينها):

- بيان أصل الكلمة إن كانت من الدخيل،وتفسير تكييفها.

- ذكر تاريخ أول ظهور الكلمة في النصوص(الأصيلة والدخيلة).

-ذكر تاريخ أول تحول دلالي للكلمة(والسياقات التي ظهرت فيها المعاني المستحدثة).

-ذكر تاريخ آخر ظهور لها إن اختفت في الاستعمال.

-وصف إجمالي تفسيري للتطور اللفظي والدلالي للكلمة.

- بيان نظائر الكلمة في اللغات السامية(مع ذكر المواد الأصلية).

4-ذكر درجة تواتر الكلمة حسب العصور والبلدان، وبالنسبة للآثار العلمية،والأدبية إن اقتضى الحال.

5- بيان شيوع الكلمة الجغرافي حسب العصور أيضا).

6-ذكر المرادفات والأضداد التي تجانسها في المفهوم.

7- ذكر الدراسات التي خصصها العلماء لهذه الكلمة أو تلك المادة.

ويتضمن المنهاج التقني لتعريب المصطلح الطبي على الخصوص ذخيرة لغوية (طبية) بإحداث بنك من المعلومات اللغوية بواسطة الرتابات المعلوماتية (أو الحاسبات الإلكترونية Ordinateur). ويتميز بما يلي:

-خزن المصطلحات الطبية العربية في العقل الالكتروني بعد جردها من كتب الطب العربية القديمة منها والحديثة.

- خزن المصطلحات الطبية التي أنجزت تعريبها مختلف الهيئات والمؤسسات التعريبية في جميع الأقطار العربية مع مقابلاتها الانكليزية والفرنسية مرتبة ترتيبا ألفبائيا في الصور التالية:

1)-ترتيب ألفبائي عربي.

2)-ترتيب ألفبائي فرنسي.

3)-ترتيب ألفبائي انكليزي.

4)-ترتيب مضموني عربي انكليزي فرنسي (thématique).

-خزن جميع المصطلحات الطبية الفرنسية والانكليزية المعربة منها وغير المعربة بعد جردها من المعاجم الطبية الفرنسية والانكليزية ومن المجلات وجميع المكاتب الطبية العلمية الصادرة في كلتا اللغتين المذكورتين وبالأخص من (المعجم الفرنسي للطب وعلم الحياة) الذي ألفه (مانويلا) وأصدرته دار (ماصون) بباريس سنة 1981 وبعد جردها كذلك مع مقابلاتها العربية من معاجم التعريب الطبية الانكليزية العربية والفرنسية العربية ومن مجموعة المصطلحات الطبية التي أقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة وسائر المعربات الطبية الصادرة عن مختلف الهيئات التعريبية في الكتب والمجلات والنشرات الطبية الخ....

-استخراج قائمة من العقل الالكتروني لجميع ما اختزنه من المصطلحات الطبية الانكليزية والفرنسية التي بقيت بدون مقابل عربي وإحالة هذه الحصيلة الاصطلاحية الأعجمية غير المعربة على الهيئات المختصة من أجل إنجاز تعريبها.

- خزن كل مصطلح تم تعريبه من المصطلحات المتقدمة الذكر في العقل الإلكتروني.

-استخراج قائمة كاملة شاملة لجميع المصطلحات الطبية المعربة المخزونة في العقل الإلكتروني على نحو يسمح باستصدار معجم طبي تعريبي ثلاثي اللغات في الصور التالية:

معجم ألفبائي انكليزي-فرنسي- عربي.

معجم ألفبائي فرنسي- انكليزي-عربي.

معجم ألفبائي عربي - انكليزي - فرنسي.

معجم مضموني انكليزي - فرنسي-عربي.

III -المنهــاج الإداري

(*) التزام كليات الإعلام ومعاهده في جميع الأقطار العربية بدراسة اللغة العربية وآدابها.

(*) عقد دورات تدريسية للمعلمين في الوطن العربي للنطق السليم وباللغة الصحيحة.

(*) إنشاء هيئة في جميع المؤسسات الإذاعية العربية تتولى مراقبة المذيعين وإرشادهم (مج).

(*) إلزام مدرسي التعليم الأساسي التكلم بلغة عربية سليمة(مج).

(*) توحيد المصطلحات والرموز العلمية في الوطن العربي(مج).

(*) حرص حكومات الدول العربية على أن تكون اللغة العربية السليمة لغة وسائل الإعلام المرئية والمسموعة وكذلك مسارح الدولة (مج).

(*) استخدام المصطلحات التي تم إقرارها وتوحيدها بشتى وسائل الاستخدام: في المحاضرة، والحديث، والترجمة والتأليف.

- العناية بتدريس اللغة الأجنبية ،وخاصة في المرحلتين الثانوية والعالية، والحث عليها، بما لا يضر تعليم اللغة العربية، ويحقق المردود النافع من تدريس اللغات الأجنبية (للاتصال المستمر بسائر اللغات الأجنبية والانفتاح عليها).(مؤ).

-قيام " المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" بدراسة ظواهر الضعف في طرائق تعليم اللغة العربية واستعمالها، واتخاذ جملة الوسائل التي تساعد على معالجة هذه الظواهر معالجة ناجعة في مختلف جوانب الحياة ومراحل التدريس (مؤ).

-الاهتمام بالتراث العربي العلمي، والمساعدة على تحقيق نصوصه ونشرها على أفضل وجوه النشر(مؤ).

-تنشيط التأليف باللغة العربية والترجمة إليها واتخاذ كل المشجعات لتحقيق ذلك.

- إحداث مركز عربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر يكون جهازا من أجهزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ويستهدف المساعدة على تعريب التعليم ولا سيما العالي منه وذلك بتأمين احتياجاته من الكتب والمراجع والدراسات في مختلف ميادين المعرفة والعلوم باللغة العربية، عن طريق الترجمة والتأليف والنشر، والعناية بالبحوث العلمية التي تنشر في أمهات الدوريات العالمية وترجمتها إلى العربية. والنهوض بالتأليف مضمونا وأداء.

- تدرج دراسة المصطلحات وفق نظام مراحلي:

المرحلة الأولى : الجمع والاستقراء والاستقصاء.

المرحلة الثانية: إيكال التعريب إلى اختصاصيين أو لجان فنية تشارك فيها الأقطار العربية.

المرحلة الثالثة: تنظيم الندوات المتخصصة للتمحيص والدراسة، والتحقق من مطابقة المفهوم العربي للمفهوم الأجنبي، واختيار مقابل عربي واحد للمصطلح الأجنبي ما أمكن ذلك.

-استخدام اللغة العربية لغة للتدريس في جميع مراحل التعليم وإعداد المصطلحات العلمية الموحدة المناسبة لذلك(مؤ).

- تأصيل اللغة العلمية يجب أن يساير مراحل التعليم كلها، منذ بدايتها حتى المراحل العليا في البحث العلمي.

-توحيد المصطلح العلمي وتطبيقه واستعماله وتداوله في كل مجالات الحياة أداء وإبلاغا(مؤ).

- اتفاق الحكومات العربية على برنامج محدد يسع الأوضاع الجامعية على اختلافها، أساسه تبادل التجارب والخبرات بين الأقطار التي قطعت شوطا في التعريب والأقطار التي لا تزال حديثة عهد به. وتقدم الحكومات العربية القادرة مساعدتها للدول الأخرى في مجالات البرامج والكتب والوسائل وتبادل الأبحاث والمؤلفات والمطبوعات الجامعية على أوسع نطاق وخاصة المتون الأساسية، والعناية بنشر البيانات عنها للتعريف بها(مؤ).

(O) وضع معجم انكليزي- عربي، ومعجم فرنسي- عربي لأهم المصطلحات العلمية، والفنية، والمخترعات الحديثة، وذلك في أربع سنوات، وتنفق على هذا العمل دول الجامعة العربية، وتعتمده في مدارسها ومؤسساتها.

(O) تتبع الألفاظ والأساليب الشائعة في الصحف، والمجلات، والمسارح والإذاعات، والوسائل، والكتب واتخاذ المجامع اللغوية قرارات بصلاحها أو عدم صلاحها وبتهذيب ما يحتاج منها إلى تهذيب ثم اتخاذ قرارات إدارية وطنية بشأن إقرار الصالح والمهذب منها،ومنع رواج غير الصالح منها، ثم اتخاذ قرارات سياسية لتطبيق القرارات المجامعية اللغوية على الصعيد العروبي أي في سائر البلاد العربية.

(×)تكليف " المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" بمراقبة إنجاز التعريب، وتأمين بعض وسائله، وتذليل عقباته، والعمل على حل مشكلاته في الأقطار العربية المختلفة، وتقديم تقريرها السنوي إلى مؤتمر وزراء التعليم العالي، متضمنا ملاحظاتها واقتراحاتها.

(×) اعتماد اللغة العربية للتدريس في الجامعات العربية بصفة عامة وفي كليات الطب بصفة خاصة.

(×) جعل اللغة العربية لغة لمباشرة مهنة الطب، والمهن المتصلة به ومزاولتها.

(×) توفير الوسائل العلمية والعملية لتعليم الطب باللغة العربية بصفة تدريجية، مع إتقان اللغات الحية الأخرى وفي مقدمتها الانكليزية والفرنسية.

(×) التنظيم والتنسيق على الصعيد العروبي للتأليف بالعربية والترجمة إليها، في أهم المجالات الطبية، مع الحث بالأخص على تعريب بعض أمهات الكتب الطبية الأجنبية، وخاصة الدراسية منها.

(×) تنشيط التأليف باللغة العربية والترجمة إليها في مجال العلوم الطبية واتخاذ كل المشجعات لتحقيق ذلك.

(×) العمل على توحيد المصطلحات الطبية بواسطة لجنة طبية عروبية مركزية تتفرع عنها لجان طبية تعريبية وطنية ومحلية تتمثل فيها بمندوبين عن كل لجنة.

(×)اتخاذ قرارات إدارية وسياسية من لدن حكومات الدول العربية من أجل تطبيق المصطلحات الطبية الموحدة الصادرة عن اللجنة العروبية المركزية.

(×) تنسيق الجهود بين مختلف كليات الطب والهيئات

والمؤسسات الطبية في الوطن العربي.

(×) إيجاد مركز طبي على الصعيد الوطني يسهر على تطبيق النقط المذكورة أعلاه ويكون له مندوبون في هيئة عروبية طبية لتنسيق العمل في نطاقها.

(×) تأليف لجنة من المشتغلين بالمصطلحات الطبية على أن ترتبط بجامعة الدول العربية. وتضع هذه اللجنة معجما جديدا للمصطلحات تقوم بتجديد طبعه حينا بعد حين، وتثبت في كل طبعة جديدة جميع المصطلحات الحديثة، كما تبدل فيه الكلمات التي ثبت وجود ما هو أفضل منها، وتضمنه الكلمات التي ولجت باب العلم من جديد، واقترحت لها مصطلحات مناسبة.

(×) تعتمد هذه اللجنة المعاجم الطبية التي سبق وجودها في البلاد العربية.

(×) يطلب من المؤلفين في العلوم الطبية في البلاد العربية التقيد بما جاء فيها من ألفاظ صالحة.

(×) تؤلف لجنة فرعية في كل بلد عربي تساعد اللجنة العليا بعملها، وتجمع لها عناصر المواضيع التي تبحثها في مؤتمرات سنوية.

(×) تعقد مؤتمرات سنوية بإشراف اللجنة العليا يحضرها مندوبون عن كل لجنة فرعية.

(×) اتفاق الحكومات العربية على برنامج محدد يسع الأوضاع الجامعية على اختلافها، أساسه تبادل التجارب والخبرات بين الأقطار التي قطعت شوطا في تعريب الطب، والأقطار التي تزال حديثة عهد به، وتقديم الحكومات العربية القادرة مساعدتها للدول الأخرى في مجالات البرامج والكتب والوسائل وتبادل الأبحاث والمؤلفات و المطبوعات الجامعية على أوسع نطاق، وخاصة المتون الطبية الأساسية، والعناية بنشر بيانات عنها للتعريف بها.

(×) تشجيع تبادل الأساتذة والطلاب والمحاضرين في مجال الطب على أوسع نطاق بين الجامعات العربية لتحقيق شيوع الخبرات وتنميته في المجالات الطبية وشبه الطبية على اختلاف أنواعها ودرجاتها.

مشاريع معجمية

==========

المعجم الموسوعي

للمعرب والدخيل في اللغة العربية

(القسم الثاني من الجزء الأول)

الدكتور/ مناف مهدي الموسوي

*(**الأباشة**)الجماعة.نقول:جاءت أباشة من الناس.

و(الأُشابة)من الناس: الأخلاط والرعاع.

وقال الجواليقي:الأشائب قيل إنها فارسية معربّة. أصلها (شوب) قال الأخْنَس بن شَرِيق:

فوارسها من تغلب ابنة وائل
حماة كماةٌ ليس فيهم أشائِبُ

و(**البُوش**)الجماعة المختلطة و**الأوْبَاش** جمع.

و(**بَاشَ**) القوم: اختلطوا، فضجُّوا.

و(**تَبوَّش**) القوم: اختلطوا.

كل ذلك مأخوذ من (**أُبَاش**) الفارسيّة،وهي جماعة من كل أشكال الناس.

وقالوا فيها أيضاً: **أبَشَ وأبّشَ** الشيء ،أي جمعة وتأبّشَ.

(المعرب: 75، الألفاظ:7،وغرائب:216).انظر مادة(الأشائب)

*(**أَبّ**)بهمزة مفتوحة وباء مشددة.

في السريانية(الآرامية) بمعنى ثمرة.

قال الفراء في قوله تعالى: ﴿وفاكهة وأبـا﴾ (عبس:31).

الأبّ: المرعى المُتهيِّء للرعي والجزّ من قولهم **أبّ** لكذا أي تهيّأ قاله الراغب.

وقال ثعلب: كلّ ما أخرجت الأرض من النبات.

وقال ياقوت: الأبّ:الزرع، وهي بليدة باليمن ينسب إليها أبو محمد عبدالله بن الحسن بن الفيّاض الهاشمي.

ونقل السيوطي عن شيدله[1] أنّه الحشيش بلغة أهل المغرب، وقال مرة بلغة البربر.

قال الكرملي: الكَلأ الذي تعتلفه الماشية.ومنه (فلان راعَ له الحبُّ وطاع له الأبُّ) أي زكّا زرعه واتسع مرعاه.. وهو للدواب كالفاكهة للإنسان. فشهر آب أصله **أبّ** شهر الفاكهة،والحبّ من الأبّ.

وقال ثعلب: (**الأبّ**: كل ما أخرجت الأرض من النبات).والأصل فيها هجاء واحد أي (**أبْ**)وهو آخر ما تكون عليه اللفظة،وهذا ما يدل على قدمها.أما الآراميون فيقولون في هذا المعنى(**أبْبَانا**) وتكاد تكون الكلمة في العبرية والسامرية والأشورية تشبه العربية لكنّها ليست بهجاء واحد كما في لغتنا. كلّ هذا يدلك على أن صيغة حرفنا من أقدم الصيغ.

ذلك من جهة اللغات السامية، وأما في لغات الغرب فلليونانيين كلمة(opos) فإنك إن حذفت من آخرها أداة الإعراب يبقى لك (op)وهو كما في لغتنا لفظاً أو يكاد، ومعناها عندهم ماء النبات أو الماء الذي يجري في العود (راجع معجم بوازاك Emile Boisacq) وعندنا نحن (**الأَبَاب**) بمعنى الماء. و(**الأُبَاب**): معظم السيل

والموج.قابل كلّ ذلك بالهندية القديمة أي كلمة(**آب**) ومعناها الماء،وبالفارسية الحديثة(**آب**) بمعناها، ويلفظها بعضهم(**آو**) وهي بالكردية (**آو**) وبالزندية(**آفش**) والبروسية القديمة (**Ape**) ومعناها النهر، و(**Apus**) الينبوع، وفي اللتوانية(**Upe**) ولو أردنا أن نجري في وجهنا ناظرين ما يقابل لفظتنا في سائر اللغات لقضيت العجب مما تهتكه لك لغتنا من أستار الأسرار.فأكرم بلغة تمكنك من القبض على أزمة سائر الألسنة، وكفى بها شرفاً.

ويبدو لي: أن اللفظة ترجع إلى أصول سامية قديمة.

(معاني الفراء:238/3، غريب ابن قتيبة:515، البلدان:64/1، اللسان:(أبب)، المتوكلي:160،المهذب:197، غرائب:172، مدخل السريانية:355، ومفردات الراغب:8، المساعد:97/1، وانظر مجلة لغة العرب:298/6).وراجع مادة(آب).

*(**أَبّار**) بهمزة مفتوحة وباء مشددة وبعد الألف راء.

رفائيل:مقتبسة من الآرامية بمعنى رصاص أسود (aboro).

الكرملي: عند العرب هو الغرافيت أي (Graphite) وهو كربون مخلوق يكاد يكون صرفاً. ويعرف أيضاً بالبلنباجين،ومنه تصنع أقلام الرصاص.

والأبر والأبّار أيضاً البرغوث (عن القاموس) لأن لسعه يشبه أذى الإبرة والأبّار (من الفارسية آبار-راجع معجم كلرس) هو القصدير في نظر المستعينين (في مادة أسرب) أما صاحب المعجم المنصوري فيرى أنّه الرصاص الأسود وهو كذلك في رأي ابن البيطار.

وقال(طه) **الأبّار** الذي يلقح النخل من مادة(أبر)، ويجعلها بعض الباحثين من أصل سرياني فقط في حين أنّ الكلمة موجودة في الأكدية بالصيغة نفسها تقريباً (**أبارو**)(**Abaru**).

(غرائب:172،الدخيل:33، المساعد:103/1،وراجع ما كتبه الكرملي عند تحقيقه كتاب بلوغ المرام في شرح مسك الختام لحسين بن أحمد العرشي، القاهرة 1938، ص163).انظر (الأسرب).

*(**الأبّال**)يطلق على الحادى، وراعي الخنازير والمعزى وغيرها.

قال الكرملي: بالآرامية **هَبّالا**.

(المساعد:118/1).

* (**الأبّهة**)العظمة والبهجة،معرب عن الفارسية(آب بهاء) وأصل معناه الجمال والحسن ويرادفه بالعربية:(بهي)وبالفرنسية (**beau**).

قال بشار:

زَورُ ملوكٍ عليه **أبّهة**

تعرف من شعره ومن خُطبهْ

(الألفاظ:7،غرائب:216، المعربات:312).

*(**الأبد**)بهمزة وباء مفتوحتين ثم دال: الدّهر والدائم والقديم الأزلي.

قال المطرزي: الدهر الطويل، ونقل عن خلف بن خليفة.

لا يعبد الله إخواناً لنا سلفوا

أفناهم حدثان الدهر **والأبد**

يا دار بالعليا فالسند

أقوت فطال عليها سالف **الأبد**

وقوله عليه السلام:"لا صام من صام **الأبد**" يعني: الدهر، وهو أن لا يفطر في الأيام المنهي عنها، وقولهم: كان هذا في **آباد** الدهر أي فيما تقدم منه وتطاول، ومنه قوله في السير: قد دعوا في **آباد** الدّهر وروي في بادئ الدهر، أي في أوّله. وأمّا (**ابادى**) فتحريف..

و(**أوابد**) الوحش نفرها، الواحدة (**أبدة**) من أبدا بودا إذا نفر من بابي ضرب وطلب لنفورها من الأنس، أو لأنّها تعيش طويلاً وتأبد توحش.

والأبد جمعه (**آباد**). قال الراغب في مفرداته:هو مولّد وليس من كلام العرب.

وردّ عليه الخفاجي بقوله : إنه وقع في شعر الفرزدق ونقل الثقات خلافه فهو عربي صحيح فصيح.

وقال أدّى شير: هو معرب (**آباد**) ومعناه المعمور.

وكان الفرس إذا أرادوا تسمية مدينة أو قرية باسم أحد الأشخاص يضيفون هذه اللفظة على اسمه. فلذا نرى كثيراً من أسماء المدن والقرى منتهية بكلمة(**آباد**) أو(**آبد**) مثل **آذر آباد، واسترآباد، وكرد آباد وفيروز آباد**. وقال العرب في الأبد أبّده وتأبّدَ.

(القاموس:282/1،والمغرب:17،المفردات والشفاء :83،الألفاظ:6).

* (**أبدوج**)يقال:**أبدوج السرج** بالضم لِبْدُ بداديْه، معرب(**أبْذود**).

(القاموس:184/1، الرشيدية:128).

*(**الأُبرا**)مسرحية شعرية غنائية، تقوم على الموسيقى، معرب.

(الوسيط:2).

*(**ابراهيم**) قال الجواليقي:إن أسماء الأنبياء صلوات الله عليهم كلّها أعجمية نحو (**إبراهيم**) و(إسماعيل) و (اسحاق)و(إلياس) و(إدريس)و(إسرائيل) و(أيوب)إلا أربعة أسماء، وهي:(آدم) و(صالح)و(شُعَيْب) و(محمدّ).

فأما(**إبراهيم**) ففيه لغاتٌ.

قرأت عن أبي زكرياء عن أبي العلاء قال:(**إبراهيم**) اسم قديم ليس بعربي وقد تكلمت به العرب على وجوه، فقالوا:(**إبراهيمُ**)- وهو المشهور-، و(**إبراهامُ**)- وقد قُرِئَ به، وهي قراءة هشام بن عمار عن ابن عامر الشامي، أحد القراء السبعة.

و(**إبراهوم**) و(**إبراهُيم**) مثلثة الهاء أيضاً و(**إبْرَهَـم**) بفتح الهاء بلا ألفٍ: ويروى أن عبد المطلب قال:

عُذْتُ بما عاذَ به **إبراهِمُ**

مُستَقبلَ القبلةِ وهو قائِمُ

ويُروى لعبد المطلب أيضاً:

فحن آلُ اللهِ في كَعْبَتِهِ

لم يَزَلْ ذاكَ على عهدِ **ابْرَهَمْ**

قال الكرملي: **ابراهيم** الخليل معناه (أبو الجماعات) وهي عبرانية مأخوذة من (**اب**) و(**رهيم**)جمع (**رهو**)كالعربية، ومعناها الجماعة الكثيرة.

ولد في نحو سنة 2377 قبل المسيح،وهو ابن تارح، من نسل سام أحد بني نوح وهو بكرهم.

برح أُور مع أبيه وامرأته سراي إلى حران في نحو سنة 2296 قبل المسيح، ومن حران ذهب إلى أرض الكنعانيين بأمر الله تعالى، وكان عمره 75 سنة.

وكانت ترى صورته في الكعبة، إذ يقول في الحديث إنه رأى في الكعبة سورة **إبراهيم** فقال: مروا المُجّاج يجمجون عليه.

قال ثعلب في أماليه: الأسماء الأعجمية **كابراهيم** لا تعرف العرب تثنية ولا جمعاً.

فأما التثنية فتجيء على القياس مثل **إبراهيمان**، وإسماعيلان فإذا جمعوا حذفوا فردوها إلى أصل كلامهم،

فقالوا: أباره، وأسامع. وصغّروا الواحد على هذا بُرَيْه وسُمَيْع، فردوها إلى أصحّ كلامهم.

قال أبو عبيد: « من أسماء الأنبياء في كتاب الله: **إبراهيم** وإسماعيل وموسى وعيسى، إنما هي بالعبرانية وبالسريانية **أبروهم** ، اشموئيل، وميشا، وايشو، فعربتها العرب ».

وعقّب محقق كتاب الزينة على ضبط هذه الأعلام في كلام أبي عبيد، فقال: إنها في العبرية: **ابرم** ، أو **ابراهام**، ويشمعيل، وميشه، ويشوع.

(القاموس:4/81، التاج:(بجج)، والمعرب:61، الزينة:1/139، الشفاء:33،والمزهر:1/293، المساعد:1/110).

*(**الأَبْرَشِيّة**)بهمزة مفتوحة وباء ساكنة ثم راء مفتوحة وشين مكسورة بعدها ياء وتاء مربوطة: ولاية، اقليم. وهي قديمة التعريب.

قال ياقوت: **الأبرشيّة:** موضع منسوب إلى الأبـرَش، وأنشد خَيْمَر السعدي:

ونُبِّئْتُ الحيَّ سعداً تَخَاذَلُوا

حماهم وهم، لو يَغْضبون كثيرُ

أطاعوا لِفتيانِ الصباحِ لِئامهم،

فذوقوا هَوانَ الحرب حيثُ تدور

نظرتُ بقصر **الأَبْرَشِيَّةِ** نظرةً

وطَرْفي وراء الناظرين بصيرُ

وذكر طوبيا ورفائيل أنهَا مقتبسة من اليونانية (Eparchyà).

وقال الكرملي: إنها من اليونانية:(Eparkhia) ومعناها (Province) وهي تقابل Gouvernement و Préfecture **والأبرشية** بالفرنسية (Diocèse)و(éparchie) وقد سمّي بها موضع.

أنشد ابن الأعرابي:

نظرت بقصر **الأبرشية** نظرة

وطَرْفي وراء الناظرين قصيرُ

(البلدان:1/66، وغرائب:251، التفسير:1،المساعد:1/109، الوسيط:2، اللسان: (برش)).

*(**أَبَرْقُوه**)كِسَقَنْقُور، قال الفيروز آبادى هو معرّب(**بَركُوهْ**) أي ناحية الجبل.

(القاموس: 4/282).

*(**الأَبْرَميس**) من سمك النيل ، ذكره ياقوت في معجم البلدان.

وقال الكرملي: وهي تنظر إلى اللفظة اليونانية(Abramis).

(البلدان:1/886(تنيس)، المساعد:109).

*(**الأَبِرْنج**) هو البِرَنْج الكابلي، **تعريب**(بِرِنْك)،وهو بزر يتخذ دواء، يؤتى به من كابل،وهو احيمر،وهو ضربان كبير وصغير، والأصغر أفخر.هكذا نقله الكرملي عن معجم بالفارسية (برهان قاطع) لمحمد حسين التبريزي.

(المساعد:109).

*(**أبرهة**)اسم أعجميّ وقد سمّت به العرب.

نقل الكرملي عن الهمذاني **قوله** في الإكليل(8/238): " **ابرهمة** اسم بالسرياني، وبالعربي **ابراهيم**، وسمّاه أبوه بهذا الاسم يوم كان ذو القرنين بالأردن، فولد حينئذ هذا المولود فسماه **بابراهيم** خليل الرحمن. وعقّب الكرملي بقوله: وليس **ابرهة** اسماً سريانياً كما توهم الهمذاني. إنما هو اسم حبشي مصحف عن **ابراهام**.

و(**أبرهَة**) أيضاً ضرب من الريّاحين،وهو الذي يُسمّى

(بُستان أَبْرُوزْ).

(المعرب:68،المساعد:109/1)

*(ابريج)المِمْخضة يمخض بها اللبن لاستخراج السمن منها تعريب (آبريز: ساكب الماء).

قال الكرملي:**الإبريج** تصح مقابلاً للكلمة الفرنسية (Baratte).

(المعربات:311، المساعد:110/1).

*(**الإبريز والإبريزي**) يقال: ذهب **ابريز**، أي خالص.
قال التونجي: مركبة من (**آب**: الماء الرونق)و(**ريز**: ساكب).

ينسب إلى السموءل:

وكيما يفوزوا بالغنيمة أهلها

من الذهب **الإبريز** فوق الحمائِل.

قال الجواليقي:ليس بعربي محض.
وقال عنه فرنكل في كتابه(في الألفاظ العربية الآرامية الأصل):إنه معرّب عن اليوناني،ومنه الهبرزيّ.
وعقّب أدّى شير بقوله:يحتمل أن يكون أصله فارسياً، وهو مركب من (**آب**)،أي:رونق،ومن(**رِيز**) أي: صُبَّة وقطعة. وهو باللغة السريانيّة.

(المعرب:71،غرائب:251،الألفاظ:6،التفسير:1،المعربات: 311، الوسيط:2).

*(**الأَبْرَيْسَمْ**) بفتح الهمزة والراء وقيل:بكسر الهمزة وفتح الراء:الحرير، أعجمي معرّب وترجمته بالعربية: الذي يذهب صُعُداً.

قالت عائشة تصف تزميل النبي–عليه الصلاة والسلام–:
« والله ما كان خزاً ولا قزاً ولا مِرْعزى ولا **إبريسم** ولا صوفاً ».

قال ذو الرُّمة:

كأنّما اعتمَّتْ ذُرَى الأجْبَال

بالقزِّ و**الإبْرَيْسَم الهَلهَالِ**

وقال ابن الأعرابي: بكسر الهمزة والراء وفتح السين، وقال:ليس في الكلام(إِ فْعِيلِل) بالكسر ولكن (إفْعِيلَل) . مثل إهْلِيلَج.

وقال أدّى شير:تعريب(**أبريشم**) ومنه في الآراميّة الدارجة، وبالكردية (**هَوْرِيشُم**).

وقال طوبيا: فارسي(**ابرشيم**) معناه:الحرير.

قال الكرملي: « رجح بندلي جوزان أصل الابريسم من اليونانية(Prasinos) بمعنى الحرير الأخضر لا عن الفارسية (**ابريشم**) كما جاء في كتاب المطران أدّى شير.

ومذهبي أن الكلمة اليونانية لا تفيد أبداً الحرير الأخضر بل (كل ما كان أخضر بلون الكراث) ولا تزاد على هذا القدر،فإن كان ورد بمعنى الحرير الأخضر،فهو في لغة غير اليونانية أو في اليونانية الحديثة، وهي مأخوذة من العربية.وإلاّ فالا**بريسم** من الفارسية كما ذكرها اللغويون الأقدمون قبل السيد أدّى شير بقرون عديدة» .

(المعرب:75، الشفاء:88،غرائب:216، المعربات:312، المساعد: 110/1، الرشيدية:191،الألفاظ:6، التفسير:1، الوسيط:2).

*(**الإبْريق**) عربيته:الثِفال إناء من خزف أو معدن له فم وعروة وبلبلة، فارسي معرب (**آبريز**)، أي ساكب الماء، حكى الثعالبي وأبو حاتم الرازي: أنها فارسية.

قال الكرملي: « إن تخصيصه **الابريق** بإناء الماء لم ينص عليه اللغويون،فقد ذكروا أنّه قد يكون للخمر.

قال الزبيدي في التاج: والعرب تشبه **أباريق** الخمر برقاب طير الماء.. ثم ذكر أبياتاً دعماً لقوله.

وأما أنه معرّب (**آب ر س**)، فلم ينصّ عليه أحد، بل قالوا معرّب (**آ ب رى**)، والصواب: (**آ ب ريز**) على ما حقّقناه ».

وقال التونجي : يطلقها الفرس على الإناء المستخدم عند العرب، وعلى طاس الحمام،والدلو. ومن العربية انتقلت إلى الفرنسية(Broc) والإيطالية (Brocca).

وقد تكلمت به العرب قديماً. قال عديُّ بن زيد العِباديُّ:

ودعا بالصَّبوح يوماً فجاءتْ

قَيْنَةٌ في يمينها **إبريقُ**

وقال تعالى:﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ **وَأَبَارِيقَ**﴾.(الواقعة:18).

قال عمر بن أحمر:

يعادها **إبريقها** وزجاجها

بأنعم عيش من شواء وأكؤس

وقال الفراء: الكوب: ما لا أذن له ولا عروة له **والأباريق** :ذوات الآذان والعُرا.

وقال الفيروز آبادي: الإبريق معرب(**آ ب ر ى**).

قال التتوي:هو مخفف **آبريز**، واختلف في معنى كلمة **(آبريز)**.

قال الجواليقي:ترجمته من الفارسية أحد شيئين:إما يكون طريق الماء،أو صبُّ الماء على هِينَة.

وقال (رفائيل): **آبريز**، (آب): ماء،(ريز):جذر(ريختن): سَكْبٌ.

وقال أدّى شير:معناه يصبُّ الماء وهو يُطلق بالفارسيّة على الدلو أيضاً وكأس الحمّام والسطل وغير ذلك مّما يضارعها.

ومنه السرياني(**ابريقا**) والفرنسي (broc) والايطالي (brocca) والتركي والكردي(**إبريق**) ويقرب الجرماني (krug) والفرنسي (cruche).

كما قال أدّى شير في مادة(**ابريج**):الابريج المِمْخضة يُمخض بها اللبن لاستخراج السَّمن منها تعريب **(آبريز)** وأصل معناه يصب الماء ويطلق على الدلو والسطل وغير ذلك.

أقول:ما زالت لفظة **(الابريج)** تستعمل في أرياف جنوب العراق ولكنها تطلق على كلمة **الإبريق** وفي المدن تطلق **(ابريک)** بالكاف الفارسية ويراد به **الإبريق** لفظا ومعنى.

وقال الجواليقي: قالوا:**(إبريق)** وإنما هو **(إبْرِيهْ)**.

وقال ابن منظور: إنّ إبدال القاف من الهاء في الأسماء المعربة كثير.

أقول ورد في المعاجم العربية أنهم قالوا: برق الطعام ببرق إذا صبّ فيه الزيت **والبريقة** هي اللبن يصب عليه الماء فيمكن أن يكون الاناء الذي يصب منه الماء مشتق من ذلك الأصل (برق) فتكون كلمة **(الإبريق)** من توافق اللغات بين بعض اللغات السامية(العربية والسريانية) واللغة الفارسية.

(المعرب:71،313،الألفاظ:6،18،غرائب:216،والتفسير:1. والوسيط:2، معاني الفراء:123/3، والقاموس:218/3).

معجم علم وتقنية الغذاء

– القسم الثالث –

إعداد: د.حسين عثمان

D

- daily out put	production (f) journalière	إنتاج يومي
- daily requirements	besoins (m) quotidiens	حاجات/احتياجات يومية
- dairy aids/ ancillaries/ auxiliaries	produits (m) auxiliaires pour la laitèrie	معاونات صناعة الألبان
- dairy bacteriology	bactérie (f) laitière	بكتريولوجيا الألبان
- dairy factory/plant	usine (f) laitière	مصنع الألبان
- dairy herd	troupeau (m) laitier	قطيع لبن
- dairy hygiene	hygiène (f) laitière	قواعد صحية لبنية
- dairying	laiterie (f)	صناعة الألبان
- dairy legislation	législation (f) laitière	تشريعات لبنية/اللبن
- dairy wax	paraffine (f) pour l'industrie laitière	شمع لمنتجات اللبن
- damaged	endomagé	تالف
- damask rose		ورد بلدي/دمشق
- damp crust	croute (f) molle	قشرة لينة/طرية
- dampening	humidification (f)	تندية/ترطيب
- dandelion	pissenlit (m)/ dent-de-lion (f)	هندبا برية/طرخشقون
- dark	foncé/intense	غامق
- darkening	foncement (m)	اغمقاق
- darnel	ivraie (f)	زؤان
- data	données (f)	بيانات
- date	datte (f)	بلح (ثمرة النخيل)
- dates, compressed	dattes comprimées	عجوة
- dates, dry	dattes sèches	تمر
- dates, humid	dattes humides	رطب
- dates, before becoming humid	dattes avant d'être humides	بسر
- D_E	D_E/dose (f) de radiation donnant 90% de reduction de l'activité de l'enzyme	جرعة إشعاع تعطي90% لتثبيط نشاط الأنزيم/ج إ
- D.E.	D.E./ équivalent (m) en dextrose	مكافىء الدكستروز
- deacidification	désacidification (f)/ neutralisation	إزالة الحموضة/تعادل
- deaeration	désaeration (f)	إزالة الهواء/تفريغ

- deaerator	désaerateur (m)	مزيل الهواء/مفرّغ
- deamination	désamination (f)	نزع الأمين
- to debitterize	désamériser	أزال/نزع المرارة
- to debone	désosser	أزال العظم/شفّى
- deboned	désossé	مزال العظم/مشفي
- deboning	désossement (m)	إزالة العظم/تشفية
- to decaffeinate	décaféiner	أزال الكافيين/القهوين
- decaffeinated	décaféiné	مزال الكافيين/القهوين
- decalcification	décalcification (f)	إزالة الكالسيوم/التكلّس
- to decant	decanter/ soutirer	صفق
- decanter	décanteur (m)	مصفق
- decarbonation	décarbonatation (f)	إزالة ثاني أكسيد الكربون
- to decay	se gâter/ pourrir	فسد
- decay	pourriture (f)	فساد
- to decide	décider	قرّر
- decimal reduction time/ D value	temps (m) de reduction decimale/ valeur de D	زمن الخفض العشري/ قيمة د
- time /D value	decimale/ valeur de D	قيمة د
- decision	décision (f)	قرار
- decoction	décoction (f)	1 – الاستخلاص بالغلي 2 – المستخلص بالغلي
- decoloring	décoloration (f)/ blanchissage (m)	إزالة اللون/تبييض
- decoloring agent	décolorant (m)	مزيل اللون
- decolorizing carbon	charbon (m) actif/ décolorant	كربون نشط
- decolorizing power	pouvoir (m) décolorant	قوة إزالة اللون
- decomposition	décomposition (f)	هدّ
- decor	décor (m)	تنميق
- to decorate	décorer	نمّق
- to decorticate	décortiquer	قشر
- decorticated	décortiqué	مقشور
- decortication	décorticage (m)	تقشير
- decorticator	décortiqueuse (f)	مقشرة
- decree	arrêté (f)	قرار
- to deduce/ deduct	déduire	استنبط

- deduction	déduction (f)	استنباط
- deemulsifying agent	désémulsifiant (m)	مكسر المستحلب
- deep freezer	surcongélateur (m)	مجمد قارس
- deep freezing	surcongélation (f)	تجميد قارس
- defatting	dégraissage (m)	إزالة الدهن
(milk)	écrémage (m)	(في اللبن)
- defect	défaut (m)	عيب
- deferrization	déferrisation (f)	إزالة الحديد
- definition	définition (f)	تعريف
- deflection angle	angle (m) de déflexion	زاوية الانحراف
- to defrost	dégeler/décongeler	تاع
- defrosting cycle	cycle (m) de décongelation	دورة التيع
- degermer	dégermeur (m)	مزيل الجنين
- degreasing	dégraissage (m)	إزال الدهن/الشحم
- degreening	déverdissage (m)	إزالة اللون الأخضر/إنضاج صناعي
- degrees of freedom	degrés (m) de liberté	درجات الحرية
- degree of ripening	degré de maturation	درجة النضج
- degumming	dégommage (m)/ démucilagination	إزالة الصموغ
- to degust	déguster	ذاق/تذوّق
- degustation	dégustation (f)	تذوُق
- dehairing	épilation (f)	إزالة الشعر
- to dehull	écosser/éplucher	قشر
- dehuller	éplucheuse (f)	مقشرة
- to dehydrate	déshydrater	جفف
- dehydrated	déshydraté	مجفّفة
- dehydrating agent	déshydratant (m)	عامل مجفف
- dehydration	déshydratation (f)	تجفيف
- dehydrator	déshydrateuse (f)	مجفف
- dehydrocanning	dehydro-appertisation	جفلبة
- dehydrofreezing	déshydratation- congélation (f)	جفمدة
- dehydrogenase	déhydrogénase (f)	ديهيدروجيناز
- dehydrogenation	déshydrogénation (f)/ oxydation (f)	إزالة/نزع الادروجين/ أكسدة
- delinting	délintage (m)	إزالة الزغب

- delivery	livraison (f)	تسليم
- demineralization	déminéralisation (f)	إزالة المعادن
- denaturation	dénaturation (f)	مسخ/دنترة
- to denature	dénaturer	مسخ/دنتر
- denatured alcohol	alcool (m) dénaturé	تحول مسيخ/مدنتر
- denatured protein	protéine (f) dénaturée/ dénaturant	بروتين مسيخ
- denaturing	dénaturant	مُمْسخ/ مدنتر
- densitometer	densitomètre (m)	مقياس الكثافة الفوتوغرافية
- density	densité (f)	كثافة
- deodorization	désodorisation (f)	نزع/إزالة الرائحة
- deodorizer	désodorisateur (m)	مزيل/نازع الرائحة
- deoxygenation	désoxygénation (f)	إزالة/نزع الأكسيجين
- deparchementing the coffee bean	déparcher	إزالة غلاف البن
- depectinization	dépectination (f)	إزالة البكتين
- depolymerization	dépolymérisation (f)	تَفَرُّد
- depreciation	dépréciation (f)	استهلاك
- to desalinate (sea water)	déssaler eau de mer)	أعذب (الماء المالح)/أزال الملوحة
- desalination	dessalement (m)/ dessalage (m)	إزالة الملوحة/تحلية المياه
- desiccant	déssicatif (m)	ميبّس/مادة مجففة
- desiccation	déssiccation (f)	تجفيف
- desiccator	dessiccateur (m)	مجفف/ميبّس زجاجي
- design of experiments	mise (f) au point des expériences	تصميم تجارب
- to deslime	débaver	أزال المرغ
- desorption	désorption (f)	فك الامتصاص
- desoxyribonucleic acid	acide (m) désoxyribonucléique	حمض ديزوكسيريبونيو كلييك
- dessert	dessert (m)	العقبة/الحلو/التحلية
- dessert mix	mélange (m) du dessert	خليط العقبة/الحلو
- destearination	déstéarination (f)/ frigélation (m)	إزالة الستيارين /تشتية
- destoner	denoyateur (m)	مزيل البذرة/النواة
- desulfuring	désulfitage (f)	إزالة ثاني أكسيد الكبريت
- to detect	detecter	استبان
- detergent	détergent (m)/ détersif (m)	منظف
- deterpenation	déterpénation (f)	إزالة التربينات

- to deteriorate	(se) déteriorer	تَدَهْوَر/تلف
- deterioration	déterioration (f)	تدَهوُر/تلَّف
- determination	détermination (f)	تقدير
- detoxication	détoxi(fi)cation	إزالة السُمِّية
- developing country	pays (m) en voie de développement/ sous-developpé	بلد نام
- development	developpement (m)	1) تطوير 2) تنمية
- dévlopment time	temps (m) de développement	وقت الإظهار
- deviation	déviation (f)	انحراف
- dew	rosée (f)	ندي
- dewaya (a thin layer on top of milk soup)	dewaya (f) (couche mince sur le lait ou le bouillon)	دِواية
- dewberry	mûre (f)	توت الندى
- dew point	point (m) de rosée/ de condensation	نقطة الندى
- dew point temperature	température (f) du point de la condensation	درجة حرارة نقطة الندي
- dextrin	dextrine (f)	دكسترين
- dextro rotatory	dextrogyre	ميمن/محول لليمين
- dextrose	dextrose/ glucose	دكستروز/جلوكوز
- dextrose equivalent/ D.E.	équivalent (m) en dextrose /D.E.	مكافىء الدكستروز
- diabetes mellitus	diabète	مرض السكر/البول السكري
- dialysate	dialysat (m)	النثيثة
- dialysed liquid	liquide (f) dialysée	السائل المنثوث
- dialysis	dialyse (f)	النَثُّ
- to dialyze	dialyser	نَثَّ
- dialyzer	dialyseur (m)	المِنَثّ
- diameter	diamètre (m)	قطر
- diaphragme	diaphragme (m)	حجاب
- diarrh(o)ea	diarrhée (f)	إسهال
- diarrhea, to be inflicted with	avoir la diarrhée	أسهل
- diastase	diastase (f)	دياستاز
- diastatic activity	activité (f) diastatique/ saccharifiante	تسكير النشا
- diastatic power	pouvoir (m) diastatique	قدرة تسكير النشا
- diatomaceous earth	terre (f) diatomée/ d'infusorie/ décolorante	تربة دياتومية/تبييض
- dicer/ dicing machine	machine (f) à découper en cubes	مُكَعِّبَة /آلة تقطيع مكعبات

- dictionary	dictionnaire (f)	معجم/قاموس
- die	moule (m)	قالب
- dielectric thawing	décongélation (f) diélectrique	تيع العازل الكهربي
- diet	diète (f)/ régime (m)	حمية/رجيم
- dietary fibre	fibre (f) diétètique	ألياف غذائية
- dietary value	valeur (f) diétètique	قيمة غذائية
- dietetic foods	aliments (m) dietetiques/ de régime	أغذية حمية
- diffraction	diffraction (f)	حيود
- to diffuse	(se) diffuser	انتشر
- diffusion	diffusion (f)	انتشار
- diffusion battery	batterie (f) de diffusion	مجموعة انتشار
- diffusion coefficient	coefficient (m) de diffusion	معامل الانتشار
- to digest	digérer/ assimiler	هضم
- digested material	matière (f) digérée	هضيم/مهضوم
- digester	digestif	مهضم
- digestible	digestible	هضوم/قابل للهضم
- digestibility	digestibilité (f)	الهضمية/قابلية الهضم
- digestibility coefficient	coefficient de digestibilité	معامل الهضم
- digestion	digestion (f)	هضم
- digestive juices	sucs (m) digestifs	عصائر الهضم
- digestive substance	substance (f) digestive	الهاضوم/الهُضام
- digestive system	appareil (m) digestif	الجهاز الهضمي
- digestive tract	tube (m) digestif/ tractus (m) gastro-intestinal	القناة الهضمية
- dilatation / dilation	dilatation (f)	1) تمدد. 2) اتساع
- dilatometry	dilatométrie (f)	قياس التمدد
- dill	aneth (m)	شبت
- to dilute	diluer	خفف
- dilution	dilution (f)	تخفيف
- dining room	salle (f) à manger	غرفة الأكل
- dinner	diner (m)/ souper (m)	العشاء
- dipcoating	enrobage (m) par immersion	تغطية بالغمر
- dipeptidase	dipeptidase (f)	دايبتيداز
- dipeptide	dipeptide (m)	ثنائي الببتيد

- diphenyl paper	papier (m) diphynolique/ antifongique	ورق مضاد للفطر/ثنائي الفينايل
- dipsesis/ dipsosis	soif (f) ardente	سَهَف
- dipsogen	altérant	مسهفة/مسفهة
- dipsomanie	dipsomanie (f)	الاشتياق لمشروب كحولي
- direct expansion	detente (f) directe	تمدد مباشر
- direct expansion cooler	réfrigérateur (m) à detente directe	مبرد بالتمدد المباشر
- dirt	saleté/ (f) ordure (f)	قذارة/وَسَخٌ
- dirt in liquide e.g water ; syrup	poussière (f) dans les liquides e-g- sirop	قذاة (ج) قذى
- dirty	sale	قَذِرٌ/وَسِخٌ
- to become dirty	devenir sale/ se salir	قَذِرَ/وَسِخَ
- disaccharide	disaccharide (m)/ diholoside (m)	ثنائي السكر الثنائي
- disaccharide intolerance	allergie (f) de disaccharide	عدم تحمل (حساسية) السكر
- disc/ disk	disque (m)	قرص
- discharge (to)	décharger	فرّغ
- discoloration	décoloration (f)	تغير اللون
- discontinuous/ dispersed phase	phase (f) discontinue/ dispersée	طور مشتّت/غير مستمر
- discouvery	découverte (f)	اكتشاف
- to discuss	discuter	ناقش
- discussion	discussion (f)	مناقشة
- dish	plat (m)/ mets (m)	طبق
- to disinfect	désinfecter/ aseptiser	طهّر
- disinfectant	désinfectant	مُطَهِّر
- disinfection	desinfection (f)	تطهير
- to disintegrate	(se) désintégrer	فتت/تفتت
- dispenser	distributeur (m)	جهاز موزّع
- to disperse	disperser	شتتَ
- dispersent	(agent) (m) dispersant	عامل مشتِّت
- dispersibility	dispersibilité (f)	تشتتية/قابلية التشتت
- dispersing/ continuous phase	phase continue	طور مُشتِّت/مستمر
- dispersion	dispersion (f)	تشتُّت
- dispersion medium	milieu (m) de dispersion	وسط التشتت/الانتشار
- displacement	déplacement (m)	إزاحة
- disposal	débarassement (m)	تخلُّص من

- dissolved solids	solides (m) dissous	جوامد ذائبة
- to distill	distiller	قَطَّر
- distillate	distillat (m)	المُقَطَّر/ناتج التقطير
- distillation	distillation (f)	تقطير
- distilled water	eau (f) distillée	ماء مقطر
- distiller	distillatoire (f)/ alambic (m)	مقطِّر/أنبيق
- distellery	distellerie (f)	مصنع تقطير
- D_m	dose (f) de radiation donnant 90% reduction de la population microbienne	جرعة إشعاع تعطي 90% خفض في عدد الميكروبات/
- dock	patience (f)	سلق بري/حُمَّاض
- dodecyl gallate	gallate de dodecyle (m)	جالات الدودوسيل
- dog-fennel	camomille (f) puante	بابونج
- **Donnan equilibrium**	équilibre (m) de Donnan	توازن دونان
- dosage	dosage (m)	تقدير أو إضافة الجرعة
- dosage pump	pompe (f) doseuse	مضخة جرعة/ تجريع
- dose	dose (f)	جرعة
- dosimeter	dosimétre (m)	مقياس الجرعات
- double contact freezer	congélateur (m) par double effet	مجمد مزدوج التلامس
- double cream cheese	fromage (m) à double crème	جبن بكريمة مضاعفة
- double drum drier	séchoir (m) à deux cyclindres	مجفف ذو أسطوانتين
- double effect evaporation	évaporation (f) à double effet	تبخير مزدوج الفعل
- double effect evaportor	évaporateur (m) à double effet	مبخر مزدوج الفعل
- double floor kiln	touraille (f) à deux planchers	مجفف مزدوج الأرضية
- double seam/ seaming	double pli(m) sertissage	قفل مزدوج/محكم
- double seamer/ seaming machine	sertisseuse (f)	آلة القفل المزدوج
- dough	pâte (f)	عجين
- to add too much water to the dough forming a thin dough	faire une patte mince en ajoutant beaucoup d'eau	أمرخ (العجين)
- dough aeration	aération (f) de la pâte/ formation (f) des alvéoles	تهوية العجين
- dough consistency	consistance (f) de la pâte	تلازج العجين
- dough development	formation de la pâte	ارتفاع/نبوخ العجين
- dough elasticity	élasticité (f) de la pâte	مطاطية العجين

- dough extensibility	extensibilité (f) de la pâte	امتدادية العجين
- dough, fermented	pâte fermentée	عجين مختمر/خمير
- dough forming capacity	aptitude (f) à former une pâte	القدرة على تكوين عجين/العجينة
- dough homogeneity	homogénéité (f) de la pâte	تجانس العجين
- dough ingredients	constituants (m) de la pâte	مكونات العجين
- dough kneader/ mixer	pétrisseur (m)/ petrin (m) mécanique	عجان/مِعْجن
- dough kneading	pétrissage (m)/ malaxage (m)	عَجْن
- dough moulder	façonneuse (f) de la pâte	مشكل العجين
- doughnut	beignet (m)	كعكة حلقية
- dough panning machine	dispositif (m) pour le chargement des moules	مالئة قوالب العجين
- dough relaxation	repos (m) de la pâte	استرخاء العجين
- dough ripening	maturation (f) de la pâte	نضج العجين
- dough roller	moule (m) à pâte	أسطوانة العجين
- dough, fermented and swelled	se fermenter la pâte et se gonfler	نبخ (العجين)
- dough toughness	tenacité (f) de la pâte	جشب العجين
- dough, watery	pâte aqueuse	وريخة
- doughy	pâteux	عجيني
- dough yield	rendement (m) en pâte	ريع/ ناتج العجين
- doum	palmier nain (m)	الدُّوم
- to drain	(faire) écouler	صَفّى/صرَّف
- drained weight	poids (m) égoutté	الوزن بعد التصفية
- draining	égouttage (m)	تصفية
- draught	sécheresse (f)	جفاف/جباب
- to dress	apprêter	جَهَّزَ (الذبيحة/الداجنة)
- dressing	1. apprêtage (m)/habillage (m)	تجهيز
	2. farce (f)	حشو
	3. sauce (f) pour salade	صلصة السلطة
- to dribble	baver/saliver	لَعَبَ
- dried	deshydraté/séché	مُجَفَّف
- dried fruits	fruits (m) séchés	فاكهة مجففة/ قليف
- dried milk	lait (m) en poudre	لبن مجفف

- dried prunes	pruneau (m)	برقوق مجفف/قراصيا
- dried skim milk	lait écrémé en poudre	لبن فرز مجفف
- dried vegetables	légumes (m) séchés	خضروات مجففة
- dried whole milk	lait entier en poudre	لبن كامل مجفف
- drier/dryer	déshydrateur (m) sécheur (m)/ séchoir (m)	مُجَفِّف
- to drink	boire	شرب
- drink	boisson	مشروب
- (drinking) straw	chalumeau (m)	مصاصة
- drinking water	eau (f) potable goutter	ماء الشرب
- to drip	(se) goutter	قَطَر
- drip	goutture (f)/coulage (m)	قُطارَة
- drop	goutte (f)	قطرة
- drop in temperature	chute (f) de température	انخفاض درجة الحرارة
- drum	cylindre (m)/tambour (m)	أسطوانة
- drum drier	séchoir (m) à cylindre	مجفف أسطواني
- drum filter	filtre-tambour (m)	مرشح أسطواني
- drum washer	laveur (m) à tambour	غسالة أسطوانية
- to dry	se sécher	جَفَّ/نَشَف
	déshydrater/ sécher	جَفَّفَ
- dry	sec	جافّ
- dry-air sterilization	stérilisation (f) à sec	تعقيم جاف
- dry brittle bread	pain (m) sec et croustillant	الأش
- dry- bulb thermometer	thermomètre (m) à bulbe sèche	ترمومتر ذو بصيلة جافة
- dry-bulb thermometer temperature	température (f) de thermomètre à bulbe sèche	درجة حرارة الترمومتر الجاف
- dry defecation	chaulage (m) du jus	ترويق (العصير) جاف (بالجير)
- dry ice	carboglace (f) glace(f)	ثلج جاف/صلب/ثلج
	carbonique/sèche	ثاني أكسيد الكربون
- drying	séchage (m)/deshydratation (f)/dessication (f)	تجفيف
- drying oil	huile (f) siccative	زيت جفوف
- drying in the sun	séchage au soleil/solaire	تجفين شمسي (شرق)
- drying time	temps (m) de séchage	زمن التجفيف
- drying tunnel	séchoir (m) tunnel	نفق التجفيف
- drying yard	cour (m) de séchage	سطح (التجفيف)

- dry matter/substance	matière (f) séche/extrait (m) sec	مادة جافة
- dry matter basis	sur base d'extrait sec	على أساس المادة الجافة
- dryness	siccité (f)	يوسة
- dry residue	résidu (m) sec	راسب/متبقي جاف
- dry salting	salage (m) à sec	تمليح جاف
- dry wine	vin (m) sec	نبيذ جاف
- dry working	malaxage (m)	خلط جاف
- dry yeast	levure (f) sèche	خميرة جافة/الحشقة
- duck	canard (m)	بطة
- duct	conduit (m)/canal (m)	قناة/مجرى
- ductile	ductile	مطيل
- ductility	ductilité (f)	مطيلية
- dulcin	dulcine (f)	دلسين
- dull	terne/mat/pale	كامد
- to become dull	se ternir/fader	كَمَدَ
- dull-matte finish	aspect (m) terne/mat (m)	مظهر كامد
- duodenum	duodénum (m)	الاثنى عشر
- durability	durabilité (f)	تَحَمُّل
- durable	durable	متحمِّل/متين
- durian	dourian (m)	دوريان
- durum semolina	semoule (f) du blé dur	سميد القمح الصلب
- durum wheat	blé (m) dur	قمح صلب
- dust	poussière(f)	غبار
- D value	temps (m) de reduction décimale/valeur de D	زمن الخفض العشري/قيمة د
- dye (stuff)	matière (f) colorante	صبغة
- dynamic equilibrium	équilibre (m) dynamique	توازن ديناميكي

E

- ear	1. épi (m)	كوز ذرة
٢	2. oreille (f)	أُذُن
- earth-almond	amande (m) de terre/ souche comestible	حب العزيز/الزلم

- earth chestnut	chataigne (f) de terre/	جلبان عسقولي/
	gesse (f) tubereuse	قسطل الأرض
- earthnut	arachide (f) noix (f) de terre/ cacahuète(f)	فول سوداني
	de terre/ cacahuètes (f)	
- earthy taste	goût (m) de terrain	مذاق الأرض (في التبين)
- to eat	manger	أكل/طَعِم
- to eat quickly	manger vite/rapidement	جَرَز
- ebulliometer	ébulliomètre (m)/ébullioscope	مقياس درجة حرارة الغليان
- économics	science (f) économique	اقتصاد (علم)
- eddy flow	écoulement (m) turbulent	انسياب دوامي
- edge-runner mill	moulin (m) à meule verticale	طاحونة ذات رحى رأسي
- edible	comestible	مأكلة/طعمة
- edible fat/oil	graisse (f) comestible	ذهن مأكلة/طعمة
- edibles	comestibles (m)	أُكل
- edition	édition (f)	طبع/نشر
- editor	éditeur (m)	محرر/ناشر
- eel	anguille (f)	أنقليس/ثعبان البحر
- to effervesce	pétiller	فارَ
- effervescence	effervescence (f)	فوران
- effervescent	effervescent	فوار
- efficiency	efficacité (f)	كفاءة
- effluents, (industrial)	eaux (f) résiduaires industrielles	صرف المصانع
- e.g.	e.g.	مثلا
- egg	œuf (m)	بيضة
- egg albumin/white	blanc (m)/albumine (f) d'œuf/	بياض/البيومين البيض/
	ovalbumine (f)	الآح/غرقل
- egg candling	mirage (m) des œufs	فحص البيض
- egg's innerlining	charion (m)	الغرقىء/ قشرة البيضة الداخلية
- eggplant fruit	aubergine (f)	باذنجان
- egg shell	coquille (f) d'œuf	القيض/قشرة البيضة
- egg tester	mire-œufs (m)/ ovoscope (m)/ mireuse	فاحصة البيض
- egg yolk	jaune (m) d'œuf	المح/صفار البيض
- eglantine	1. eglantier (m)	نسرين/ورد برّي

	2. cynorhodon (m)	ثمرة النسرين
- elastic	elastique/souple	مطاط
- elasticity	elasticité (f)	مطاطية
- elastin	elastine (f)	إلاستين
- elder (berry)	sureau (m)	بَلْسان/خمان
- electric	électrique	كهربي
- electricity	électricité (f)	كهرباء
- electrochemical coating	revêtement (m) électrochimique	تبطين كهروكيماوي
- electrode	électrode (f)	قطب
- electrodialyser	électrodialyseur (m)	مِنَث كهربي
- electrodialysis	électrodialyse (f)	نتّ كهربي
- electromagnetic radiation	radiation (f) électromagnétique	إشعاع كهرومغنطيسي
- electromagnetic spectrum	spectre (m) électromagnétique	طيف كهرو مغناطيسي
- electro-nascosis	électro-narcose (f)	تخدير كهربي
- electron accelerator	accélérateur (m) électronique	معجّل إلكتروني
- electronic heating	chauffage (m) électronique	تسخين إلكتروني
- electrophoresis	électrophorèse (f)	استشراد(هجرة كهربية)
- electroplated coating	revêtement électrolytique	بطانة كهربية
- electrostatic smoking	fumage (m) électrostatique	تدخين كهروساكن/ستاتي
- elevator	ascenseur (m) élevateur (m)/ monte-charge (m)	مِصْعد
- elliptical	elliptique	إهليلجي
- eluate	elué	المُمَلَّز
- to elute	eluer	مَلَّز
- elution	elution	تَمْليز
- embassed lable	étiquette (f) en relief	روسم /روشم بارز
- embryo	embryon (m)	جنين
- emission spectrum	spectre d'émission	طيف الابتعاث
- to empty	vider	فرّغ
- emulsifiable	émulsifiable	قابل للاستحلاب
- emulsification	émulsification (f)	استحلاب
- emulsifier/emulsifying agent	émulsif (m)/ émulsifiant (m)/ émulsifieur (m)/ émulsionneur (m) émulsionnant (m) émulsionnant (m)	مُستحلب/عامل استحلاب

- to emulsify	émulsionner	استحلب
- emulsifying efficiency/power	pouvoir(m) émulsifiant	كفاءة الاستحلاب
- emulsifying machine	émulseur (m)	آلة استحلاب
- emulsion	émulsion (f)	مستحلب
- emulsion breaking agent	agent (m) pour désémulsification	عامل تكسير المستحلب
- emulsion inhibitor	inhibiteur (m) d'émulsion	مُثبِّط الاستحلاب
- emulsoud	émulsoïde (f)	مستحلباني/شبه مستحلب
- enamel	1. émail (m)/ 2. vernis (m)	1. مينا /. ورنيش
- enamelled can	boîte (f) avec revêtement/ vernissée	علبة مورنشة
- enamelling	1. emaillage (m)	طلاء بالمينا
	2. vernissage (m)	ورنشة
- encyclopaedia	encyclopédie (f)	موسوعة
- endergonic/ endothermic	endothermique	ماص للحرارة
- endive	chicorée/ endive (f)	هندبا(ء)
- endless chain	chaîne (f) sans fin	سلسلة لانهائية
- endocarp	endocarpe (m)	غلاف الثمرة الداخلي
- endoderm	endoderme (m)	بشرة داخلية
- endogenous	endogène	داخلي
- endopeptidase	endopeptidase (f)	ببتيداز داخلي
- endoplasm	endoplasme (m)	بلازما داخلية
- endosperm	endosperme (m)	سويداء
- endotoxin	endotoxine (f)	زعاف داخلي
- end- over- end		تطابق نهايات العلب
- end products	produits (m) finis	منتجات نهائية
- energy	énergie (f)	طاقة
- energy conversion factor	facteur (m) de la transformation de l'énergie	معامل تحويل الطاقة
- energy crisis	déperdition (f) d'énergie	نقص الطاقة
- energy leveé		مستوى الطاقة (في سلسة الغذاء)
- energy requirements	besoins (f) de l'énergie	احتياجات الطاقة
- enchancer	agent (m) de sapidité/éblouisseur (m)/ éxaltant (m) exhausteur (m) de goût/renforçateur (m)	معزز النكهة
- enology	oenologie (f)	علم النبيذ
- to enrich	enrichir	قَوّى

- enrichment	enrichissement (m)	تقوية
- enrober	enrobeuse (f)	مُلبِّس/جهاز تلبيس
- enrobing	enrobage (m)	تلبيس
- enterokinase	enterokinase (f)	أنتيروكيناز
-entity	entité (f)	كيان
- entrails	entrailles (f)	1. مصير (ج مصران؛ مصارين)
		2. حاوياء (ج. حوايا)
- entrecote	entrecôte (m)	ضلعية
- enumerate	énumérer	رقّم
- enumeration	numération	ترقيم
- to envelop	envelopper/emballer	غلّف
- envelope	enveloppe (f)/enballage (m)	غِلاف
- environment	environnement (m)	بيئة
- enzyme	enzyme (f/m)	أنزيم
- enzymatic/enzymic activity	activité (f) enzymatique	نشاط أنزيمي
- enzymatic browing	brunissement (m) enzymatique	اسمرار أنزيمي
- enzymatic inhibitor	inhibiteur (m) enzymatique	مثبِّط الأنزيم/أنزيمي
- enzymology	enzymologie (f)	علم الأنزيمات
- epicarp	épicarpe (m)	الغلاف الخارجي للثمرة
- epidemic	épidémie (f)	وباء
- epidermis	épiderme (m)	بشرة
- epithelial tissue	tissu (m) épithélial	نسيج طلائي
- equation	équation (f)	معادلة
- equilibrium	équilibre (m)/bilan (m)	توازن/اتزان
- equipment	équipement (m)	معدات
- equivalent	équivalent (m)	مكافىء
- ergosterol	ergostérol (m)	إرجوستيرول
- ergot	ergot (m)	الإرجوت
- ergotism	ergotisme (m)	تسمم الإرجوت
-erosion	érosion (f)	تآكل
- erucic acid	acide (m) euricique	حمض اليوريسيك
- erythrocytes	érythrocytes (m)	كرات دم حمراء
- erythrosine B.S.	érythrosine (f) B.S.	أحمر رقم 3/إريثروسين

- esculin	ésculine (f)	إسكيولين
- essay	essai (m)	تقدير
-escence	essence (f)	عطر/روح
- essential	essentiel	أساسي/ضروري
- essential amino acid	acide aminé indisponible/ indispensable	حمض أميني أساسي/ضروري
- essential fatty acids.	acides gras indispensables/essentiels	أحماض ذهنية ضرورية
- essential oils	huiles (f) volatiles	زيوت عطرية/طيارة
- ester	ester (m)	إستر
- esterase	estérase (f)	إستَراز
- esterification	estérification (f)	أسْترة
- to esterify	estérifier	أستَر
- to estimate	estimer/évaluer	قَيّم
- et. al.	et. al.	وآخرون
- etc.	etc.	الخ/وهلم جرًا
- ether	éther (m)	إثير
- ether extract	extrait (m) éthyrique	مستخلص الإثير
- ethyl alcohol	alcool (m) éthylique/ordinaire	كحول إثيلي
- ethyl caprilate	caprylate d'éthyle	كبريلات الايثايل
- ethylene	éthylène (m)	إيثيلين
- ethylene diamine	éthylène diamine	إيثلين ثنائي الأمين
tetra-acetic acid (E.D.T.A)	tetra-acétique (E.D.T.A.)	رباعي الخليك
- ethylene plastics	plastiques (m) éthyléniques	لدائن الايثيلين
- ethyl formate	formate (m) d'éthyle	فورمات الإيثايل
- ethyl isovalerate	isovalérate d'éthyle (m)	إيزوفاليدرات الايثايل
- ethylmaltol	éthylmaltol (m)	مالتول الإيثايل/رائحة الفراولة
- ethyl vanillin	éthyl- vanilline (f)	إيثايل الفانيليا
- eutectic ice	glace (f) eutectique	ثلج تصلدي
- eutectic mixture	mélange (m) eutectique	مخلوط تصلدي
- eutectic point	point (m) eutectique d'eutexie	نقطة التصلد الحرج
- eutrophia	eutrophie (f)	تغذية طبيعية/جيدة
- to evaluate	estimer/evaluer	قَيّم
- evaluation	evaluation (f)	تقييم
- to evaporate	évaporer/vaporiser	بخّر
- evaporated milk	lait (m) évaporé	لبن مبخر

- evaporation	vaporisation (f)	تبخير
- evaporation under pressure	évaporation (f) sous pression	تبخير تحت الضغط
- evaporation under vacuum	évaporation sous-vide	تبخير تحت فراغ
- evaporative cooling	refroidissement (m) par vaporisation	تبريد بالتبخير
- evaporative crystallizer	évaporateur cristallisseur (m)	مُبَخِّر مُبَلِّر
- evaporator	évaporateur (m)	مُبَخِّر
- everlasting pea	gesse (f)	بسلة مستديمة/متسلقة
- to evisserate	éviscerer	أزال الأحشاء
- evolution	évolution (f)	تطور
- ewe	brebis (f)	نعجة/شاة
- ewe- lamb	agnette (f)	عبور (أنثى الحمل قبل بلوغها)
- examination	examen (m)	امتحان
- to excise	exciser	استأصل
- excretions	excretions (f)	إفرازات
- exergonic/exothermic	exothermique	طارد للحرارة
- to exhaust	raréfier	خلخل
- exhauster	appareil (m) à raréfier	مُخَلْخِل/جهات خلخلة
- exhaustion	raréfaction (f)/ produire de vacuum	خلخلة/انتاج فراغ
- exogenous	exogène	خارجي
- exopeptidase	exopeptidase (f)	ببتيداز خارجي
- exoprotease	exoproteuse (f)	بروتياز خارجي
- exothermic	exothermique	طارد للحرارة
- exotoxin	exotoxine (f)	زعاف خارجي
- expansion	détente (f)	تمدد
- expansion coefficient	coefficient (m) de dilatation	معامل التمدد
- expansion coil	serpentin (m) évaporateur	ملف التمدد
- expansion ring	cercle (m) de dilatation	حلقة التمدد
- expeller	expeller (m)	مستخلِص حلزوني
- experiment	expérience (f)	تجربة
- experimental plat	champ (m) expérimental	رقعة تجارب
- experimental station	station (f)/centre d'expérimentation	محطة تجارب
- expiry date	à consommer avant le / date limite de consommation (D.L.C.)	تاريخ انتهاء الصلاحية

- exponent	exposant (m)	أس
- export	exportation (f)	تصدير
exports	exportations (f)	صادرات
- extensibility	extensibilité (f)	امتدادية/قابلية الامتداد
- extensimeter/ alveograph	extensimètre (m)/ alvéographe (m)	مقياس الامتدادية والثبات
- extensogram	extensogramme (m)	منحنى الامتدادية
- extensograph	extensographe (m)	مقياس الامتدادية
- external rim	bord (m) extérieur	حافة خارجية
- external temperature	température (f) extérieure	درجة الحرارة الخارجية
- to extract	extraire	استخلص
- extract	extrait (m)	1. مستخلص، 2. نبذة
- extractable	extractible	قابل للإستخلاص
- extraction	extraction (f)	استخلاص
- extraction apparatus/ extractor	extracteur (m)	مستخلِص/جهاز استخلاص
- extraction centrifuge	extracteur centrifuge	مستخلِص بالطرد المركزي
- extraction coefficient	coefficient (m) d'éxtraction	معامل الإستخلاص
- extaction drum	tambour (m) d'extraction	أسطوانة استخلاص
- extraction ratio	taux (m)/degré (m) d'extraction	نسبة الاستخلاص
- extraction yield	rendement (m) en extrait	ناتج الاستخلاص
- extraneaus material/matter	impurités (f)/ matières (f) étrangers	شوائب/مواد دخيلة/علث
- to extrapolate	extrapoler	مَدَّ/استوفى
- extrapolation	extrapolation	مَدّ/استيفاء
- to extrude	extruder	بَثَق
- extruded cereals	céréales (f) extrudées	حبوب منبثقة
- extruded scheet	feuille (f) extrudée	لوح منبثق
- extruder	extrudeuse (f)	باثق
- extrusion	extrusion (f)	بثْق
- extrusion molding	moulage (m) par extrusion	تشكيل بالبثق
- exudate	exsudat (m)	ناضح/نضيح
- exudation	exsudation (f)	نَضْح
- to exude	exsuder	نَضَحَ
- eye	1. oeil (m)/ 2. trou (m)	عين
- eye dropper	goutte-à-goutte(m) compte-gouttes(m)	قطارة

" معجم مصطلحات علوم البيئة"

– القسم الخامس –

الدكتور **فاضل حسن أحمد**

جامعة عمر المختار/ الجماهيرية الليبية

- H -

2611 - Habit عادة

2612 - Habitable espace فضاء صالح للسكن

2613 - Habitat مسكن، موطن، بيئة

2614 - Hail برد

2615 - Half-dechlorination depth
عمق نصف إزالة الكلورة

2616 - Hallucination هذيان

2617 - Halo الهالة

2618 - Halogenated hydrocarbons
الهيدروكاربونات المهلجنة

2619 - Halogenated organic compounds
المركبات العضوية المهلجنة

2620 - Halogens الهالوجينات

2621 - Hamlet قرية صغيرة ، مزرعة

2622 - Hammerhead سمك المطرقة

2623 - Hand cleansers مخارم اليد

2624 - Handicap عاهة ، عائق

2625 - Handicapped children الأطفال المعوقين

2626 - Handling تعامل

2627 - Haphrazard manner طريقة عشوائية

2628 - Happiness سعادة

2629 - Harbor مرْفأ

2630 - Hardness عُسْرة ، صلادة

2631 - Hardness titration (TH) معايرة العسرة

2632 - Hardpan قاع كتيم

2633 -Hard surface cleaners منظفات السطح الصلد

2634 - Hard water ماء عسر

2635 - Harmavoidance تجنب الألم

2636 - Harmful animals الحيوانات المُضرّة

2637 - Harvesting حصاد

2638 - Harvesting of plankton حصاد العوالق

2639 - Haul سحْب

2640 - Hauled container حاوية مسحوبة

2641 - Hauled-container system (HCS)
نظام الحاويات المسحوبة

2642 - Haul time زمن السحب

2643 - Hausband's table

2644 - Haunt مأمن، مسكن

2645 - Haven ميناء

2646 - Havoc دمار، خراب

2647 - Hazard assessment تقدير الخطورة

2648 - Hazardous air pollutants ملوثات الهواء الخطرة

2649 - Hazardous wastes فضلات خطرة

2650 - Haze ضباب

2651 - Hazen-Williams formula
معادلة هازن – ويليامز

2652 - Hay تِبْن

2653 - Head شحنة

2654 - Header pipe أنبوب عام للمياه

2655 - Head loss ضائع الشحنة

2656 - Head loss coefficient معامل ضائع الشحنة

2657 - Head race مَجْرَى وارد

2658 - Head wind ريح معاكسة

2659 - Health صحة

2660 - Health assessment document (HAD)
وثيقة التقييم الصحي

2661 - Health authorities السلطات الصحية

2662 - Health concerns اهتمامات صحية

2663 - Health effects التأثيرات الصحية

2664 - Health effects assessment (HEA)
تقييم التأثيرات الصحية

2665 - Health and safety executive (HSE)
إجراءات الصحة والأمان

2666 - Health - resort مَصَح

2667 - Health hazards مخاطر صحية

2668 - Health-mental الصحة العقلية

2669 - Health services خدمات صحية

2670 - Health survey مسح صحي

2671 - Health statistics الإحصاء الصحي

2672 - Heat حرارة

2673 - Heat balance موازنة حرارية

2674 - Heat disinfection تعقيم حراري

2675 - Heat drying تجفيف حراري

2676 - Heat exchanger مبادل حراري

2677 - Heating value القيمة الحرارية

2678 - Heating oil زيت التدفئة

2679 - Heating systems منظومات تدفئة

2680 - Heat rate معدل الحرارة

2681 - Heat treatment معالجة حرارية

2682 - Heavy duty solvents مذيبات متينة

2683 - Heavy hydrocarbons هيدروكاربونات ثقيلة

2684 - Heavy metals معادن ثقيلة

2685 - Heavy oil زيت ثقيل

2686 - Heavy rain الوابل

2687 - Heavy water الماء الثقيل

2688 - Heliotherapy العلاج بأشعة الشمس

2689 - Helminth دودة طفيلية

2690 - Helminthicide مبيد الديدان الطفيلية

2691 - Helminthology علم الديدان الطفيلية

2692 - Hemorrhage نزيف

2693 - Hemicellulose نصف سليولوزي

2694 - Hemoglobin هيموغلوبين

2695 - Hepatitis كُباد (التهاب الكبد)

2696 - Heptachlore الكلور السباعي

2697 - Herb عُشْب

2698 - Herbicide مبيد للأعشاب

2699 - Herbivores
العاشبات (حيوانات تقتات على الأعشاب)

2700 - Herbivorous آكل الأعشاب، آكل الحشائش

2701 - Heredity وراثة

2702 - Heredity disease مرض وراثي

2703 - Heritable صفة مورِثة

2704 - Hermetic محكم السّد

2705 - Hetachlore هيتاكلور

2706 - Heterosphere هيتروسفير، الغلاف المتغاير

2707 - Heterotrophes متعددات التغذية

2708 - Heterotrophic bacteria بكتيريا متعددة التغذية

2709 - Heuristic تنقيبي

2710 - Hexachlorobenzene كلوروبنزين سداسي

2711 - Hexametaphosphate ميتافوسفات سداسي

2712 - Hibernal ممطر ، شتائي

2713 - High land هضبة

2714 - High-load treatment plant
وحدة معالجة عالية الحمل

2715 - High level radioactive waste
فضلات مشعة عالية المستوى

2716 - Highly qualification كفاءة عالية

2717 - High-rate activated sludge
خبث منشط بمعدل عالٍ

2718 - High-rate anearobic digestion
هضم لاهوائي بمعدل عالٍ

2719 - High-rate biological filtration
ترشيح بايولوجي بمعدل عالٍ

2720 - High water المنسوب العالي

2721 - Highway طريق عام

2722 - Hill تل ، هضبة

2723 - Hillock هضبة صغيرة

2724 - Hillside pollution تلوث جانب التل

2725 - Histograph مخطط زمنيّ (للمياه)، خريطة زمنية

2726 - History diagram رسم تخطيطي زمني

2727 - Hog - wash قمامة المطابخ

2728 - Hog feeding تغذية الخنازير

2729 - Holding pond بركة حجز، بركة تثبيت

2730 - Holdover storage خزين الطوارئ

2731 - Hole ثقب

2732 - Holarctic

2733 - Holecene

2734 - Home consumption استهلاك منزلي

2735 - Home hygiene صحة منزلية

2736 - Home separation فصل منزلي

2737 - Home ostasis

2738 - Homing pigeon الحمام الزاجل

2739 - Homing instinct غريزة العودة للوطن

2740 - Homo جنس الإنسان

2741 - Homogeneous متجانس

2742 - Homosphere هوموسفير، الغلاف المتماثل

2743 - Homozygous متماثل الصفات الوراثية

2744 - Hooping-cough السعال الديكي

2745 - Hopper قادوس

2746 - Horizon الأُفُق

2747 - Horizontal pressure filter مرشح ضغطي أفقي

2748 - Horizontal pump مضخة أفقية

2749 - Horse-drawn sweeper
مِكنسة مسحوبة بالحصان

2750 - Horn-fly ذبابة البقر

2751 - Horsepower قدرة حصانية

2752 - Horse-shoe sewer
مجرى بشكل نعل الفرس

2753 - Horticulture بستنة

2754 - Hose خرطوم

2755 - Hospital environment بيئة المستشفيات

2756 - Hospital wastes فضلات المستشفيات

2757 - Hot air هواء ساخن

2758 - Hot spots بُقَع ساخنة

2759 - Hot spring ينبوع حار

2760 - Hot water ماء حارّ

2761 - House connections وصلات منزلية

2762 - Houshold disposal systems
نُظم طرح الفضلات المنزلية

2763 - House drain مصرف منزلي، مبزل منزلي

2764 - House sewer مجرى منزلي

2765 - House trap مِحْبَس منزلي

2766 - Housing إسكان

2767 - Hovel زريبة

2768 - Hover fly ذبابة حائمة

2769 - Human ecology علم البيئة البشرية

2770 - Human element العنصر البشري

2771 - Human engineering الهندسة البشرية

2772 - Human factors عوامل بشرية

2773 - Human factors society (HFS)
جمعية العوامل البشرية

2774 - Human feces براز بشري

2775 - Humankind الجنس البشري

2776 - Human health الصحة البشرية

2777 - Human needs الاحتياجات البشرية

2778 - Human operator الإنسان العامل

2779 - Human phylogeny أصل سلالة الإنسان

2780 - Human relations العلاقات الإنسانية

2781 - Humid رَطْب

2782 - Humic acid حامض دُبالي

2783 - Humification تدبيل
(تحوّل المواد العضوية إلى دُبال)

2784 - Humate دُبالات

2785 - Humus دُبال

2786 - Humus sludge خبث دُبالي

2787 - Hunger جوع

2788 - Hurricane زوبعة، إعصار

2789 - Husbandry فلاحة، زراعة

2790 - Hybrid هجين

2791 - Hydraulic هيدروليكيّ، مائيّ

2792 - Hydraulic friction احتكاك هيدروليكي

2793 - Hydraulic grade line خط الانحدار الهيدروليكي

2794 - Hydraulic gradient الانحدار الهيدروليكي

2795 - Hydraulic loading حِمْل هيدروليكي

2796 - Hydraulic jump قفزة هيدروليكية

2797 - Hydraulic model نموذج هيدروليكي

2798 - Hydraulic press مكبَسَة مائية

2799 - Hydraulic profile مقطع جانبي هيدروليكي

2800 - Hydraulic radius نصف القطر الهيدروليكي

2801 - Hydraulic ram الكَبش الهيدروليكي

2802 - Hydraulic retention time (HRT)
زمن الاحتجاز الهيدروليكي

2803 - Hydraulics الهيدروليك، المُوهيّات

2804 - Hydro مائي، مَصَحّ مائي

2805 - Hydrocarbides الهيدروكاربيدات

2806 - Hydrocarbons الهيدروكاربونات

2807 - Hydrochloric acid حامض الهيدروكلوريك

2808 - Hydrocoral مَرْجان مائي

2809 - Hydrodynamics الهيدروديناميك

2810 - Hydrograph الهيدروغراف، مخطّط الماء

2811 - Hydrography الهيدروغرافيا، تخطيط الماء

2812 - Hydrological cycle الدورة المائية

2813 - Hydrological regime النظام المائي

2814 - Hydrology الهيدرولوجيا، علم المياه

2815 - Hydrolysis التحلل المائي

2816 - Hydrometallurgy
المعالجة بالسوائل لاستخلاص الفلزات

2817 - Hydrometer مِكثاف

2818 - Hydrometry قَيْس الكثافة، قَيْس الجريان

2819 - Hydrometeorology علم الظواهر الجوية المائية

2820 - Hydropathy المعالجة بالماء

2821 - Hydropulper

2822 - Hydrophobe الكاره للماء

2823 - Hydrophilic colloids غرويات محبة للماء

2824 - Hydrophile محب للماء

2825 - Hydroponics علم زراعة النبات في الماء

2826 - Hydrostatic press مكْبسة مائية

2827 - Hydrostatic pressure ضغط هيدروستاتيكي

2828 - Hydrosol غروي مائي

2829 - Hydrozoa الحيوانات المائية

2830 - Hydrozoon حيوان مائي

2831 - Hyetal مختص بالأمطار

2832 - Hyetogram مخطط المطر

2833 - Hyetograph مسجل المطر

2834 - Hygiene علم حفظ الصحة

2835 - Hygienist مختص في علم الصحة

2836 - Hygrology علم الرطوبة الجوية

2837 - Hygrometer مرطبة

2838 - Hygroscopic water ماء الترطيب

2839 - Hyperbola قطع زائد

2840 - Hyperthermia فرْط الحرارة

2841 - Hypertrophy تضخم

2842 - Hypersensitivity زيادة الحساسية

2843 - Hypochlorination نقص الكلورة

2844 - Hypochlorite هيبوكلوريت

2845 - Hypochlorous acid حامض الهيبوكلوروز

2846 - Hypochondria توهم المرض

2847 - Hypolimnion

2848 - Hypoplasia عدم نمو العضو

2849 - Hypothetic افتراضي

2850 - Hypothetic basin حوض افتراضي

2851 - Hypothermia هبوط الحرارة

2852 - Hypothymic نَقْص الحساسية

2853 - Hypoxia
الأوكسجينية، مرض نقص الأوكسجين في الجسم

2854 - Hysometry قياس ارتفاع التضاريس

- I -

2855 - Iatraliptic العلاج بالتدليك

2856 - Ice جَمد، جليد

2857 - Ice age العصر الجليدي

2858 - Ice berge جبل جليدي عائم

2859 - Ice bound محاط بالجليد

2860 - Ice drift مَسُوقة جمديّة

2861 - Ice frazil

2862 - Ice pellets حبيبات جليدية

2863 - Ice storm عاصفة ثلجيّة

2864 - Ichorous مائي

2865 - Ichthyology عِلم الأسماك

2866 - Ichthyophages آكلات السمك

2867 - Icy جليدي

2868 - Ideal gas الغاز المثالي

2869 - Ideal sedimentation basin
حوض الترسيب المثالي

2870 - Igniter جهاز الإشعال

2871 - Ignition إشتعال

2872 - Illumination إضاءة

2873 - Illuminator مصباح مضيء

2874 - Illuminous radiation إشعاع مضيء

2875 - Ilmenite إلمينيت

2876 - Imbibition تشرُّب

2877 - Imhoff cone مخروط إمهوف

2878 - Imhoff tank حوض إمهوف

2879 - Imitation تقليد

2880 - Immediate cause of the accident
السبب المباشر للحادث

2881 - Immediate oxygen demand
طلب الأوكسجين الآني

2882 - Immigration هجرة

2883 - Immobilization التَّوْتين (أي ثبّت وأقام)

2884 - Immunity مناعة، حصانة

2885 - Immunization تقوية المناعة

2886 - Immunology علم المناعة

2887 - Impact صَدْم، تصادُم

2888 - Impact pressure ضغط الصّدم

2889 - Impeller دَفّاعة

2890 - Imperfect combustion احتراق غير تام

2891 - Impermeable غير مُنفذ

2892 - Impermeability اللانفاذية

2893 - Impermeability coefficient معامل اللانفاذية

2894 - Impervious لامَسَاميّ

2895 - Impingement separator فاصلة ارتطامية

2896 - impingers

2897 - Impounding reservoir خزّان التجميع

2898 - Impoundment dissolved oxygen
الأوكسجين المذاب المحبوس

2899 - Impression تأثير

2900 - Improverishing of nature إفقار الطبيعة

2901 - Improvement تحسُّن، إصلاح

2902 - Impulse دَفْع، مُدافعة

2903 - Impure غير نقي

2904 - Inactivation اخمال

2905 - Inadequate غير طبيعي، غير كافٍ

2906 - Inanimate عديم الحياة

2907 - Inappropriate غير ملائم

2908 - Incineration ترميد، احراق

2909 - Incinerator مُرمد، محرقة

2910 - Incipient lethal level المنسوب المميت الأولي

2911 - Inclined inertial separator
فاصلة مائلة بالقصور الذاتي

2912 - Inclined plane aerator مهوِّية مستوية مائلة

2913 - Inclined screens مناخل مائلة

2914 - Incrassate مكثّف، مجمّد

2915 - Incremable لايحترق

2916 - Increment فَضْلة

2917 - Independ series سلسلة مستقلة

2918 - Index مُؤشِّر

2919 - Index of precision مؤشّر الدّقة

2920 - Indicator دليل

2921 - Individual psychology علم النفس الفردي

2922 - Indoor air pollution تلوث الهواء داخل المبنى

2923 - Industrial area منطقة صناعية

2924 - Industrial climate المناخ الصناعي

2925 - Industrial'conflict الصراع الصناعي

2926 - Industrial cost recovery (ICR)
استعادة الكلف الصناعية

2927 - Industrial effluents المواد الصناعية الخارجة

2928 - Industrial hygiene علم الصحة المهنية

2929 - Industrialization تصنيع

2930 - Industrial noise الضوضاء الصناعي

2931 - Industrial organization
منظمة صناعية، تنظيم صناعي

2932 - Industrial pollutant مُلوِّث صناعي

2933 - Industrial pollution التلوث الصناعي

2934 - Industrial process water
ماء العمليات الصناعية

2935 - Industrial psychology علم النفس الصناعي

2936 - Industrial sanitation الصحة الوقائية الصناعية

2937 - Industrial waste فضلات صناعية

2938 - Industrial wastes recovery
استعادة الفضلات الصناعية

2939 - Industrial wastewater مياه الفضلات الصناعية

2940 - Industrial wastewater recovery
استعادة مياه الفضلات الصناعية

2941 - Industrial waste standards
معايير الفضلات الصناعية

2942 - Industrial waste survey
مسح الفضلات الصناعية

2943 - Industrial waste treatment
معالجة الفضلات الصناعية

2944 - Industrial water ماء للصناعة

2945 - Industrial water supply تجهيز الماء للصناعة

2946 - Inert ساكن، خامل

2947 - Inertia قصور ذاتي

2948 - Inertial impaction تصادم بالقصور الذاتي

2949 - Inertial separators فاصلات بالقصور الذاتي

2950 - Inert materials مواد خاملة

2951 - Inevitable death الموت الحتمي

2952 - Infant cyanosis ازرقاق الرضيع

2953 - Infantile طفولي

2954 - Infantile paralysis عاهة، مرض

2955 - Infection عدوى

2956 - Infection disease مرض معدٍ

2957 - Infiltration رَشْح، ترشيح

2958 - Infiltration ditch خَنْدَق مُرشِّح

2959 - Infiltration gallery قاعة ترشيح

2960 - Infiltration indices أدِلّة ترشيح

2961 - Infiltration water ماء الترشيح

2962 - Infiltrometer مقياس الترشيح

2963 - Infirm عاجز

2964 - Infirmary ملجأ العجزة

2965 - Infirmity عَجْز، عاهَة

2966 - Inflexion point نقطة الانقلاب

2967 - Influence تأثير

2968 - Influent stream المَجْرَى المُغذّي

2969 - Influenza إنفلونزا

2970 - Influent well بئر مُتَدفّق

2971 - Influx انصباب، جريان

2972 - Informal hauler ناقل غير رسمي

2973 - Information معلومات

2974 - Infrared absorption امتصاص بالأشعة تحت الحمراء

2975 - Infrared radiations أشعة تحت الحمراء

2976 - Infrared spectrophotometer فوتومتر طيفي بالأشعة تحت الحمراء

2977 - Ingestion إطعام

2978 - Inhabitancy استيطان

2979 - Inhabitant قاطن، ساكن

2980 - Inhabitation سكن، إقامة

2981 - Inhabited مأهول

2982 - Inheritance وراثة

2983 - Initial period الفترة الابتدائية

2984 - Initial rain مطر ماكث

2985 - Injection aerator

2986 - Injection well بئر الحقْن

2987 - Injector حاقن

2988 - Injurious مُؤذٍ، ضارّ

2989 - Injurious to health مُضِرّ للصحة

2990 - Inland waters المياه العذْبَة

2991 - Inlet مَدْخل

2992 - Inlet time زمن الدخول

2993 - Inlet weir سد المدخل الغاطس

2994 - Innocuous غيرُ مؤذٍ

2995 - Inoculation تطعيم

2996 - Inodorous عديم الرائحة

2997 - Inoffensive غير مؤذٍ

2998 - Inorganic غير عضوي

2999 - Inorganic biochemical metabolism
أيض بايوكيميائي غير عضوي

3000 - Inorganic nitrogen نيتروجين غير عضوي

3001 - Inorganic turbidity كُدرة غير عضوية

3002 - In-phase متساوق

3003 - Insect damage أضرار الحشرات

3004 - Insecticides مبيدات الحشرات

3005 - Insectivora آكلات الحشرات

3006 - Insequent stream مجرى متقلّب

3007 - Insolation تشميس، ضربة الشمس

متابعات ثقافية

=======